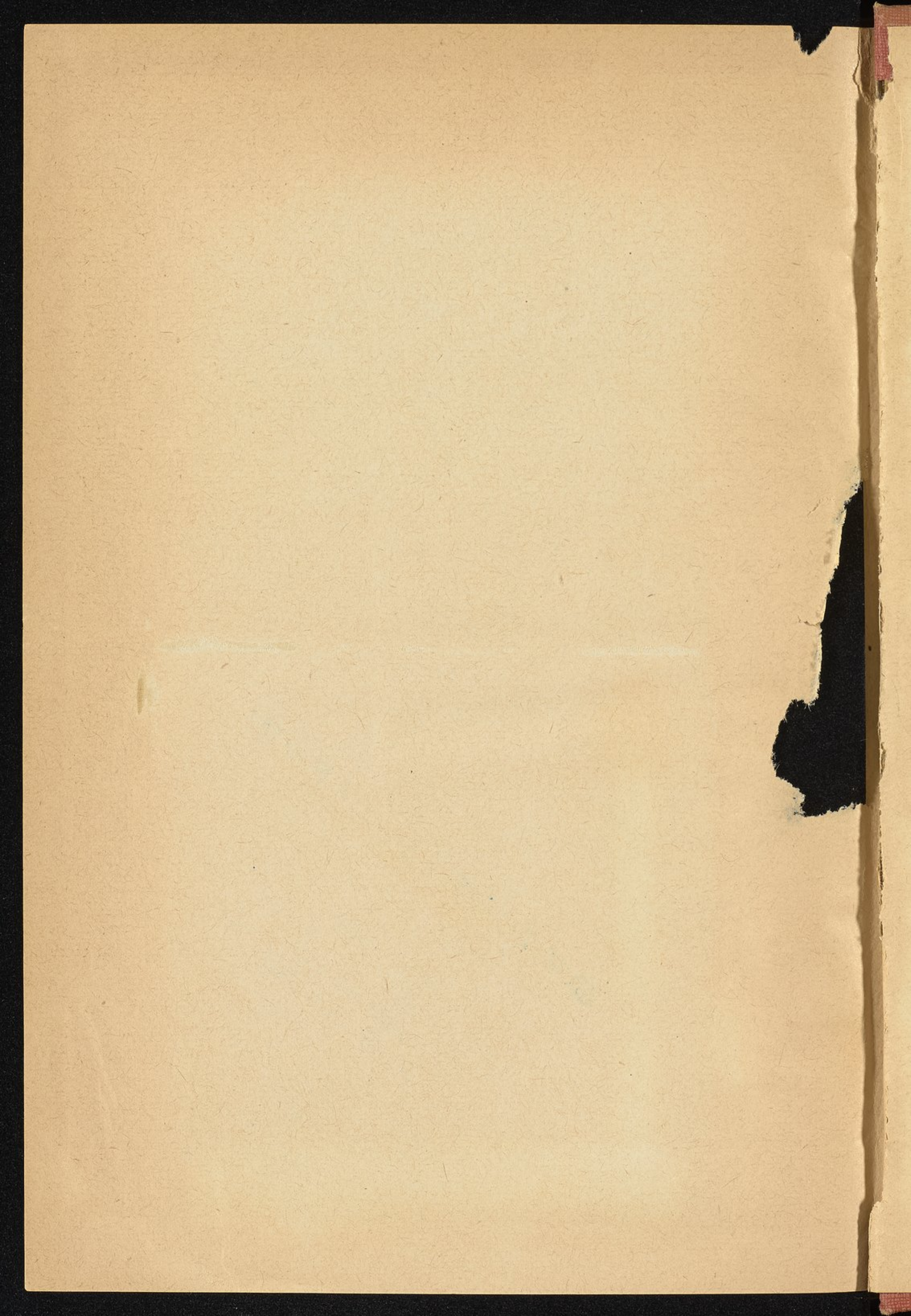
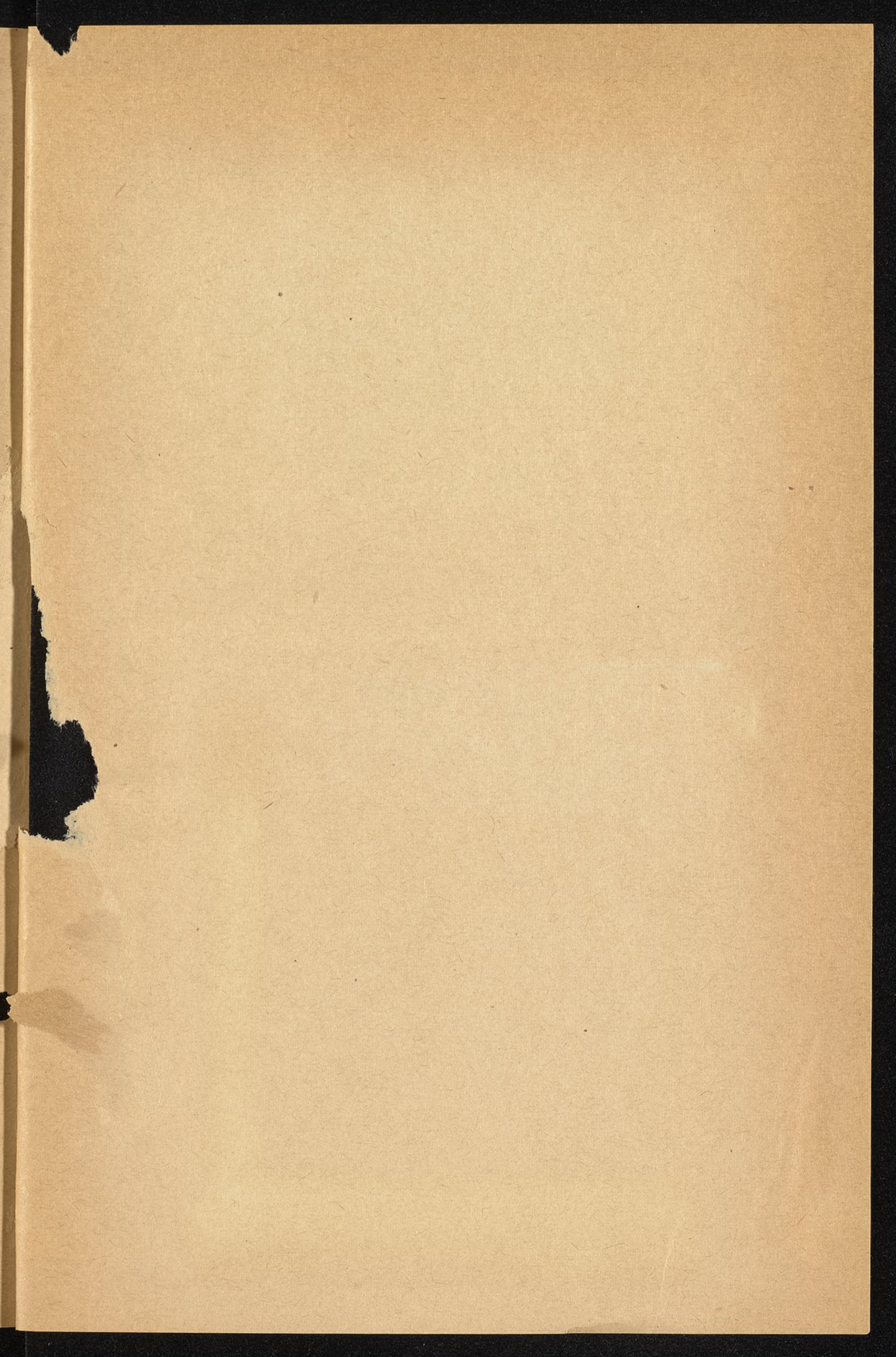
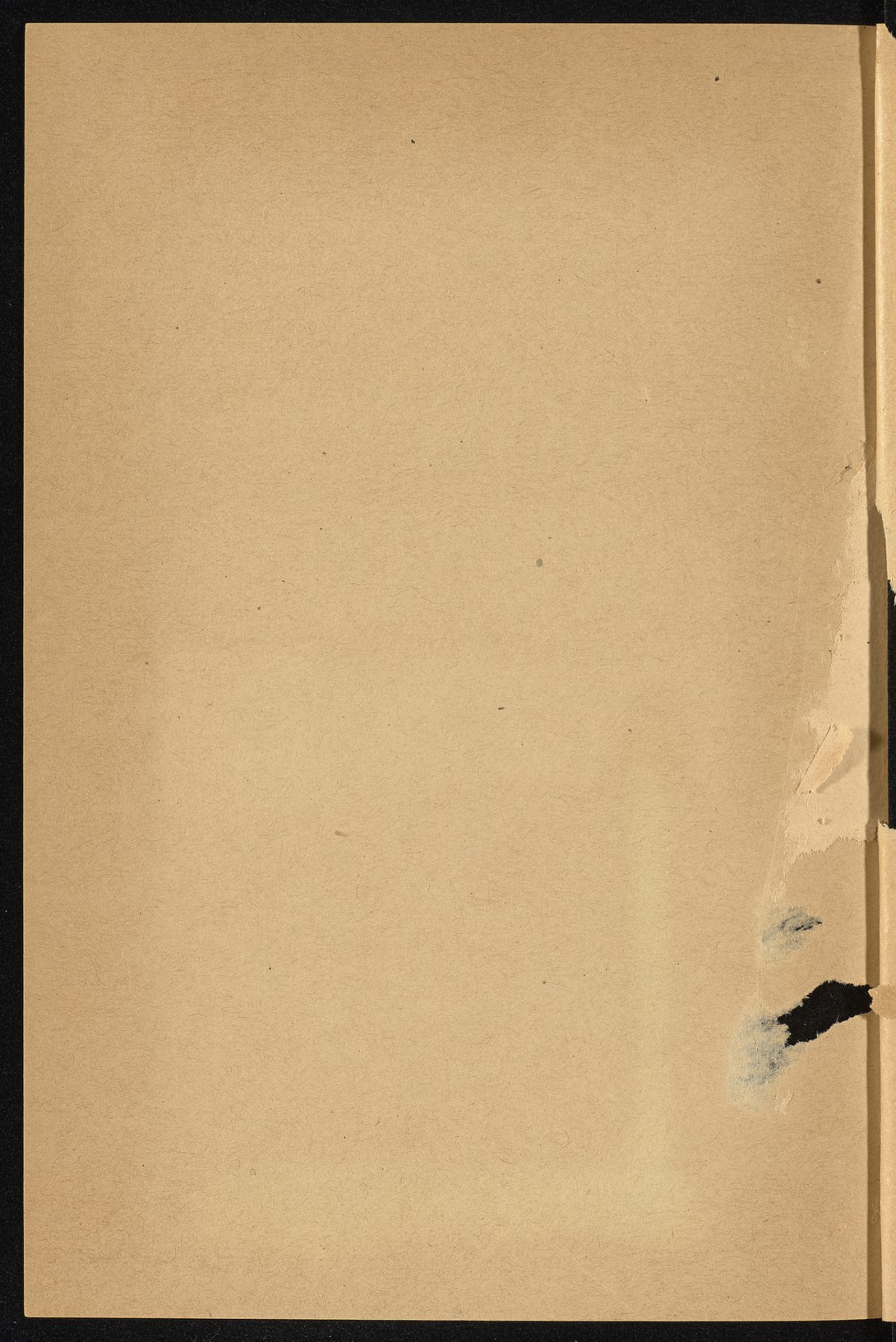
مجاني الأدب
في
حدائق العرب

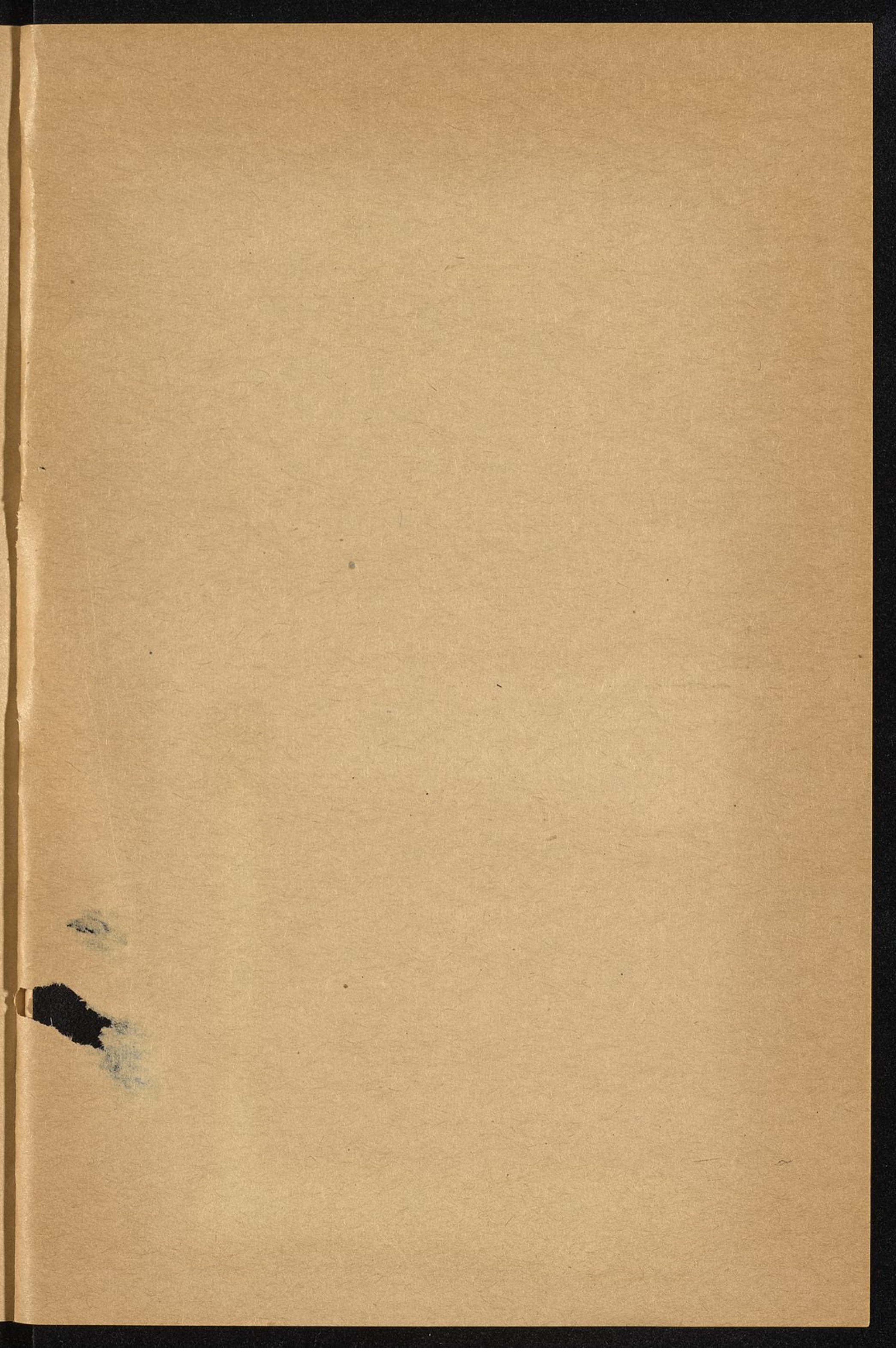
المطبعة الكاثوليكية - بيروت


Princeton University Library
32101 043490190









Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

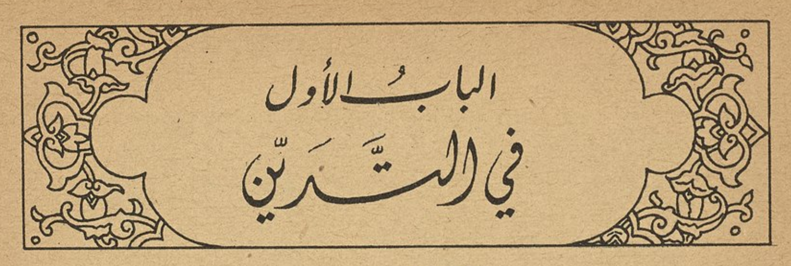
للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الثالث

•

المطبعة الكاثوليكية
بيروت





البابُ الأول
في التديّن

في كمالاته تعالى

١ إنَّ ٱللهَ عزَّ وجلَّ لمْ يزَلْ ولَا يزالُ. هوَ ٱلكبيرُ ٱلمتعالِ. خالِقُ ٱلأعيانِ
وٱلآثارِ. ومكوِّرُ ٱلنهارِ على ٱللَّيلِ وٱللَّيلِ على ٱلنَّهارِ. ٱلعالِمُ بِٱلخفيَّاتِ.
وما تنطوِي عليهِ ٱلأرَضونَ وٱلسَّماواتُ. سواءٌ عِندَهُ ٱلجهرُ وٱلإسرارُ.
ومَنْ هوَ مُستخفٍ بِٱللَّيلِ وسارِبٌ بِٱلنَّهارِ. ألا يعلمُ منْ خلقَ وهوَ
ٱللَّطيفُ ٱلخبيرُ خلقَ ٱلخلقَ بقُدرتِهِ. وأحكمَهُمْ بِعلمِهِ وخصَّهُمْ
بِمشيئتِهِ. ودبَّرهُمْ بِحكمتِهِ. لمْ يكُنْ لهُ فِي خلقِهِمْ معينٌ. ولا فِي
تدبيرِهِمْ مشيرٌ ولا ظهيرٌ. وكيفَ يستعينُ منْ لمْ يزلْ بمَنْ لمْ يكنْ. لا
تلزَمُهُ لِمَ. ولا يُجاورُهُ أينَ. ولا تُلاصِقُهُ حيثُ. ولا تعُدُّهُ كمْ. ولا
تحصُرُهُ متى. ولا تحيطُ بِهِ كيفَ. ولا تُظهِرُهُ قبلُ. ولمْ تفُتْهُ بعدُ. ولمْ
تجمَعْهُ كلٌّ. وصفُهُ لا صِفةَ لهُ. وكونُهُ لا أمدَ لهُ. ولا تُخالِطُهُ ٱلأشكالُ
وٱلصُّوَرُ. ولا تغيِّرُهُ ٱلآثارُ وٱلغِيَرُ. ولا تجوزُ عليهِ ٱلمماسَّةُ وٱلمقاربةُ.
وتستحيلُ عليهِ ٱلمحاذاةُ وٱلمقابلةُ. إنْ قلتَ: أينَ هوَ. فقدْ سبقَ
ٱلمكانَ وجودُهُ. لمْ يفتقِرْ وجودُهُ إلى أينَ. هوَ بعدَ خلقِ ٱلمكانِ غنيٌّ
بِنفسِهِ كما كانَ قبلَ خلقِ ٱلمكانِ. وكيفَ يحِلُّ فِي ما مِنهُ بدا. وإنْ
قلتَ: ما هوَ. فلا ماهيَّةَ لهُ (ما موضوعةٌ لِلسؤالِ عنِ ٱلجنسِ. وٱلقديمُ

تعالى لا جنس له) وإن قلت كم هو. فهو واحد في ذاته. متفرد بصفاته. وإن قلت: متى كان فقد سبق الوقت كونه وإن قلت: كيف هو. فمن كيف الكيفية لا يقال له كيف. ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير وإن قلت هو. فالهاء والواو خلقه. فما تصور في الأوهام. فهو بخلافه. ولا تمثله العيون. ولا تخالطه الظنون. ولا تتصوره الأوهام. ولا يحيط به الأفهام. ولا تقدر قدره الأيام. ولا يحويه مكان. ولا يقارنه زمان. ولا يحصره أمد. ولا يجمعه عدد. قربه كرامته. وبعده إهانته. علوه من غير توقل. ومجيئه من غير تنقل. هو الأول والآخر. والظاهر والباطن. القريب البعيد. الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأشهد له بالربوبية وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دعا أعرابي فقال: يا عماد من لا عماد له. ويا ركن من لا ركن له. ويا مجير الضعفى ويا منقذ الهلكى. ويا عظيم الرجاء أنت الذي سبح لك سواد الليل وبياض النهار. وضوء القمر وشعاع الشمس. وحفيف الشجر ودوي الماء. يا محسن يا مجمل. اللهم إنك آنس المؤنسين للمتكلين عليك أنت شاهدهم وغائبهم والمطلع على ضمائرهم. وسري لك مكشوف. وأنا إليك ملهوف. إذا أوحشتني الغربة

آنسني ذِكرُكَ . وإذا أكبّت عليّ الغمومُ لجأتُ إلى الاستجارة بكَ . عِلماً بأنّ أزمّةَ الأمورِ كلِّها بيدِكَ ومصدرَها عن قضائكَ . فأقلني إليكَ مغفوراً لي معصوماً بطاعتكَ باقيَ عمري يا أرحمَ الراحمين

٣ لمّا وليَ أبو بكرٍ الخلافةَ صعدَ المنبرَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمّ قال : يا أيّها الناسُ إنّي داعٍ فأمِّنوا . اللّهمّ إنّي غليظٌ فليِّنّي لأهلِ طاعتكَ بموافقةِ الحقِّ ابتغاءَ وجهكَ والدارِ الآخرةِ . وارزقني الغلظةَ والشدّةَ على أعدائكَ وأهلِ الدعارةِ والنفاقِ من غيرِ ظلمٍ منّي لهم ولا اعتداءٍ عليهم . اللّهمّ إنّي شحيحٌ فسخِّني في نوائبِ المعروفِ قصداً من غيرِ سرفٍ ولا تبذيرٍ ولا رئاءٍ ولا سمعةٍ . واجعلني أبتغي بذلكَ وجهكَ والدارَ الآخرةَ . اللّهمّ ارزقني خفضَ الجناحِ ولينَ الجانبِ للمؤمنينَ . اللّهمّ إنّي كثيرُ الغفلةِ والنسيانِ فألهمني ذِكرَكَ على كلِّ حالٍ وذِكرَ الموتِ في كلِّ حينٍ . اللّهمّ إنّي ضعيفٌ عند العملِ بطاعتكَ فارزقني النشاطَ فيها والقوّةَ عليها بالنيّةِ الحسنةِ التي لا تكونُ إلّا بعزّتكَ وتوفيقكَ . اللّهمّ ثبّتني باليقينِ والبرِّ والتقوى وذِكرِ المقامِ بينَ يديكَ والحياءِ منكَ . وارزقني الخشوعَ فيما يُرضيكَ عنّي والمحاسبةَ لنفسي وإصلاحَ الساعاتِ والحذرَ من الشبهاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربّه)

٤ دعا بعضهم فقال : اللّهمّ إنّي أسألكَ يا من احتجبَ بشعاعِ نورهِ عن نواظرِ خلقهِ . يا من تسربلَ بالجلالِ والكبرياءِ واشتهرَ بالتجبّرِ في قدسهِ . يا من تعالى بالجلالِ والكبرياءِ في تفرّدِ مجدهِ . يا من انقادتِ

ٱلأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعاً لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ مُجِيبَاتٍ لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ ٱلسَّمَاءَ بِٱلنُّجُومِ ٱلطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِخَلْقِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ ٱلقَمَرَ ٱلمُنِيرَ فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ ٱلمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ ٱلشَّمْسَ ٱلمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشاً لِخَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ . يَا مَنِ ٱسْتَوْجَبَ ٱلشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَائِبَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ ٱلعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَبِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَٱسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ ٱلغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَّهُ فِي قُلُوبِ ٱلحَافِّينَ حَوْلَ عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِٱلأَسْمَاءِ ٱلَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى ٱلجَبَلِ ٱلعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَا شُعَاعُ نُورِ ٱلحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ ٱلعَظَمَةِ خَرَّتِ ٱلجِبَالُ مُتَدَكْدِكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفاً مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً مِنْكَ . أَنْتَ ٱللهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِٱلِٱسْمِ ٱلَّذِي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ عَظِيمِ جُفُونِ ٱلعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . ٱلَّذِي بِهِ تُدَبِّرُتَ حِكْمَتَكَ وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ ٱلقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي غَوَامِضِ سَوَائِدِ ٱلقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلِ خِزَانَتِي وَجَمِيعِ ٱلمُؤْمِنِينَ وَٱلمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ ٱلآفَاتِ وَٱلعَاهَاتِ وَٱلأَعْرَاضِ وَٱلأَمْرَاضِ وَٱلخَطَايَا وَٱلذُّنُوبِ . وَٱلشَّكَّ وَٱلكُفْرَ وَٱلنِّفَاقَ وَٱلشِّقَاقَ وَٱلضَّلَالَةَ وَٱلجَهْلَ وَٱلمَقْتَ وَٱلغَضَبَ وَٱلعُسْرَ وَٱلضِّيقَ وَفَسَادَ ٱلضَّمِيرِ وَحُلُولَ ٱلنِّقْمَةِ وَشَمَاتَةَ ٱلأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ ٱلرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المناداة

٥ يا سامِعَ ٱلدُّعاء . يا رافِعَ ٱلسَّماء . يا دائِمَ ٱلبَقاء . يا واسِعَ ٱلعطاء . يا عالِمَ ٱلغُيوبِ . يا غافِرَ ٱلذُّنوبِ . يا ساتِرَ ٱلعُيوبِ . يا كاشِفَ ٱلكُروبِ . يا فائِقَ ٱلصِّفاتِ . يا مُخرِجَ ٱلنَّباتِ . يا جامِعَ ٱلشَّتاتِ . يا مُنْشِرَ ٱلرُّفاتِ . يا فالِقَ ٱلصَّباحِ . يا مُرْسِلَ ٱلرِّياحِ . فَجْرًا مع ٱلرَّواحِ . يَجُلْنَ في ٱلنَّواحِ . يا هادِيَ ٱلرَّشادِ . يا مُلهِمَ ٱلسَّدادِ . يا رازِقَ ٱلعِبادِ . يا مُحْيِيَ ٱلبِلادِ . يا مُطلِقَ ٱلأَسيرِ . يا جابِرَ ٱلكَبيرِ . يا مُغْنِيَ ٱلفَقيرِ . يا غاذِيَ ٱلصَّغيرِ . يا مالِكَ ٱلنَّواصي . مِنْ طائِعٍ وعاصٍ . ما عَنْهُ مِن مَناصِ . لِلعَبْدِ أو خَلاصِ . أَجِرْ مِنَ ٱلجَحيمِ . مِنْ هَولِها ٱلعَظيمِ . مِنْ عَيشِها ٱلذَّميمِ . مِنْ حَرِّها ٱلمُقيمِ . أَسكِنِّي ٱلجِنانا . بَلِّغْنِي ٱلأَمانا . في مَنزِلٍ تَعالَى . بِٱلحَقِّ قَدْ تَوالَى . بِٱلنُّورِ قَدْ تَلالا . تَلْقَى بِهِ ٱلجَلالا (ديوان عليّ)

٦ قالَ ٱلأَصمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلامًا يُمَجِّدُ رَبَّهُ بِأَبياتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ وهِيَ هٰذِهِ :

يا فاطِرَ ٱلخَلْقِ ٱلبَديعَ وَكافِلًا ... رِزْقَ ٱلجَميعِ سَحابُ جُودِكَ هاطِلُ
يا مُسْبِغَ ٱلبِرِّ ٱلجَزيلِ ومُسْبِلَ ... ٱلسِّتْرِ ٱلجَميلِ عَميمُ طَوْلِكَ طائِلُ
يا عالِمَ ٱلسِّرِّ ٱلخَفِيِّ ومُنْجِزَ ... ٱلوَعْدِ ٱلوَفِيِّ قَضاءُ حُكْمِكَ عادِلُ
عَظُمَتْ صِفاتُكَ يا عَظيمُ فَجَلَّ أَنْ ... يُحْصِي ٱلثَّناءَ عَلَيكَ فيها قائِلُ
أَلذَّنْبُ أَنتَ لَهُ بِمَنِّكَ غافِرٌ ... وَلِتَوبَةِ ٱلعاصي بِحِلْمِكَ قابِلُ
رَبٌّ يُرَبِّي ٱلعالَمينَ بِبِرِّهِ ... وَنَوالُهُ أَبَدًا إِلَيهِم واصِلُ

تُقْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا   مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ   بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ   سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَأَيِسْتَ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا   سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهُ مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنْ أَلْطَافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي   لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى   أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهْوَ غِرٌّ جَاهِلُ
وَمَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا   أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
رَأْيٌ يُلِمُّ إِذَا عَرَتْهُ مُلِمَّةٌ   بِسِوَى جَنَابِكَ فَهْوَ رَأْيٌ مَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ   عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ   وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سَوْءٍ آبِقٌ كُلٌّ عَلَى   مَوْلَاهُ أَوْزَارَ الْكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ   صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي   وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ   فِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ   وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلُ

٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمْزَمِيُّ :

يَا مَنْ تُحَلُّ بِذِكْرِهِ   عُقَدُ النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى   وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدْ
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا   صَمَدًا تَنَزَّهَ عَنْ مُضَادِدْ

أَنْتَ ٱلرَّقِيبُ عَلَى ٱلعِبَا دِ وَأَنْتَ فِي ٱلْمَلَكُوتِ وَاحِدْ
أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ بِمَا ٱبْتُلِيتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدْ
إِنَّ ٱلْهُمُومَ جُيُوشُهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدْ
فَرِّجْ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَامَنْ لَهُ حُسْنُ ٱلْعَوَائِدْ
فَخَفِيُّ لُطْفِكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى ٱلزَّمَنِ ٱلْمُعَانِدْ
أَنْتَ ٱلْمُيَسِّرُ وَٱلْمُسَبِّبُ وَٱلْمُسَهِّلُ وَٱلْمُسَاعِدْ
سَبِّبْ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَاهِي لَا تُبَاعِدْ
كُنْ رَاحِمِي فَلَقَدْ يَئِسْتُ مِنَ ٱلْأَقَارِبِ وَٱلْأَبَاعِدْ
وَعَلَى ٱلْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتَنَّ بِيَ ٱلْحَوَاسِدْ
يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَعَافِنِي مِمَّا مِنَ ٱلْبَلْوَى أُكَابِدْ
وَعَنِ ٱلْوَرَى كُنْ سَاتِرًا عَيْبِي بِفَضْلٍ مِنْكَ وَارِدْ
يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِيَ ٱلْ أَحْوَالُ وَٱغْتَالَ ٱلْمُعَانِدْ
فَٱمْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ ٱلْحَوَاسِدْ
هٰذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدْ
فَلَكَمْ إِلٰهِي قَدْ شَهِدْ تُ لِفَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدْ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ بِسْطَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى عُفَيْرَةَ ٱلْعَابِدَةِ ٱلضَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنَ ٱللهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى عَمِيَتْ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ ٱلْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ عُفَيْرَةُ قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ ٱللهِ عَمَى ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱللهِ أَشَدُّ مِنْ عَمَى ٱلْعَيْنِ عَنِ ٱلدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا: (لليني)

قَالَ بَعْضُ ٱلزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ ٱلْخَلْقَ طُرًّا فِي رِضَاكَا ... وَيَتَّمْتُ ٱلْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَا

فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي ٱلْحُبِّ إِرْبًا ... لَمَا حَنَّ ٱلْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَا

قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وِسَادِيَ مِنْ تُرَابٍ ... وَبِتُّ مُجَاوِرَ ٱلرَّبِّ ٱلرَّحِيمِ

فَهَنُّونِي أُصَيْحَابِي وَقُولُوا ... لَكَ ٱلْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ

قَالَ آخَرُ:

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ ٱلدُّنْيَا بِهِمَّتِهِ ... حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى ٱلْأُخْرَى بِهِ هِمَمُهْ

رَثُّ ٱللِّبَاسِ جَدِيدُ ٱلْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ ... فِي ٱلْأَرْضِ مُشْتَهِرٌ فَوْقَ ٱلسَّمَا نَسَمُهْ

طُوبَى لِعَبْدٍ بِحَبْلِ ٱللهِ مُعْتَصِمٍ ... عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهْ

قَالَ ٱبْنُ ٱلصَّيْفِيِّ:

يَا طَالِبَ ٱلطِّبِّ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ ... إِنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلَّذِي أَبْلَاكَ بِٱلدَّاءِ

هُوَ ٱلطَّبِيبُ ٱلَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةٍ ... لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ ٱلتِّرْيَاقَ فِي ٱلْمَاءِ

٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ ... فَٱرْحَمْ عُبَيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَاهُ

يَا ذَا ٱلْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمَدِي ... طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرِقًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلْوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهِلًا أَجَابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْنَاهُ
صَوْتُكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَتِي فَذَنْبُكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلْنِي بِلَا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفْ إِنَّنِي أَنَا اللهُ

١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْانْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْمُحَاسَبَةُ وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّؤُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخْلِيَةُ الْقَلْبِ عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ الْيَدُ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَمْعُ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَاءُ وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْاعْتِمَادُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ

(لبهاء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاء :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا ... وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدَا

وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا ... فَالنَّفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمْلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقَطِعَ الْعَمَلُ . أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَّ لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ . فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ . وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي . اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا . وَإِذَا ذَكَّرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا . لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا ازْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا . اَللّٰهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِيَ الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

ضَعيفٌ ومِنَّتُهُ عاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عِدَّتُهُ . وَخَلَقَتْ جِدَّتُهُ . وَتَمَّ ظِمْؤُهُ . أَللَّهُمَّ لا تُخَيِّبْنِي وَأَنا أَرْجُوكَ . وَلا تُعَذِّبْنِي وَأنا أَدْعُوكَ . أَلْحَمْدُ لِلهِ عَلى طُولِ النَّسِيئَةِ . وَحُسْنِ التِّبَاعَةِ وَتَشَنُّجِ الْعُرُوقِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ للهِ عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ . أَللَّهُمَّ إِنِّي لا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ إِلاَّ إِلَيْكَ وَمِنَ الذُّلِ إِلاَّ لَكَ . وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الأُقْلِيشِيِّ مُسْتَعْطِفًا :

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً ... وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللهِ خَائِفُ
تَزِيدُ سِنُوهُ وَهْوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً ... فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلالَةِ عَاكِفُ
تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ ... فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفُ
ثَلاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا ... حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرْءَ أَنَّهُ ... إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيبَةُ تَالِفُ
فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصِّبَا ... وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَقُ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى ... وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَجُدْ بِالدُّمُوعِ الْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً ... فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

قَالَ آخَرُ :

إِلٰهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي ... فَسَامِحْ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكْ

أجِرْ يا سيّدي عبدًا فقيرًا أناخ ببابكَ العالي ودارِكْ

قالَ غيرُه :

وإنّي لأدعو اللهَ أسألُ عفوَه وأعلمُ أنّ اللهَ يعفو ويغفرُ

لئنْ أعظمَ النّاسُ الذّنوبَ فإنّها وإنْ عظمتْ في رحمةِ اللهِ تصغُرُ

١٣ قالَ ابو القاسمِ بنُ الخطيبِ مستغفرًا :

يا منْ يرى ما في الضّميرِ ويسمعُ أنتَ المعدُّ لكلِّ ما يتوقّعُ

يا منْ يُرجّى للشّدائدِ كلِّها يا منْ إليهِ المشتكى والمفزعُ

يا منْ خزائنُ رزقِهِ في قولِ كُنْ أمْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندكَ أجمعُ

ما لي سوى فقري إليكَ وسيلةٌ فبالافتقارِ إليكَ فقري أدفعُ

ما لي سوى قرعي لبابكَ حيلةٌ فلئنْ رُدِدتُّ فأيَّ بابٍ أقرعُ

ومنِ الّذي أدعو وأهتفُ باسمِهِ إنْ كانَ فضلُكَ عن فقيرٍ يُمنعُ

حاشا لجودِكَ أنْ يُقنِّطَ عاصيًا ألفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

١٤ قالَ ابنُ الفرضيِّ :

أسيرُ الخطايا عندَ بابكَ واقفُ على وجلٍ ممّا بهِ أنتَ عارفُ

يخافُ ذنوبًا لمْ يغبْ عنكَ غيبُها ويرجوكَ فيها فهوَ راجٍ وخائفُ

فيا سيّدي لا تُخزِني في صحيفتي إذا نُشِرتْ يومَ الحسابِ الصّحائفُ

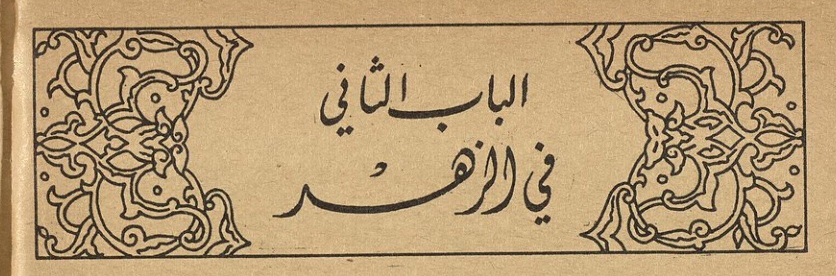
فكُنْ مؤنسي في ظلمةِ القبرِ عندما يصدُّ ذوو القربى ويجفو المؤالفُ

لئنْ ضاقَ عنّي عفوكَ الواسعُ الّذي أُرجّي لإسرافي فإنّي لتالفُ

العالم العقلي

١٥ مِنَ ٱلتَّلويحاتِ عَنْ أَفلاطُونَ ٱلإلٰهيّ أَنَّهُ قالَ: رُبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي كَثيرًا عِندَ ٱلرِّياضاتِ. وتأمَّلتُ أَحوالَ ٱلْمَوجُوداتِ ٱلمجرَّدةِ عنِ ٱلمادِّيَّاتِ. وَخَلَعتُ بَدَني جانِبًا وَصِرْتُ كأنّي مجرَّدٌ بِلَا بدنٍ عارٍ عنِ ٱلْمَلَابِسِ ٱلطَّبِيعيَّةِ. فأكونُ داخِلًا في ذاتي لا أَعقِلُ غيرَها ولا أَنظُرُ فِيما عَداها وخارِجًا عن سائرِ ٱلأشياءِ. فحينئذٍ أرى في نفسي مِنَ ٱلْحُسْنِ وَٱلبهاءِ وٱلسَّناءِ وٱلضِّياءِ وَٱلمحاسِنِ ٱلْغريبةِ ٱلعجيبةِ ٱلأنيقةِ ما أَبقى معهُ مُتعجِّبًا حيرانًا باهِتًا. فأعلمُ أنّي جزءٌ مِنْ أجزاءِ ٱلعالمِ ٱلأعلى ٱلرُّوحانيّ ٱلْكريمِ ٱلشَّريفِ. وأنّي ذو حياةٍ فعَّالةٍ. ثُمَّ ترقَّيتُ بِذِهني مِنْ ذٰلكَ ٱلعالمِ إلى ٱلعوالمِ ٱلإلٰهيةِ وٱلحضرةِ ٱلرُّبوبيَّةِ. فصرتُ كأنّي موضوعٌ فيها مُعلَّقٌ بها فوقَ ٱلعوالمِ ٱلعقليَّةِ ٱلنُّوريَّةِ. فأرى كأنّي واقفٌ في ذٰلكَ ٱلْموقفِ ٱلشَّريفِ وأرى هُناكَ مِنَ ٱلبهاءِ وَٱلنُّورِ ما لا تقدرُ ٱلأَلْسُنُ على وَصفِهِ ولا ٱلأسماعُ على قبولِ نَعْتِهِ. فإذا ٱستغرقني ذٰلكَ ٱلشَّأنُ وَقَلَبني ذٰلكَ ٱلنُّورُ وَٱلبهاءُ ولم أَقْوَ على ٱحتمالِهِ هبطتُ مِنْ هُناكَ إلى عالَمِ ٱلفِكرةِ. فحينئذٍ حجبتِ ٱلفِكرةُ عنّي ذٰلكَ ٱلنُّورَ فأبقى مُتعجِّبًا أنّي كيفَ ٱنحدرتُ مِنْ ذٰلكَ ٱلعالمِ. وعجبتُ كيفَ رأيتُ نفسي ممتلئةً نُورًا وهي معَ ٱلبدنِ كهيئتِها. فعندَها تذكَّرتُ قولَ مَطريوسَ حيثُ أمرَنا بِٱلطَّلبِ وَٱلبحثِ عن جوهرِ ٱلنَّفسِ ٱلشَّريفِ وَٱلِٱرتقاءِ إلى ٱلعالمِ ٱلعقليّ.

(لبهاء الدين)



الباب الثاني في الزهد

في الخوف

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ فِي ٱلْجَنَّةِ فَاكِهِينَ . وَأَهْلَ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ مُعَذَّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِٱللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَاكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِٱلنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ كَأَنَّهُمُ ٱلْقِدَاحُ (ٱلْقِدَاحُ ٱلسِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضُمْرَتِهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا ٱلنَّاظِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجْلِسِ ٱلزُّهْدِ إِنَّ لِلّٰهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مِثَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا ٱلْأَسْبَابَ ٱلْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَٱفْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِيبِهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا ٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلْأَكْبَرَ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْخَوَرْنَقَ وَٱلسَّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّعَةِ وَنُفُوذِ

ٱلْأَمْرِ وَإِقْبَالِ ٱلْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ: هٰذَا ٱلَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ. قَالَ: بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي. قَالَ: فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ. قَالَ: فَأَيْنَ ٱلْمَهْرَبُ. قَالَ: إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ ٱللهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ. قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَمَا لِي. قَالَ: حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ. وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ. وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ. وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى. قَالَ: فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَٱللهِ لَأَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا. فَٱنْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَبِسَ ٱلْأَمْسَاحَ وَسَاحَ فِي ٱلْأَرْضِ. وَتَبِعَهُ ٱلْحَكِيمُ وَجَعَلَا يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ ٱللهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا. وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

وَتَفَكَّرْ رَبُّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضًا وَٱلسَّدِيرُ
فَٱرْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْـطَةُ حَيٍّ إِلَى ٱلْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ ٱلْفَلَاحِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلنِّعْـمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ ٱلْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ م فَأَلْوَتْ بِهِ ٱلصَّبَا وَٱلدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فمرّا بشجرة . فقال عديّ بن زيد : أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة . قال : لا . قال فإنها تقول :

مَنْ رآنا فليحدّث نفسه أنه موفٍ على قرب زوال
فصروف الدهر لا تبقى لها ولما تأتي به صمّ الجبال
ربّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فُدُمٌ وجياد الخيل تجري بالجلال
عمروا الدهر بعيشٍ حسنٍ أمنى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال) ثم جاوزا الشجرة فمرّا بمقبرة . فقال له عديّ : أتدري ما تقول هذه المقبرة . قال : لا . قال : فإنها تقول :

أيها الركب المخبّو ن على الأرض المجدّونا
كما أنتم كذا كنّا وكما نحن تكونونا

فقال النعمان : قد علمت أن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان . وقد علمت أنك إنما أردت عظتي فجزاك الله عني خيراً فما السبيل الذي تدرك به النجاة . قال : تدع عبادة الأوثان وتعبد الله وحده قال : وفي هذا النجاة . قال : نعم . قال فترك عبادة الأوثان وتنصّر حينئذٍ وأخذ في العبادة والاجتهاد (للطرطوشي)

ذلّة الدنيا وزوالها

١٩ (من المنهج) أمّا بعد فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع . وإنّ

الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطِّلاعٍ . أَلا وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمارَ . وَغَدًا السِّباقَ وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةُ وَالغايَةُ النَّارُ . أَفَلا تائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ . أَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ . أَلا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرائِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ . وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ . وَضَرَّ أَجَلُهُ . أَلا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ . أَلا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نامَ طالِبُها . وَلا كَالنَّارِ نامَ هارِبُها . أَلا وَإِنَّهُ مَنْ لا يَنْفَعُهُ الحَقُّ يَضُرُّهُ الباطِلُ . وَمَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الهُدَى . يَجُذُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدَى . أَلا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ . وَإِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ اتِّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ . تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا مِنَ الدُّنْيا ما تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ البِكالِيِّ) قالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ ذاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِراشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقالَ : يا نَوْفُ أَراقِدٌ أَنْتَ أَمْ رامِقٌ . قُلْتُ : بَلْ رامِقٌ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . قالَ : يا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ أُولٰئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِساطًا وَتُرابَها فِراشًا وَماءَها طِيبًا وَالدِّينَ شِعارًا وَالدُّعاءَ دِثارًا . ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيا قَرْضًا عَلَى مِنْهاجِ المَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عُمر الصينيّ

٢١ قالَ الشَّيْخُ عُمَرُ : مَرَرْتُ بِراهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وبينه مؤانسة . فقلت له : يا راهب لمن تعبد . فقال : أعبد الله الذي خلق العالم بقدرته . وألف نظامه بحكمته . وقد حوت عظمته كل شيء . لا تبلغ الألسن وصف قدرته . ولا العقول لج رحمته . له الشكر على ما نتقلب فيه من نعمته التي صحت بها الأبصار . ووعت بها الأسماع . ونطقت بها الألسن . وسكنت بها العروق وامتزجت بها الطبائع . فقلت : يا راهب ما أفضل الحكمة . فقال : خوف الله . فقلت : وما أكمل العقل . قال : معرفة الإنسان بقدرته . قلت : ما يعين على التخلص من الدنيا . قال : أن تجعل بقيـة يومك انقضاء أملك . فقلت : وما حملك على أن عقلت على نفسك في هذه الصومعـة . فقال : لأحبس هذا السبع عن الناس (وأومأ بيده إلى لسانه) . قلت : من أين تعيش . قال : من تدبير اللطيف الخبير الذي خلق الرحى وهو يأتيها بالطحين . قلت : لم لا تنزل إلينا وتخالطنا . فقال : لأن الأشياء الموبقة بأسرها بينكم والسلامـة من ذلك إنما تكون في الوحدة . قلت : وكيف صبرت على الوحدة . فقال : لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك . قلت : كيف لبست السواد . فقال : لأن الدنيا دار مأتم وأهلها في حداد . وإذا حزنت لبست السواد . فقلت : كيف تذكر الموت . فقال : ما أطرف طرفة عين إلا ظننت أني مت . قلت : ما لنا نحن نكره الموت . فقال : لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم . فأنتم تكرهون النقلة من العمران

إلى الخراب. قلت: يا راهب عظني. فقال: أبلغ العظات النظر إلى محلة الأموات. وفي تغيير الساعات والآجلات. وإن شيعت جنازة فكن كأنك المحمول مثل ذلك. ولا تنس من لا ينساك. وأحسن سريرتك. يحسن الله علانيتك. واعلم أن من خاف الله أخاف منه كل شيء. ومن لم يخف الله خاف من كل شيء. واطلب العلم لتعمل به ولا تطلبه للتباهي أو تماري به السفهاء. وإياك والأهواء فإنها موبقة. والهرب الهرب من الجهل. والهرب الهرب ممن يمدح الحسنات فيتجنبها ويذم السيئات فيرتكبها. ولا تشرب المسكر فإن عاجلته غرامة. وعاقبته ندامة. ولا تجالس من يشغلك بالكلام ويزين لك الخطأ ويوقعك في هذه الغموم. ويتبرأ منك وينقلب عليك. ولا تتشبه في طعامك وشرابك ولباسك بالعظماء ولا في مشيك بالجبابرة. وكن ممن يرجى خيره. ولا تكن ممن يخاف شره. واعلم أن من أحبه الله ابتلاه. ومن صبر رضي الله عنه. وإذا اعتللت فأكثر من ذكر الله وحمده وشكره. وإياك والنميمة فإنها تزرع في القلوب الضغائن وتفرق بين المحبين. وانظر ما استحسنته من غيرك فامتثله لنفسك. وما أنكرته من غيرك فتجنبه. وارض للناس ما ترضاه لنفسك. فإنه كمال الوصال والصلاح في الدين والدنيا. وقال: إني أستودعك لله وأقرأ عليك السلام. ثم إنه نهض إلى صلاته فسمعته يقول: إلهنا تقدس اسمك يأتي ملكوتك. تكون

مَشِيئَتُكَ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ . ٱرْزُقْنَا ٱلْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ . ٱغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَامَنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي ٱلتَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُمَجِّدَكَ إِلَى دَهْرِ ٱلدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ أَيْضًا : أَللّٰهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . أَللّٰهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا . فَصُنْعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . أَللّٰهُمَّ ٱجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنَعْمَائِكَ حَتَّى تَشْتَغِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا . أَللّٰهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ سُخْطِكَ وَنَبْتَغِيَ طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . أَللّٰهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ ٱلْعِزُّ وَٱلسُّلْطَانُ وَٱلْقُدْرَةُ . قَالَ ٱلشَّيْخُ : فَٱسْتَحْسَنْتُ ذٰلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَٱنْصَرَفْتُ وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قُثَمُ ٱلزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ ٱحْتَوَشَتْهُ ٱلسِّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَفْتَرِسَهُ أَوْ يَلْهُوَ فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ مَخَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ ٱلْمُغْتَرُّونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ ٱلْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ ٱلظَّمْآنَ يَقْنَعُ بِيَسِيرِ ٱلْمَاءِ

٢٣ إِنَّ ٱلْحَاسَّةَ ٱلْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مُؤَفَّةً بِرَمَدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنَ ٱلْأَشِعَّةِ ٱلْفَائِضَةِ مِنَ ٱلشَّمْسِ . كَذٰلِكَ ٱلْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُؤَفَّةً بِٱلْهَوَى وَٱتِّبَاعِ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلِٱخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ ٱلدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ ٱلْأَنْوَارِ ٱلْقُدْسِيَّةِ مَحْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ ٱللَّذَّاتِ ٱلْإِنْسِيَّةِ . وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

ذَا مُرْتَفِعٌ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْخَفِضٌ ذَا مُنْجَزِمُ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وُجِدُوا لَا يَعْتَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نُفُوسِهِمِ عَبَدُوا وَٱلنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمُ

(لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلْحِمْيَرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ ٱلضَّلَالَةِ بِٱلْهُدَى وَلَلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهْوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْيَبُ

٢٤ قَالَ ٱلْحَسَنُ : ٱبْنَ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ ٱلدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَّاتِهَا بِمَا يَنْقَضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْفَدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ ٱلْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ ٱلْأَمْوَالَ . فَإِذَا مُتَّ حَمَلْتَ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ ٱلْمَالُ
أَلْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسُرُّهُمُ فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دَارَتْ بِكَ ٱلْحَالُ
مَلُّوا ٱلْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَٱسْتَحْكَمَ ٱلْقِيلُ فِي ٱلْمِيرَاثِ وَٱلْقَالُ

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ إِذَا ٱخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ ٱلدَّارُ مَا ٱلْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ عَلَيْهَا وَلَا ٱللَّذَّاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِٱلْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمْعُهَا ٱلْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وقال ابن عمران :

أفّ لدنيا قد شغفنا بها جهلا وعقلا للهوى متّبع
فتّانة تخدع طلّابها فلا تكن ممّن بها ينخدع
أضغاث أحلام إذا حصلت أو كوميض البرق مهما لمع

٢٥ (من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب) أيها الناس إنما أنتم خلف ماضين وبقية المتقدّمين . كانوا أكثر منكم بسطة وأعظم سطوة . أزعجوا عنها أسكن ما كانوا إليها فغدرت بهم أوثق ما كانوا بها. فلم تغن عنهم قوّة عشيرة ولا قبل منهم بذل فدية . فارحلوا نفوسكم بزاد مبلّغ قبل أن تؤخذوا على فجأة . فقد غفلتم عن الاستعداد وجفّ القلم بما هو كائن . فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . ومهّدوا لها قبل أن تعذّبوا . وتزوّدوا للرحيل قبل أن تزعجوا . فإنما هو موقف عدل. وقضاء حقّ . ولقد أبلغ في الإعذار . من تقدّم في الإنذار

٢٦ (ومن كلامه) الدنيا دار بلاء . ومنزل قلعة وعناء . قد نزعت منها نفوس السعداء . وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء . فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها . وأشقاهم بها أرغبهم فيها . هي الغاشّة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها . والهالك من هوى فيها . طوبى لعبد اتّقى فيها ربّه ونصح نفسه وقدّم توبته وأخّر شهوته من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة . فيصبح في دمن غبراء . مدلهمّة ظلماء . لا يستطيع أن يزيد في حسنة . ولا أن ينقص من سيّئة . ثمّ ينشر فيحشر إمّا إلى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْبُلَغَاءِ : أَلدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ بَرَتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرْكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْنَعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنَتْ وَنَتْ . أَوْ مَاجَنَتْ جَنَتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ صَلَتْ . أَوْ بَالَغَتْ لَغَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ عَلَيْهِمِ وَجْدِي ... وَبَقِيتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي

مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي ٱلتُّرَابِ وَبَيْنَهُ ... شِبْرَانِ فَهْوَ بِغَايَةِ ٱلْبُعْدِ

لَوْ بُعْثِرَتْ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ ٱلثَّرَى ... لَمْ يُعْرَفِ ٱلْمَوْلَى مِنَ ٱلْعَبْدِ

مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ ٱلتُّرَابَ بِرِجْلِهِ ... يَطَأُ ٱلتُّرَابَ بِنَاعِمِ ٱلْخَدِّ

٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ :

أَمَا وَٱللهِ إِنَّ ٱلظُّلْمَ شُومٌ ... وَلَا زَالَ ٱلْمُسِيءُ هُوَ ٱلظَّلُومُ

إِلَى ٱلدَّيَّانِ يَوْمَ ٱلدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ ٱللهِ تَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ

سَتَعْلَمُ فِي ٱلْحِسَابِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا ... غَدًا عِنْدَ ٱلْمَلِيكِ مَنِ ٱلظَّلُومُ

سَتَنْقَطِعُ ٱللَّذَاذَةُ عَنْ أُنَاسٍ ... مِنَ ٱلدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ ٱلْهُمُومُ

لِأَمْرٍ مَا تَصَرَّفَتِ ٱللَّيَالِي ... لِأَمْرٍ مَا تَحَرَّكَتِ ٱلنُّجُومُ

سَلِ ٱلْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ ... سَتُخْبِرُكَ ٱلْمَعَالِمُ وَٱلرُّسُومُ

تَرُومُ ٱلْخُلْدَ فِي دَارِ ٱلْمَنَايَا فَكَمْ قَدْ رَامَ مِثْلُكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنكَ ٱلْمَنَايَا تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَؤُومُ
لَهَوْتَ عَنِ ٱلْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَدُومُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِجَرِّ ٱلرَّجَاءِ وَنَارِ ٱلْأَمَلْ
يُؤَمِّلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُوُّ ٱلْأَجَلْ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هٰذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمَنَايَا عَمَلْ

قَالَ آخَرُ:

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لِوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَوْا مَالَهُ ثُمَّ ٱسْتَهَلُّوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ ٱلْقَلْبِ

قَالَ غَيْرُهُ:

وَٱللهِ لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدَا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهْيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدَا

قَالَ آخَرُ:

إِنَّمَا هٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَٱلْجَهُولُ ٱلْجَهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَٱلْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ ٱلسَّاعَةُ ٱلَّتِي أَنْتَ فِيهَا

٢٩ أَوْرَدَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلْخَازِنِ:

عَنَتِ ٱلدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَٱسْتَرَاحَ ٱلزَّاهِدُ ٱلْفَطِنُ
كُلُّ مَلْكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَقْتَنِي مالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا ٱلْحَالَيْنِ مُفْتَتَنُ
أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ ٱللَّهِ مُرْتَهَنُ
أَكْرَهُ ٱلدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَٱلَّذِي تُنْحُو بِهِ وَسَنُ
لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا ٱلْهَمُّ وَٱلْحَزَنُ

وَأَنْشَدَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ أَنُوشَرْ وَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو ٱلْأَصْفَرِ ٱلْكِرَامُ مُلُوكُ ٱلرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ
وَأَخُو ٱلْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَٱلْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ فَبَادَ ٱلْـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قَالَ غَيْرُهُ :

تَأَمَّلْ فِي ٱلْوُجُودِ بِعَيْنِ فِكْرٍ تَرَى ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةَ كَالْخَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ

قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَٱنْظُرْ مَا ذَلِكَ ٱلشَّيْئَانِ
مَا فَاتَ مِنْهَا فَحُلْمٌ وَمَا بَقِي فَأَمَانِي

٣٠ إِسْتَنْشَدَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ ٱلرِّوَايَةِ فِي ٱلشِّعْرِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ . فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ ٱلْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلْبُ ٱلرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ ٱلْقُلَلُ

وَٱسْتُنزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ   وَأُودِعُوا حُفَرًا يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا
نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا   أَيْنَ ٱلْأَسِرَّةُ وَٱلتِّيجَانُ وَٱلْحُلَلُ
أَيْنَ ٱلْوُجُوهُ ٱلَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً   مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ ٱلْأَسْتَارُ وَٱلْكِلَلُ
فَأَفْصَحَ ٱلْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ   تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ عَلَيْهَا ٱلدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا   فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ ٱلْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا
وَطَالَمَا كَثَّرُوا ٱلْأَمْوَالَ وَٱدَّخَرُوا   فَخَلَّفُوهَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَٱرْتَحَلُوا
وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ   فَفَارَقُوا ٱلدُّورَ وَٱلْأَهْلِينَ وَٱنْتَقَلُوا
أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحْشًا مُعَطَّلَةً   وَسَاكِنُوهَا إِلَى ٱلْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
سَلِ ٱلْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ   أَيْنَ ٱلْجُنُودُ وَأَيْنَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْخَوَلُ
أَيْنَ ٱلْكُنُوزُ ٱلَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا   تَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ ٱلْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ ٱلْعَبِيدُ ٱلْأُلَى أَرْصَدْتَهُمْ عُدَدًا   أَيْنَ ٱلْعَدِيدُ وَأَيْنَ ٱلْبِيضُ وَٱلْأَسَلُ
أَيْنَ ٱلْفَوَارِسُ وَٱلْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا   أَيْنَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلذُّبُلُ
أَيْنَ ٱلْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ   لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيعًا وَهْوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ ٱلْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا   أَيْنَ ٱلْحُمَاةُ ٱلَّتِي يُحْمَى بِهَا ٱلدُّوَلُ
أَيْنَ ٱلرُّمَاةُ أَلَمْ تُمْنَعْ بِأَسْهُمِهِمْ   لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ ٱلْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا   عَنْكَ ٱلْمَنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِهَا ٱلْأَجَلُ
وَلَا ٱلرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحِ وْ بَذَلُوا   وَلَا ٱلرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا ٱلْحِيَلُ
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ   بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بِئْسَ مَا فَعَلُوا
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَمْشِي بِهِ أَحَدٌ   وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحْشًا لَا أَنِيسَ بِهِ · يَغْشَاكَ مِنْ كَنَفَيْهِ ٱلرَّوْعُ وَٱلْوَهَلُ
مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَّرَحًا · وَكُلُّهُمْ بِٱقْتِسَامِ ٱلْمَالِ قَدْ شُغِلُوا
لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ · وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْوَجَلُ
وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ ٱلْعَيْشِ مُتَّصِلًا · وَرُوحُهُ بِحِبَالِ ٱلْمَوْتِ مُتَّصِلُ
وَجِسْمُهُ لِلْبَانَاتِ ٱلرَّدَى غَرَضٌ · وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ

(وتُروى هذه القصيدة في ديوان عليّ بن ابي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قَالَ ٱلْمُعَلَّى ٱلصُّوفِيُّ: شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ ٱلزُّهَّادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَاقَتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ٱحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعَتَاكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمٌ ٱلْخَوَّاصُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ. وَإِيثَارِ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَٱلنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ وَشَوَّقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَاكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ ٱلدَّاعِيَ لَهُمَا إِلَى مَا أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ): إِنَّ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ ٱلْقَلْبَ أَمِيرَ ٱلْجَسَدِ وَمَلِكَ ٱلْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ ٱلْجَوَارِحِ تَنْقَادُ لَهُ وَكُلُّ ٱلْحَوَاسِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا وَسَائِقُهَا وَبِإِرَادَتِهِ تَنْبَعِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَقَلَّبُ. وَوَزِيرُهُ ٱلْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

الفهمُ . ورائدهُ العينانِ . وطليعتهُ الأذنانِ . وهما في النقلِ سواءٌ لا يكتمانهِ أمرًا ولا يطويانِ دونهُ سرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثهُ

٣٢ لقي رجلٌ حكيمًا فقال: كيف ترى الدهر قال يُخلق الأبدان ويُجدّد الآمال ويقرّب المنيّة . ويباعد الأمنيّة قال: فما حال أهلهِ . قال: من ظفر منهم لغب . ومن فاته نصب . قال: فما يُغني عنهُ . قال: قطع الرجاءِ منهُ . قال: فأيُّ الأصحابِ أبرُّ وأوفى . قال: العملُ الصالحُ والتقوى . قال أيُّهم أضرُّ وأردى . قال: النفسُ والهوى . قال: فأين المخرج . قال: سلوكُ المنهج (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قال بعض الحكماء: أفٍّ للدهرِ ما أكدر صافيهُ وأخيب راجيهُ . وأعدى أيّامهُ ولياليهُ . وقيل: يسارُ الدهرِ في الأخذِ أسرعُ من يمينهِ في البذلِ . لا يعطي بهذهِ إلّا ارتجع بتلك . وقال آخر: الدهرُ لا يؤمن يومهُ . ويُخاف غدهُ . يرضع ثديهُ وتجرح يدهُ . وقيل: الدهرُ يغرُّ ويمرُّ . ويسوءُ من حيث يسرُّ . وقال آخر الدهرُ لا تنتهي فيهِ المواهبُ . حتّى تتخلّلها المصائبُ . ولا تصفو فيهِ المشاربُ . حتّى تكدّرها الشوائبُ . (وفي فصل ابن المعتزّ): هذا زمانٌ متلوّنُ الأخلاقِ متداعي البنيانِ . موقظ الشرّ منيم الخيرِ . مطلق أعنّةِ الظلمِ . حابس روح العدلِ . قريبُ الأخذِ من الإعطاءِ والكآبةِ من البهجةِ والقطوبِ من البشرِ . مرُّ الثمرةِ بعيدُ المجتنى . قابضٌ على النفوسِ

بِكُربتِهِ. مُنيخٌ على الأَجسامِ بوحشتهِ. لا ينطقُ إلّا بالشكوى. ولا يسكتُ إلّا على غصصٍ وبلوى. (ومثلهُ فصلٌ للصاحِبِ): أَلزّمانُ حديدُ الظُّفرِ. لئيمُ الظَّفرِ. حلوُ الموردِ مُرُّ المصدرِ. أَثرُهُ عندَ المرءِ كأَثرِ السيفِ في الضريبةِ واللّيثِ في الفريسةِ. (ولشمسِ المعالي قابوسٍ): الدهرُ شرٌّ كلُّهُ. مفصَّلهُ ومجملهُ. إنْ أَضحكَ ساعةً أَبكى سنةً. وإن أَتى بسيِّئةٍ جعلها سُنَّةً. ومن أَرادَ منهُ غيرَ هذا سيرةً. أَرادَ من الأَعمى عيناً بصيرةً. ومن ابتغى منهُ الرعايةَ. ابتغى من الغولِ الهدايةَ

(طرائف اللطائف للمقدسي)

قالَ بعضهُم:

يا طالما طالَ حرصُ الناسِ في حذرٍ ... على الحياةِ فضاعَ الحرصُ والحذرُ

قد غرَّهم زخرفُ الدنيا وبهجتُها ... نعمَ الغصونُ ولكن بئسما الثمرُ

قالَ آخرُ:

ما أَنتَ إلّا كزرعٍ عندَ خضرتهِ ... بكلِّ شيءٍ من الآفاتِ مقصودُ

فإنْ سلمتَ من الآفاتِ أَجمعِها ... فأَنتَ عندَ كمالِ الأَمرِ محصودُ

قالَ بعضهُم يذكرُ فجائعَ الدهرِ:

وأَصبحتُ كالبازي المنتَّفِ ريشُهُ ... يرى حسراتٍ كلَّما طارَ طائرُ

يرى خرقاتِ الجوِّ يخرقنَ في الهوا ... فيذكرُ ريشاً من جناحيهِ وافرُ

وقد كانَ دهراً في الرياضِ منعَّماً ... على كلِّ ما يهوى من الصيدِ قادرُ

إلى أَنْ أَصابتهُ من الدهرِ نكبةٌ ... فأَصبحَ مقصوصَ الجناحينِ خاسرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي ٱلدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ ٱلْأُمَمُ وَٱلْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمُ
بِعَجَائِبِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرَ تَلْتَطِمُ
وَٱلْعُمْرُ يَسِيرُ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقِرُّ لَهُ قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضُحًى وَدُجًى ضَوْءٌ ظُلَمُ
وَٱلنَّاسُ بِحُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ ٱلْحُلُمُ
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ بُهُمٌ نَعَمٌ قُسِمَتْ لَهُمُ نِعَمُ
فِرَقُوا فِرَقًا فُرِقُوا فِرَقًا وَمَضَوْا طُرُقًا لَا تَلْتَئِمُ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا سُلَّمٌ فَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ صُعُودُ ٱلْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيْهَاتَ مَا فِيهِ يَزُولُ . وَإِنَّمَا شُرُوطُ ٱلَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

نَسِيرُ إِلَى ٱلْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ ٱلْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَقْبَحَ ٱلتَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَٱلشَّيْبُ فِي ٱلرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ ٱلتُّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ ٱلْمَوْتِ :

كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ ٱلْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي ٱلْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيَّا
ذَكَرْنَ مَنِيَّتِي فَنَعَيْتُ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدْ أُخَيَّكَ يَا أُخَيَّا

وَقَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلْهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرِ وَأَنْتَ مِنَ ٱلْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرِ
أَتَفْرَحُ وَٱلْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي ٱلْقُبُورِ
هِيَ ٱلدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ ٱلْحُزْنَ عَاقِبَةُ ٱلسُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَّعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى ٱلْمُعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ:

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَفَرِ ٱلتُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشُقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي ٱلرَّمْسِ ٱلْبَعِيدِ فَغَيِّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَالَتْ نَوَاظِرُ مُقْلَتَيْهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى ٱلْبِلَى هٰذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَٱنْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلُكُمُ وَجَارُكُمُ ٱلْمُفَدَّى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَنَسِيتُمُوهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَٱلْقَبْرَ مَسْكَنُهُ وَٱلْبَعْثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّـهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُـهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتُنْضِجُـهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى ٱلتَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْـهِ مِنْهُ أَسْمَجُـهُ
تَرَى ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ

وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى ٱلْمَوْتِ:

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ٱلْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبَرُّ بِنَـا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ ٱلنُّفُوسِ مِنَ ٱلْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنَّنِي أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأُعْتَقَا
فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَـا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَقَا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى ٱلْقُبُورِ مُسَلِّمًا عَلَى ٱلرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا أَنْكَرْتَ بَعْدِي خُلَّةَ ٱلْأَصْحَابِ
قَالَ ٱلرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
أَكَلَ ٱلتُّرَابُ مَحَاسِنِي فَنَسِيتُكُمْ وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي

٣٦ وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَٱسْعَيْ لِنَجَاةٍ فَٱلْحَازِمُ ٱلْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّـهُ لَيْسَ لِلْحَـيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْ فَ تَرُدِّينَ وَٱلْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينَ وَٱلْحَوَادِثُ لَا تَسْـهُو وَتَلْهِينَ وَٱلْمَنَايَا تُجِدُّ

أَيُّ مِلْكٍ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ لِٱمْرِئٍ حَظُّهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ لَحْدُ
لَا تُرَجِّي ٱلْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ ٱلْمَوْتِ وَدَارٍ حُتُوفُهَا لَكَ وِرْدُ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ:

سَلَوْتُ عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْمُدَامِ وَمِلْتُ عَنِ ٱلتَّهَتُّكِ وَٱلْهِيَامِ
وَسَلَّمْتُ ٱلْأُمُورَ إِلَى إِلٰهِي وَوَدَّعْتُ ٱلْغَوَايَةَ بِٱلسَّلَامِ
وَمِلْتُ إِلَى ٱكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقِدْمًا طَالَ عَزْمِي بِٱلْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عِنَانِي ٱلْهَوَى لٰكِنْ تُرَى بِيَدِي زِمَامِي
أَبَعْدَ ٱلشَّيْبِ وَهْوَ أَخُو سُكُونٍ يَلِيقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى ٱلْغَرَامِ
فَشُرْبُ ٱلرَّاحِ نَقْصٌ بَعْدَ هٰذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتَيْ بَدْرِ ٱلتَّمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مَيْدَانِ لَهْوٍ خُيُولَ هَوًى وَكَمْ ضُرِبَتْ خِيَامِي
سَأُوتِي ٱلْكَأْسَ تَعْبِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِٱبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى ٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْمَنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى ٱعْتِزَامِ

٣٨ صَعِدَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ٱلْمِنْبَرَ فَخَطَبَ ٱلْقَوْمَ بِٱلشِّعْرِ فَقَالَ:

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيِّ ٱلْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَٱلْجَهْدِ
مَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوِ ٱلضَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِي لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمُ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزِلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضِلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نُصْحِي فَإِنِّي نَاصِحُ إِنَّ ٱلطَّرِيقَ فَٱعْلَمَنَّ وَاضِحُ

مَنْ يَتَّقِي ٱللهَ يَجِدْ غِبَّ ٱلتُّقَى يَوْمَ ٱلْحِسَابِ صَائِرًا إِلَى ٱلْهُدَى
إِنَّ ٱلتُّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي ٱلْعَمَلْ أَرَى جِمَاعَ ٱلْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلْ
خَافُوا ٱلْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
قَدْ قِيلَ فِي ٱلْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمُ فَٱنْتَفِعُوا بِذَاكَ إِنْ عَقَلْتُمُ
مَا يَزْرَعُ ٱلزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصُدُهْ وَمَا يُقَدِّمْ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهْ
فَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ وَتُوبُوا فَٱلْمَوْتُ مِنْكُمْ فَٱعْلَمُوا قَرِيبُ

(الأغاني)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ:

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يُلْهِيكَ مُشْتَغِلُ عَنْ نُجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَمْرِ ٱلْهَوَى ثَمِلُ
تَمْضِي مِنَ ٱلدَّهْرِ بِٱلْعَيْشِ ٱلذَّمِيمِ إِلَى كَمْ ذَا ٱلتَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ ٱلْأَمَلُ
وَتَدَّعِي بِطَرِيقِ ٱلْقَوْمِ مَعْرِفَةً وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَٱلْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
فَٱنْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ ٱلْعَلْيَاءِ مُبْتَدِرًا عَزْمًا لِتَرْقَى مَكَانًا دُونَهُ زُحَلُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرُمَةً بَقَاؤُهَا بِبَقَاءِ ٱللهِ مُتَّصِلُ
وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ ٱلرَّجُلُ

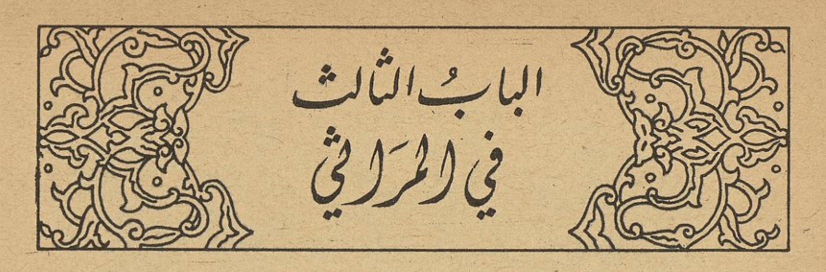
٤٠ قَالَ بَهَاءُ ٱلدِّينِ ٱلْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ ٱلْأَرْوَاحِ:

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ ٱلْأَمَانِي هَدَاكَ ٱللهُ مَا هٰذَا ٱلتَّوَانِي
أَضَعْتَ ٱلْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا فَمَهْلًا أَيُّهَا ٱلْمَغْرُورُ مَهْلَا
مَضَى عَصْرُ ٱلشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلْ وَفِي ثَوْبِ ٱلْعَمَى وَٱلْغَيِّ رَافِلْ
إِلَى كَمْ كَٱلْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمْ وَفِي وَقْتِ ٱلْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمْ

وَطَرْفُكَ لَا يُرَى إِلَّا طَمُوحًا ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جَمُوحًا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ ٱلْمَعَاصِي ... فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي
بَلَالُ ٱلشَّيْبِ نَادَى فِي ٱلْمَفَارِقْ ... بِحَيَّ عَلَى ٱلذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقْ
بِبَحْرِ ٱلْإِثْمِ لَا تُصْغِي لِوَاعِظْ ... وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي ٱلْمَوَاعِظْ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادِ ... وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي ٱزْدِيَادِ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ ٱلدَّنِيَّهْ ... مُجِدًّا فِي ٱلصَّبَاحِ وَفِي ٱلْعَشِيَّهْ
وَجُهْدُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا شَدِيدُ ... وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي ٱلْأُخْرَى مَرَامَهْ ... وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهْ

٤١ قَالَ بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ :

نَزَلَ ٱلْمَشِيبُ وَإِنَّهُ ... فِي مَفْرِقِي لَأَعَزُّ نَازِلْ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ ٱلشَّبَا ... بُ فَآهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلْ
بِٱللهِ قُلْ لِي يَا فُلَا ... نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أُسَائِلْ
أَتُرِيدُ فِي ٱلسَّبْعِينَ مَا ... قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْعِشْرِينَ فَاعِلْ
هَيْهَاتِ لَا وَٱللهِ مَا ... هٰذَا ٱلْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلْ
قَدْ كُنْتَ تُعْذَرُ بِٱلصِّبَا ... وَٱلْيَوْمَ ذَاكَ ٱلْعُذْرُ زَائِلْ
مَنَّيْتَ نَفْسَكَ بَاطِلًا ... وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلْ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ ٱلَّذِي ... تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَاحِلْ
ضَيَّعْتَ ذَا ٱلزَّمَنَ ٱلطَّوِيلَ وَلَمْ تَفُزْ فِيهِ بِطَائِلْ



الباب الثالث
في المراثي

رثاء داود الطائي

٤٢ لمّا ماتَ داودُ الطائيُّ تكلّمَ ابنُ السمّاكِ مُثنياً عليهِ فقال : إنَّ داودَ نظرَ إلى ما بينَ يديهِ من آخرتهِ فأغشى بصرُ القلبِ بصرَ العينِ فكأنّهُ لم ينظرْ إلى ما إليهِ تنظرونَ . وكأنّكم لم تنظروا إلى ما إليهِ نظرَ . وأنتم منهُ تعجبونَ وهو منكم يعجبُ . فلمّا رآكم مفتونينَ مغرورينَ قد أذهلتِ الدنيا عقولَكم وأماتتْ بحبّها قلوبَكم استوحشَ منكم . فكنتَ إذا نظرتَ إليهِ حسبتَهُ حيّاً وسطَ أمواتٍ . يا داودُ ما أعجبَ شأنَكَ بينَ أهلِ زمانِكَ أهنتَ نفسَكَ وإنّما تريدُ إكرامَها وأتعبتَها وإنّما تريدُ راحتَها . أخشنتَ المطعمَ وإنّما تريدُ طيبَهُ . وخشّنتَ الملبسَ وإنّما تريدُ لينَهُ . ثمَّ أمتَّ نفسَكَ قبلَ أنْ تموتَ وقبرتَها قبلَ أنْ تُقبرَ . وعذّبتَها قبلَ أنْ تعذّبَ سجنتَ نفسَكَ في بيتِكَ ولا محدّثَ لها لولا جليسٌ معها . ولا فراشَ تحتَكَ ولا سترَ على بابِكَ . ولا قلّةَ تبرّدُ فيها ماءَكَ ولا صحفةَ يكونُ فيها غداؤكَ وعشاؤكَ . يا داودُ ما تشتهي من الماءِ باردَهُ ولا من الطعامِ طيّبَهُ ولا من اللباسِ ليّنَهُ بلى ولكنْ زهدتَ فيهِ لما بينَ يديكَ . فما أصغرَ ما بذلتَ وما أحقرَ ما تركتَ في جنبِ ما رغبتَ وأمّلتَ . لم تقبلْ من الناسِ عطيّةً ولا من

ٱلإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مُتَّ شَهِرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربِّه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ ٱلْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ ٱلإِسْكَنْدَرِ لَمَّا جُعِلَ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ ٱلْمَلِكُ يَخْبَأُ ٱلذَّهَبَ وَقَدْ صَارَ ٱلْآنَ ٱلذَّهَبُ يَخْبَأُهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ ٱلْأَرَضِينَ وَتَمَلَّكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : ٱنْظُرْ إِلَى حُلْمِ ٱلنَّائِمِ كَيْفَ ٱنْقَضَى إِلَى ظِلِّ ٱلْغَمَامِ وَقَدِ ٱنْجَلَى . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مُلْكَ ٱلْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ ضِيقِ ٱلْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ ٱلْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) : أَمَاتَ هٰذَا ٱلْمَيْتُ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ لِئَلَّا يَمُوتَ وَقَدْ مَاتَ ٱلْآنَ . (وَقَالَ آخَرُ :) مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطَكَ فِي ٱلتَّجَبُّرِ أَمْسِ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ ٱلْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبُ . (وَقَالَ رَئِيسُ ٱلطَّبَّاخِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ ٱلنَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ ٱلْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ ٱلْمَوَائِدَ وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ ٱلْمَجْلِسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ :

وَا كَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ ٱلْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفًا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ

يَا رَحْمَةَ ٱللهِ جَاوِرِي جَدَثًا   دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَنَوِّرِي ظُلْمَةَ ٱلْقُبُورِ عَلَى   مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدِ
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ   وَطَيِّبَ ٱلرُّوحِ طَاهِرَ ٱلْجَسَدِ
يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ   لَيْسَ بِزُمَّيْلَةٍ وَلَا نَكِدِ
يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلْتَ عَثْرَتَهُ   يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِغَدِ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ   لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةَ ٱلْبَلَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخَيْتَ فِي ٱلْعِنَانِ لَهُ   حَازَ ٱلْعُلَا وَٱحْتَوَى عَلَى ٱلْأَمَدِ
أَيَّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ   وَأَيَّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ
وَأَيَّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ   وَأَيَّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضُدِ
يَا قَمَرًا أَجْحَفَ ٱلْخُسُوفُ بِهِ   قَبْلَ بُلُوغِ ٱلسَّوَاءِ فِي ٱلْعَدَدِ
أَيُّ حَشًا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسَفًا   وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجُدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ   فُجِعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَٱلْجَلَدِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا   لَحَقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاعِجُهَا   يَقْدَحُ نَارَ ٱلْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يَسْكُنُ إِلَّا فَارَقَ ٱلسَّكَنَا   وَلَا ٱمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا ٱمْتَلَا حَزَنَا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ ٱلسُّرُورُ بِهِ   لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَحْيَا ٱلدِّينَ وَٱلسُّنَنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحَزَنَا   وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْقَوْلُ وَاحَزَنَا
يَا سَيِّدِي وَمُرَاحَ ٱلرُّوحِ فِي جَسَدِي   هَلَّا دَنَا ٱلْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يمرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَحْدٍ وَيُلْبِسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَا
يَا أَطْيَبَ ٱلنَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ ذَاكَ ٱلرُّوحَ وَٱلْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطَى بِهِ ٱلدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتِ ٱلدُّنْيَا لَهُ ثَمَنَا

٤٦ قَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ فِي ٱلْأَمِينِ:

طَوَى ٱلْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي ٱلْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ ٱلْمَوْتَ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ
لَئِنْ عَمَرَتْ دُورٌ بِمَنْ لَا أُحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ ٱلْمَقَابِرُ

وَمَاتَ ٱبْنٌ لِأَعْرَابِيٍّ فَٱشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ ٱلْأَعْرَابِيُّ يُكَنَّى بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِثَوَابِكَ. فَقَالَ:

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ ٱلسُّلُوُّ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أُدْعَى بِهِ

وَقَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخَاهُ:

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ

٤٧ قَالَتِ ٱلْخَنْسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ ٱلنَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ ٱلْجَرِيَّ ٱلْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ ٱلْفَتَى ٱلسَّيِّدَا
طَوِيلُ ٱلنِّجَادِ رَفِيعُ ٱلْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُحَمِّلُهُ ٱلْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

جُمُوعُ ٱلضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ ... يَرَى أَفْضَلَ ٱلْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وَقَالَتْ أُخْتُ ٱلْوَلِيدِ ٱبْنِ طَرِيفٍ تَرْثِي أَخَاهَا ٱلْمَذْكُورَ :

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

فَتًى لَا يُرِيدُ ٱلْعِزَّ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَى ... وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسُيُوفِ

فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ ٱلرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا ... فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأُلُوفِ

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ ٱلْجَوَادِ إِذَا عَدَا ... وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ وَقْفًا فَإِنَّنِي ... أَرَى ٱلْمَوْتَ وَقَّاعًا بِكُلِّ شَرِيفِ

قَالَ ٱبْنُ مَعْتُوقٍ يَرْثِي ٱلْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقَضِي ... وَتَصَبُّرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذَّرَا

وَارَحْمَتَاهُ لِصَارِخَاتٍ حَوْلَهُ ... تَبْكِي لَهُ وَلِوَجْهِهَا لَنْ تَسْتُرَا

مُلْقًى عَلَى وَجْهِ ٱلتُّرَابِ تَظُنُّهُ ... دَاوُدَ فِي ٱلْمِحْرَابِ حِينَ تَسَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى ٱلْهَاوِي ٱلصَّرِيعِ كَأَنَّهُ ... قَمَرٌ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ ٱلْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ ... لَوْ أَنَّهَا ٱتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْحُرَا

لَهْفِي عَلَى ٱلْعَبَّاسِ وَهْوَ مُجَنْدَلٌ ... عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا

لَحِقَ ٱلْغُبَارُ جَبِينَهُ وَلَطَالَمَا ... فِي شَأْوِهِ لَحِقَ ٱلْكِرَامَ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ ... وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ

وَلٰكِنَّ ٱلرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ ... يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

وَقَالَ ٱلصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي ٱلثَّرَى تَبْلَى مَحَاسِنُهُ أَللهُ يُولِيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانَا
إِنْ كُنْتَ جُرِّعْتَ كَأْسَ ٱلْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ ٱلْمَوْتَ أَحْيَانَا

رَثَى بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْقَاضِيَ ٱلْبَاقِلَانِيَّ ٱلْبَصْرِيَّ:

أُنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي ٱلرِّجَالُ بِهِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ ٱلصَّلَفِ
وَٱنْظُرْ إِلَى صَارِمِ ٱلْإِسْلَامِ مُغْتَمِدًا وَٱنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ ٱلْإِسْلَامِ فِي ٱلصَّدَفِ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُوَدِّعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ خَلِيلِ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيءَ مَنِيَّتِي وَيُفْرَدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي

قَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخَاهُ:

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي حَبِيبٌ رُزِئْتُ ذَوِي ٱلْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَا
وَكَانَ عَلَى ٱلزَّمَانِ أَخِي حَبِيبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينَا
فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ ٱلْأَعَادِي فَمَا نُلْقَى لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَا

قَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلصُّولِيُّ يَرْثِي ٱبْنًا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعْرِعًا:

كُنْتَ ٱلسَّوَادَ لِمُقْلَتِي فَبَكَى عَلَيْكَ ٱلنَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

٤٩ كَانَ ٱبْنُ بَسَّامٍ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى ٱلْمُنَجِّمَ:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ ٱلزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ ٱلْوَاجِبِ
وَلَوِ ٱسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِّي حَمَلْتَ نَوَائِبِي

قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ فِي ٱبْنٍ لَهُ تُوُفِّيَ صَغِيرًا:

إنْ يكُنْ ماتَ صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كانَ ريحانِي فأمسى وهوَ ريحانُ القبورِ
غرستهُ في بساتينِ البلى أيدي الدهورِ

قالَ متممُ بنُ نويرةَ يرثي أخاهُ مالِكًا:

لقدْ لامني عِندَ القبورِ على البكا رفيقي لِتذرافِ الدموعِ السوافكِ
فقالَ أتبكِي كلَّ قبرٍ رأيتهُ لِقبرٍ ثوى بينَ اللوى فالدكادكِ
فقلتُ لهُ إنَّ الشجا يبعثُ الشجا فدعْنِي فهذا كلُّهُ قبرُ مالِكِ

قالَ آخرُ:

لِكلِّ أُناسٍ مقبرٌ بِفنائِهِمْ فهُمْ ينقُصونَ والقبورُ تزيدُ
وما إنْ يزالُ رسمُ دارٍ قدْ أخلقتْ وبيتٌ لِميتٍ بالفناءِ جديدُ
هُمُ جيرةُ الأحياءِ أمَّا جوارُهُمْ فدانٍ وأمَّا الملتقى فبعيدُ

٥٠ قالَ الغطمّشُ الضبّيُّ:

إلى اللهِ أشكو لا إلى النَّاسِ أنَّني أرى الأرضَ تبقى والأخلاءُ تذهبُ
أخِلّاءُ لوْ غيرُ الحِمامِ أصابكُمْ عتبتُ ولكِنْ ما على الموتِ معتبُ

قالَ آخرُ:

أجارِيَ ما أزدادُ إلَّا صبابةً إليكَ وما تزدادُ إلا تنائيا
أجارِيَ لوْ نفسٌ فدتْ نفسَ ميتٍ فديتُكَ مسرورًا بنفسِي وماليا
وقدْ كنتُ أرجو أنْ أملاكَ حقبةً فحالَ قضاءُ اللهِ دونَ رجائيا
ألا فليمُتْ منْ شاءَ بعدكَ إنَّما عليكَ مِنَ الأقدارِ كانَ حِذاريا

٥١ قَالَ أَبُو ٱلشَّغْبِ ٱلْعَبْسِيُّ فِي خَالِدٍ ٱلْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلنَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا ... أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِي ٱلسَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمُ ٱلسِّجْنَ خَالِدًا ... وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ ٱلْمُتَثَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ يَبْنِي ٱلْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ ... وَيُعْطِي ٱللُّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا ٱلْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا ٱسْمَهُ ... وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي ٱلْقَبَائِلِ

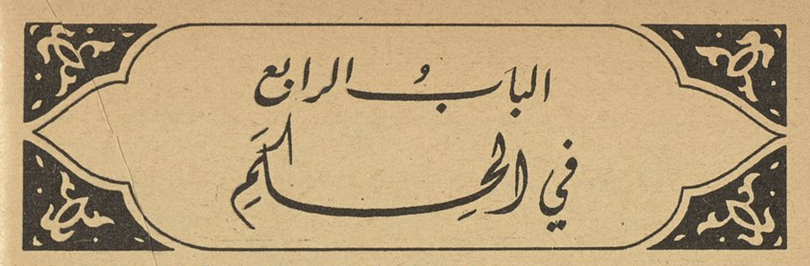
قَالَتْ صَفِيَّةُ ٱلْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقَا ... حِينًا بِأَحْسَنِ مَا يَسْمُو لَهُ ٱلشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا ... وَطَابَ فَيْآهُمَا وَٱسْتُنْظِرَ ٱلثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَيْبُ ٱلزَّمَانِ وَمَا ... يُبْقِي ٱلزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ ... يَجْلُو ٱلدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا ٱلْقَمَرُ

٥٢ وَقَالَ ٱلتَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ ... يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
أَمَّا ٱلْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ ... بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَٱلدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ ... فَٱلنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ ... خَيْرًا لِأَنَّكَ بِٱلثَّنَاءِ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
فَٱلنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ ... فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرُ

(الحماسة لابي تمّام)



٥٣ قيل : لا تستصغرنَّ أمر عدوك إذا حاربته . لأنك إن ظفرت به لم تحمد وإن ظفر بك لم تعذر . والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف . وقيل : العدو المحتقر ربما اشتد . كالغصن النضر ربما صار شوكا . وقيل : لا تأمنن العدو الضعيف أن يورطك . فالرمح قد يقتل به وإن عدم السنان والزج . قال الموسوي :

أالفيل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض

٥٤ يقال إن ابن القرية دخل على الحجاج وقال له : ما الكفر . فقال : البطر بالنعمة واليأس من الرحمة . فقال : ما الرضاء . فقال : القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاثرة . فقال : ما الصبر . فقال : كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد . فقال : ما الحلم . فقال : إظهار الرحمة عند القدرة والرضاء عند الغضب . فقال : ما الكرم . فقال : حفظ الصديق وقضاء الحقوق . فقال : ما الحمية . فقال : الوقوف على رأس من هو دونك . فقال : ما الشجاعة . فقال : الحملة في وجوه الأعداء والكفار . والثبات في موضع الفرار . وإرضاء الرجال . قال : ما العدل . قال : ترك المراد . وصحة السيرة والاعتقاد . فقال :

ما الإنصاف. قال: المساواة عند الدعاوى بين الناس. فقال: ما الذل. قال: المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق. فقال: ما الحرص. قال: حدة الشهوة عند الرجاء. فقال: ما الأمانة. قال: قضاء الواجب. فقال: ما الخيانة قال: التراخي مع القدرة. فقال: ما الفهم. قال: التفكر وإدراك الأشياء على حقائقها (للغزالي)

٥٥ (فائدة جامعة ولمعة ساطعة ومقالة نافعة عن علي بن أبي طالب) قال: للمؤمن على أخيه المؤمن ثلاثون حقا لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو. يغفر زلته. ويرحم عبرته. ويستر عورته. ويقيل عثرته. ويقبل معذرته. ويرد غيبته. ويديم نصيحته. ويحفظ خلته. ويرعى ذمته. ويعود مرضته. ويشهد ميتته. ويجيب دعوته. ويقبل هديته. ويكافي صلته. ويشكر نعمته. ويحسن نصرته. ويحفظ حرمته. ويقضي حاجته. ويقبل شفاعته. ولا يخيب مقصده. ويشمت عطسته. ويرشد ضالته. ويرد سلامه. ويطيب كلامه. ويبر إنعامه. ويصدق أقسامه. وينظر ظالما يرده عن ظلمه ومظلوما بإعانته على وفاء حقه. ويواليه ولا يعاديه. ولا يخذله ولا يشتمه. ويحب له من الخير ما يحب لنفسه. ويكره له من الشر ما يكره لنفسه فلا يترك واحدا منها إلا طالبه به يوم القيامة (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قال حكيم: المؤمن شريف ظريف لطيف لا لعان ولا نمام. ولا مغتاب ولا قتات. ولا حسود ولا حقود. ولا بخيل ولا مختال. يطلب

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا. وَمِنَ ٱلْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا. إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ. غَضِيضُ ٱلطَّرْفِ. سَخِيُّ ٱلْكَفِّ. لَا يَرُدُّ سَائِلًا. وَلَا يَبْخَلُ بِنَائِلٍ. مُتَوَاصِلُ ٱلْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ ٱلْإِحْسَانِ. يَزِنُ كَلَامَهُ وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ. وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي ٱلْحَقِّ أَمَلَهُ. مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ. كَأَنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. لَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ. وَلَا يَقْبَلُ ٱلْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ. كَثِيرُ ٱلْمَعُونَةِ قَلِيلُ ٱلْمُؤْنَةِ. يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَثْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ. فَهٰذِهِ صِفَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَالِصِينَ (للدميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْجَارِي مَجْرَى ٱلْأَمْثَالِ): قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا رَغِبَتِ ٱلْمُلُوكُ عَنِ ٱلْعَدْلِ رَغِبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ عَنِ ٱلطَّاعَةِ. (أَفْرِدُونُ) ٱلْأَيَّامُ صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ. (أَنُوشِرْوَانُ ٱلْمَلِكُ) إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ. (أَبْرَوِيزُ) أَطِعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِعْكَ مَنْ دُونَكَ. قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ:

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً ... تُشْجِي بِطُولِ تَلَهُّفٍ وَتَنَدُّمِ

لَمَّا عَزَمَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى ٱلْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَزِعَ مِنْ ذٰلِكَ عِيسَى بْنُ مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ ... فَإِنَّ فَسَادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا

فَأَجَابَهُ ٱلْمَنْصُورُ:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ   فَإِنَّ فَسَادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُمْهِلِ ٱلْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِغُدْوَةٍ   وَبَادِرْهُمُ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا
(ٱلْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ ٱلْهَوَى بَطَلَ ٱلرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ ٱلْقِرِّيَّةِ): ٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقُ وَفَاجِرٌ. فَٱلْعَاقِلُ ٱلدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَٱلْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَٱلرَّأْيُ ٱلْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُئِلَ أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ ٱلْعِلْمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى. وَأَمَّا ٱلْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهِلَ. وَإِنِ ٱسْتُنْزِلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى ٱلْقَبِيحِ حُمِلَ. وَأَمَّا ٱلْفَاجِرُ فَإِنِ ٱئْتَمَنْتَهُ خَانَكَ. وَإِنْ حَدَّثْتَهُ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ. وَإِنِ ٱسْتُكْتِمَ لَمْ يَكْتُمْ. وَإِنْ عُلِّمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُقِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحُ مُلْكِكَ وَٱسْتِقَامَةُ رَعِيَّتِكَ. قَالَ: مَا هُنَّ. قَالَ: لَا تَعِدْ عِدَةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يَغُرَّنَّكَ ٱلْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ ٱلْمُنْحَدَرُ وَعْرًا. وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَٱتَّقِ ٱلْعَوَاقِبَ. وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ دَابٍ: فَحَدَّثْتُ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ ٱلْمَهْدِيَّ وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ: وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُقْمَتَكَ. فَقَالَ: حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمٌّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا. ٱلدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ

وَٱلزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَٱلْمَالُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَٱلزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَٱلْكَلَامُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَذِكْرُ ٱللهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ ٱلدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ وَٱلْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : ٱلصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ ٱلْعُمُومِ وَصَوْمُ ٱلْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ ٱلْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ ٱلْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ ٱلْبَطْنِ عَنِ ٱلشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ ٱلْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ ٱلسَّمَاعِ وَٱلْبَصَرِ وَٱللِّسَانِ وَٱلْيَدِ وَٱلرِّجْلِ وَسَائِرِ ٱلْجَوَارِحِ عَنِ ٱلْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ خُصُوصِ ٱلْخُصُوصِ فَصَوْنُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْهُمُومِ ٱلدَّنِيَّةِ وَٱلْأَفْكَارِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى ٱللهِ بِٱلْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فَصْلٌ) مِنْ نَوَادِرِ بُزُرْجُمْهَرَ حَكِيمِ ٱلْفُرْسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي ٱلنُّصَحَاءُ وَوَعَظَنِي ٱلْوُعَّاظُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعِظْنِي أَحَدٌ مِثْلُ شَيْبِي وَلَا نَصَحَنِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدِ ٱسْتَضَأْتُ بِنُورِ ٱلشَّمْسِ وَضَوْءِ ٱلْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِضِيَاءٍ أَضْوَأَ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكْتُ ٱلْأَحْرَارَ وَٱلْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي ٱلْأَعْدَاءُ فَلَمْ أَرَ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَٱحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنَ ٱلْخَلْقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرَّ ٱلْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا ٱلْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا وَزَاحَمَتْنِي ٱلْمَضَايِقُ فَلَمْ يَزْحَمْنِي مِثْلُ ٱلْخُلُقِ ٱلسُّوءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ ٱلْبُعْدِ وَأَطْوَلِ ٱلطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى ٱلْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى ٱلرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرَ نَارًا أَحَرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي . إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي وَطَالَبَتْنِي ٱلطُّلَّابُ فَلَمْ

يدركني مدركٌ مثل إساءتي . ونظرتُ ما الداءُ القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي سبحانه . والتمستُ الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح لها من تركها ما لا يعنيها . وركبتُ البحار ورأيتُ الأهوال فلم أر هولاً مثل الوقوف على باب سلطانٍ جائرٍ . وتوحشتُ في البرية والجبال فلم أر أوحش من قرين السوء . وعالجتُ السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلتُ الطيب وشربتُ المسكر فلم أجد شيئاً ألذ من العافية والأمن . وتوسطتُ الشياطين والجبال فلم أجزع إلا من الإنسان السوء . وأكلتُ الصبر وشربتُ المر فلم أر شيئاً أمرّ من الفقر . وشهدتُ الحروب ولقيتُ الجيوش وباشرتُ السيوف وصارعتُ الأقران فلم أر قرناً أغلب من المرأة السوء . وعالجتُ الحديد ونقلتُ الصخر فلم أر حملاً أثقل من الدين . ونظرتُ فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم أر أذل من ذوي فاقةٍ وحاجةٍ . ورُشقتُ بالنشاب ورُجمتُ بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالبٍ بحقٍّ . عُمّرتُ السجن وشُددتُ في الوثاق وضُربتُ بعمد الحديد فلم يهدمني شيءٌ مثل ما هدمني الغمّ والهمّ والحزن . واصطنعتُ الإخوان وانتخبتُ الأقوام للعدة والشدة والنائبة فلم أر شيئاً أخير من الكرم عندهم . وطلبتُ الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع . وتصدقتُ بالذخائر فلم أر صدقةً أنفع من ردّ ذي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ ٱلْوَحْدَةَ وَٱلْغُرْبَةَ وَٱلْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ مُقَاسَاةِ ٱلْجَارِ ٱلسُّوءِ . وَشَيَّدْتُ ٱلْبُنْيَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأُذْكَرَ فَلَمْ أَرَ شَرَفًا أَرْفَعَ مِنِ ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ . وَلَبِسْتُ ٱلْكُسَى ٱلْفَاخِرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ ٱلصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ ٱلْأَشْيَاءِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ

٦٢ (فَصْلٌ) مِنْ حِكَمِ شَاتَاقَ ٱلْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ ٱلَّذِي سَمَّاهُ مُنْتَحَلَ ٱلْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ٱبْنِ قُمَابِصَ ٱلْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا ٱلْوَالِي ٱتَّقِ عَثَرَاتِ ٱلزَّمَانِ وَٱخْشَ تَسَلُّطَ ٱلْأَيَّامِ وَلُؤْمَ غَلَبَةِ ٱلدَّهْرِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَٱتَّقِ ٱلْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَٱلزَّمَانُ مُتَقَلِّبٌ مُتَحَوِّلٌ فَٱحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَئِيمُ ٱلْكَرَّةِ فَخَفْ سَطْوَتَهُ . سَرِيعُ ٱلْغَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ ٱلْآثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ ٱلشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَّهُ وَٱسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ مَعَ قِلَّتِهَا وَذِلَّتِهَا صَعُبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ ٱلْأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ ٱلرَّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي ٱلْبِلَادِ وَأَطْرَافِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ ٱلضَّبْطِ . فَلْيَبْدَإِ ٱلْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَهْرِ حَوَاسِّهِ ٱلْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ ٱلْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ صُوَيْحِبَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى ٱلنَّفْسِ

ٱلْقَوِيَّةِ ٱلْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا ٱجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْأُخْرَى فَأَقْهَرْهَا تَسْلَمْ مِنْ شَرِّهَا . وَإِنَّمَا يَهْلِكُ ٱلْحَيَوَانُ بِٱلشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْفَرَاشَ يَكْرَهُ ٱلشَّمْسَ فَيَسْتَكِنُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ ٱلنَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَٱلظَّبْيُ عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصَبُّ لِسَمَاعِ ٱلْمَلَاهِي فَيُمَكِّنُ ٱلْقَانِصَ مِنْ نَفْسِهِ . وَٱلسَّمَكُ فِي ٱلْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ ٱلطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ ٱلسَّنَّارَةُ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِٱلْمَلِكِ أَنْ يُشَبِّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطِبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ : ٱلْغَيْثِ وَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلرِّيحِ وَٱلنَّارِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْمَوْتِ . فَأَمَّا شَبَهُ (ٱلْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ ٱلسَّنَةِ كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا لِتَتِمَّةِ ٱلسَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي ٱلْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكَمَةٍ وَشَرَفٍ وَغَائِطٍ مُسْتَفِلٍ . وَيَغْمُرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجْبِي ٱلْمَلِكُ فِي ٱلثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْبِي ٱلشَّمْسُ بِحَرِّهَا وَحِدَّةِ فِعْلِهَا نَدَاوَةَ ٱلْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرِ ٱلْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَهُ (ٱلرِّيحِ) فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لَطِيفَةُ ٱلْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ ٱلْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ كَذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ بِجَوَاسِيسِهِ وَعُيُونِهِ لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَالْقَمَرِ إِذَا اسْتَهَلَّ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ بِضَوْئِهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِينَاسِهِ رَعِيَّتَهُ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخُصُّ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِعَدْلِهِ. (وَكَالنَّارِ) عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ. (وَكَالْأَرْضِ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالِاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ. (وَكَعَاقِبَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ. (وَكَالْمَاءِ) فِي لِينِهِ لِمَنْ لَايَنَهُ. وَهَدْمِهِ وَاقْتِلَاعِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ (للطرطوشي)

اشعار حكمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاه:

أَلسَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ ... بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِي عُبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ ... قَدِ اضْمَحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ

وَقَالَ أَيْضًا:

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ ... شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا ... أَوْرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبِدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمُ ... لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا

وَقَالَ أَيْضًا:

أَرَى النَّاسَ يُولُونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وُجُوهَهُمْ ... وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ ... فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ:

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكْ
ذَاكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَالْزَمْهُ فِيمَا تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكْ

قَالَ آخَرُ:

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً مَا زَادَ ذٰلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا

قَالَ غَيْرُهُ:

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضَيَّعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ غَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا

قَالَ آخَرُ:

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زَرَعَا

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخُزَاعِيُّ:

إِقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لِهَمِّ أَخِيكَ فَارِجْ
فَلَخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجْ

٦٦ قَالَ الْقُطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وَقَالَ آخَرُ:

وَإِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

فَما حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بِالخَلَقِ ... وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالعَلَقِ

خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا ... مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي

إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي ... وَكَانَ مَا لِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي

لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي ... عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي المَنْهَلِ الرَّنِقِ

٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجَا ... أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا

كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا

وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ ... فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

٦٨ قَالَ المُتَنَبِّي :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

قَالَ آخَرُ :

فَقْرُ ٱلْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا ٱصْفِرَارُ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ ٱلْمَغِيبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ ٱلْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبْ
يَجُولُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي ٱلْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَٱللهِ مَا ٱلْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِي بِٱلْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبْ

قَالَ نَاهِضُ ٱلْكِلَابِيُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ ٱلْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
وَأَنَّ ٱلْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا فَيُهْصَرُ لَا يَكُونُ لَهُ ٱقْتِدَاحُ

قَالَ آخَرُ :

مَا مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ ٱلْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِٱلشَّيْءِ فَٱنْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ ٱلْخُرُوجُ بَعْدَ ٱلدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ٱبْنِهِ حُسَيْنٍ

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ فَٱفْهَمْ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ ٱلْمُتَأَدِّبُ
وَٱحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغْذُوكَ بِٱلْآدَابِ كَيْلَا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ ٱلرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِٱلْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لَا تَجْعَلَنَّ ٱلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتُقَى إِلٰهِكَ فَٱجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ ٱلْإِلٰهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَٱلْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَٱلرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ سَبَبًا إِلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ ٱلسُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَٱلطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ ٱلذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ فَمَنِ ٱلَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَٱعْبُدْ إِلٰهَكَ ذَا ٱلْمَعَارِجِ مُخْلِصًا ... وَٱنْصِتْ إِلَى ٱلْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَّةٍ ... تَصِفُ ٱلْعَذَابَ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَسْكُبُ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لَا تَجْعَلَنِّي فِي ٱلَّذِينَ تُعَذِّبُ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ... هٰذَا وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ ٱلْمَهْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ... وَصْفُ ٱلْوَسِيلَةِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلْمُعْجِبُ
فَٱسْأَلْ إِلٰهَكَ بِٱلْإِنَابَةِ مُخْلِصًا ... دَارَ ٱلْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَٱجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا ... وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ
بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ... خَوْفَ ٱلْغَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّءٍ فَٱغْمِضْ لَهُ ... كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ
وَٱلضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ... حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ
وَٱجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ ... حَفِظَ ٱلْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَقْرُبُ
وَٱطْلُبْهُمُ طَلَبَ ٱلْمَرِيضِ شِفَاءَهُ ... وَدَعِ ٱلْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ ٱلْمُنَى بِلِسَانِهِ ... وَيَرُوغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ
وَٱحْذَرْ ذَوِي ٱلْمَلَقِ ٱللِّئَامَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطِبُ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ ٱلْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ... وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُوا
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... وَٱلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بِبِرِّ ٱلْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَبِرِّ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَبِرِّ ٱلْأَبَاعِدِ
فَلَا تَصْحَبَنْ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا ... عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفَّ ٱلْأَذَى وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱتَّقِ   فَدَيْتُكَ فِي وِدِّ ٱلْخَلِيلِ ٱلْمُسَاعِدِ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى   بِهِمَّةِ مَحْمُودِ ٱلْخَلَائِقِ مَاجِدِ
وَكُنْ وَاثِقًا بِٱللهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ   يَصُنْكَ مَدَى ٱلْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
وَبِٱللهِ فَٱسْتَعْصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ   وَلَا تَكُ فِي ٱلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدِ
وَغُضَّ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَٱجْتَنِبْ   أَذَى ٱلْجَارِ وَٱسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ ٱلْمَحَامِدِ
وَلَا تَبْنِ فِي ٱلدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤَمِّلٍ   خُلُودًا فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ
وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي ٱللهِ وُدُّهُ   فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ فِي ٱلْحَيَاةِ تَزَوُّدًا   فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدِّعُ
وَٱهْتَمَّ لِلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ فَإِنَّهُ   أَنْأَى مِنَ ٱلسَّفَرِ ٱلْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
وَٱجْعَلْ تَزَوُّدَكَ ٱلْمَخَافَةَ وَٱلتُّقَى   فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَٱقْنَعْ بِقُوتِكَ فَٱلْقَنَاعُ هُوَ ٱلْغِنَى   وَٱلْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ
وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱللِّئَامِ فَإِنَّهُمْ   مَنَعُوكَ صَفْوَ وِدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
أَهْلُ ٱلْمَوَدَّةِ مَا أَنَلْتَهُمُ ٱلرِّضَا   وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمُّهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
لَا تُفْشِ سِرًّا مَا ٱسْتَطَعْتَ إِلَى ٱمْرِئٍ   يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يُسْتَوْدَعُ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا   فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ   قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنَّ ذَٰلِكَ يُشْنَعُ
فَٱلصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِٱلْفَتَى   وَلَعَلَّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ
وَدَعِ ٱلْمُزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ   جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاظَ جَارٍ لَا تُضِعْهُ فَإِنَّهُ ... لَا يَبْلُغُ ٱلشَّرَفَ ٱلْجَسِيمَ مُضَيِّعُ
وَإِذَا ٱسْتَقَالَكَ ذُو ٱلْإِسَاءَةِ عَثْرَةً ... فَأَقِلْهُ إِنَّ ثَوَابَ ذٰلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا ٱؤْتُمِنْتَ عَلَى ٱلسَّرَائِرِ فَٱخْفِهَا ... وَٱسْتُرْ عُيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَطَلَّعُ
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ إِنَّمَا ... خَرِقُ ٱلرِّجَالِ عَلَى ٱلْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ ... إِنَّ ٱلْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعْضَعُ

٧٢ وَقَالَ أَيْضًا:

صُنِ ٱلنَّفْسَ وَٱحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا ... تَعِشْ سَالِمًا وَٱلْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
وَلَا تُرِيَنَّ ٱلنَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلًا ... نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ ٱلْيَوْمِ فَٱصْبِرْ إِلَى غَدٍ ... عَسَى نَكَبَاتُ ٱلدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَيَغْنَى غَنِيُّ ٱلْمَالِ وَهْوَ ذَلِيلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ ٱمْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ ... إِذَا ٱلرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ ... وَعِنْدَ ٱحْتِمَالِ ٱلْفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ ٱلْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ ... وَلٰكِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ قَلِيلُ

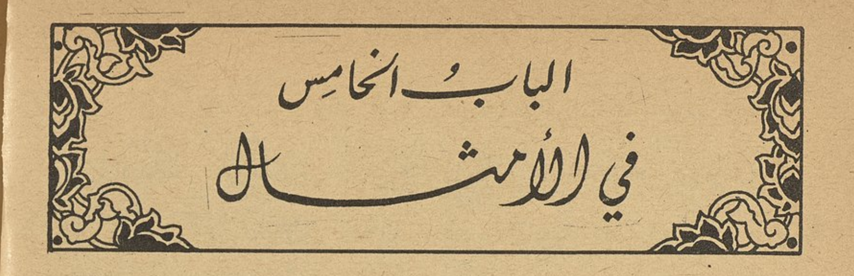
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ قَالَ:

أَلْمَرْءُ يَجْمَعُ وَٱلزَّمَانُ يُفَرِّقُ ... وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَٱلْخُطُوبُ تُمَزِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ ... مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا ... إِنَّ ٱلصَّدِيقَ عَلَى ٱلصَّدِيقِ مُصَدَّقُ
وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا ... يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ ٱلْمَنْطِقُ
وَمِنَ ٱلرِّجَالِ إِذَا ٱسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ ... مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا ٱسْتُشِيرَ فَيُطْرِقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
لَا أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ أُلْفِيتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
لٰكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِيكِ عَلَيْهِمِ هٰذَا عَلَيْهِ مُوَسَّعٌ وَمُضَيَّقُ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقَيَا وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَقْرَقُ
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا امْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكَتْهُ حِينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

٧٤ قَالَ دِيزُ بْنُ عَبْدِ اللهِ:

لِكُلِّ ضِيقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَهْ وَالصُّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهْ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهْ
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يَا قَوْمُ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَهْ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلَ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ



الباب الخامس
في الأمثال

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكَمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيّ) وَهٰذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكَمًا لَطِيفَةً وَأَلَّفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكَمِهِ قَالَ: مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ ٱلسُّؤَالِ رُكُوبُ ٱلْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ ٱلنَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةِ نَفْسِهِ . أَلْعَدِيمُ مَنِ ٱحْتَاجَ إِلَى لَئِيمٍ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ ٱلسِّلَاحُ . فِي بَعْضِ ٱلْمِزَاحِ . رُبَّ عِتْقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزْرٍ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ ٱلْجَهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ ٱلْجُهَّالَ فَلْيَسْتَعِدَّ لِقِيلٍ وَقَالٍ . أَلْمِزَاحُ يُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ ٱلْمَسِيرَ أَدْرَكَ ٱلْمَقِيلَ . جَارُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ ٱلْبَحْرِ لَا يَخَافُ ٱلْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ ٱللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ ٱلسَّمَكَ فِي ٱلْمَفَازَةِ . عِدَةُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَةُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . أَلْأَنَامُ فَرَائِسُ ٱلْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ ٱلْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ ٱلْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ ٱلْجَدَدَ أَمِنَ ٱلْعِثَارَ (للطرطوشي)

نبذ من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ ٱلسُّمَّ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلتِّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي ٱلسِّرِّ . عَادَاتُ ٱلسَّادَاتِ سَادَاتُ ٱلْعَادَاتِ . ٱللُّطْفُ رُشْوَةُ مَنْ لَا رُشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ ٱللهَ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ يُبْخَسْ رِبْحُهُ . أَدْوِيَةُ ٱلدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُمُومِهَا . وَنَسِيمُهَا لَا يَفِي بِسَمُومِهَا . مَنْ زَرَعَ ٱلْإِحَنَ . حَصَدَ ٱلْمِحَنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوْطٍ . وَإِنْ كَانَ بَعِيدَ ٱلشَّوْطِ . شُعَاعُ ٱلشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ ٱلْحَقِّ لَا يُطْفَى . أَعْمَالُكَ نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُنْضِجْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ ٱلْأَحْمَقُ لَذَّةَ ٱلْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ بِٱلْوَرْدِ صَاحِبُ ٱلزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ . وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا ٱدَّخَرْتَ ٱلتَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبِسْتَ ٱلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا ٱكْتَسَبْتَ ٱلْحَسَنَاتُ . كَفَى بِٱلظَّفَرِ شَفِيعًا بِٱلذَّنْبِ . أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِٱلزِّيَادَةِ فِي ٱلنِّعَمِ أَشْكَرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهْرُ ٱلْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ ٱلْحِقْدِ . قَالَ ٱلْجِدَارُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشُقُّنِي . قَالَ : سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي . مَنْ نَصَرَ ٱلْحَقَّ قَهَرَ ٱلْخَلْقَ . رُبَّمَا كَانَ حَتْفُ ٱمْرِئٍ فِي مَا تَمَنَّى

ما ضُرب بهِ المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتِ ٱلْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةٌ بِٱلْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ يَذُمُّونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ ٱلسِّبَاعِ وَٱلْأَحْنَاشِ وَٱلْحَشَرَاتِ فَٱسْتَعْمَلُوا ٱلتَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ ٱلصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عِفِرِّينَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ . وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ . وَأَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعَقُّ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ مِنْ سِنَّوْرٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ . وَأَحَنُّ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخِتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ ٱلْأَنُوقِ . وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ ٱلْأَبْلَقِ ٱلْعَقُوقِ . (أَلصَّافِرُ ٱلصَّغِيرُ مِنَ ٱلطَّيْرِ . وَٱلْعَوْدُ ٱلْمُسِنُّ مِنَ ٱلْجِمَالِ . وَٱلْأَنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَبِيضُ فِي ٱلْهَوَاءِ . وَٱلزَّبَابَةُ ٱلْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ ٱلْحَرِيرِ . وَفَاخِتَةٌ طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطَبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ ٱلْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ ٱلنَّجْمِ . وَأَجْوَدُ مِنَ ٱلدِّيَمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ ٱلصُّبْحِ . وَأَسْمَحُ مِنَ ٱلْبَحْرِ . وَأَنْوَرُ مِنَ ٱلنَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ ٱلسَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ دِجْلَةَ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمْيَةٍ . وَأَنْزَهُ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ ٱلدَّهْنَاءِ . وَآنَسُ مِنْ جَدْوَلٍ . وَأَضْيَقُ مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنَ ٱلْوَحْيِ فِي صُمِّ ٱلصِّلَابِ . وَأَخَفُّ مِنْ رِيشِ ٱلْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربّه)

٧٨ أَشْعَارٌ جَارِيَةٌ مَجْرَى ٱلْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى ٱلْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ

إِذَا كَانَ غَيْرُ ٱللّٰهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً ... أَتَتْهُ ٱلرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْمَكَاسِبِ

إِذَا مَا أَتَيْتَ ٱلْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدْ إِلَى ٱلْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي ... وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْلِمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا ... يَسُوؤُكَ أَبْعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ

إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الآتِي ... فَقِسْ عَلَى المَاضِي مِنَ الأَوْقَاتِ

إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ ... فَإِنَّ مَعَارِيضَ الكَلَامِ فُضُولُ

أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ ... وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الوُرُودِ

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الوُدَّ أَغْضِبْهُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ ... إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ العَصَا

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا ... فَعَلَامَةُ الإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ

إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا ... يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا

تَرَقَّبْ جَزَا الحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا ... وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي

أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا ... وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ المَطَرُ

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ

ذُو الفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحٍ ... وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحِ

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالحُسَامِ لِعَارِضٍ ... يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكِيرُ

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا ... فَأَبْدَى الكِيرُ عَنْ خَبَثِ الحَدِيدِ

عَفَافُكَ غَيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الفَتَى ... إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَّاتِهِ وَهْوَ قَادِرُ

غُلَامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ ... وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِ

فقال قم قلت رجلي لا تطاوعني فقال خذ قلت كفي لا تؤاتيني
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يماني
فالدر وهو أجل شيء يقتنى ما حط قيمته هوان الغائص
قد قيل ذلك إن صدقا وإن كذبا فما احتيالك في شيء وقد قيلا
لا يعجبن مضيما حسن بزته وهل تروق دفينا جودة الكفن
لا ترج شيئا خالصا نفعه فالغيث لا يخلو من الغث
لا تغرنك هذه الأوجه الغر م فيا رب حية في رياض
لا تحسب المجد رطبا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
لا تحقرن شأن العدو وكيده ولربما صرع الأسود الثعلب
لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجساد بالعلل
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أني بما أنا باك منه محسود
ما لقوي عن ضعيف غنى لا بد للسهم من الريش
من ليس يخشى أسود الغاب إن زأرت فكيف يخشى كلاب الحي إن نبحت
لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب
المرء يحيا بلا ساق ولا عضد ولا يعيش بلا قلب ولا أدب
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا
وقد يكسف المرء من دونه كما يكسف الشمس جرم القمر
ولا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفنى ويبقى مريرها

(٦٢)

وَلَوْ لَبِسَ ٱلْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ ... لَقَالَ ٱلنَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ

وَإِذَا ٱفْتَقَرْتَ إِلَى ٱلذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ

وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ ٱلْجِذْعَ مُعْرِضًا ... وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي ٱلْقَذَى

وَمَا أَقْبَحَ ٱلتَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَٱلشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلُ

وَتَشَتُّتُ ٱلْأَعْدَاءِ فِي آرَائِهِمْ ... سَبَبٌ لِجَمْعِ خَوَاطِرِ ٱلْأَحْبَابِ

وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يَؤُولُ إِلَى بِلًى ... وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا

وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوسُ كِبَارًا ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا ٱلْأَجْسَامُ

وَمَاذَا أُرَجِّي مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ ... وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمِ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلشُّكْرِ جُنَّةَ غَارِسٍ ... وَلَا مِثْلَ حُسْنِ ٱلصَّبْرِ جُبَّةَ لَابِسِ

وَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلٰكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا ... كَمَا خُطَّ فِي ٱلْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرِ

وَيُمْكِنُ وَصْلُ ٱلْحَبْلِ بَعْدَ ٱنْقِطَاعِهِ ... وَلٰكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ ٱلرَّبْطِ

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... كَمَا أَنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا

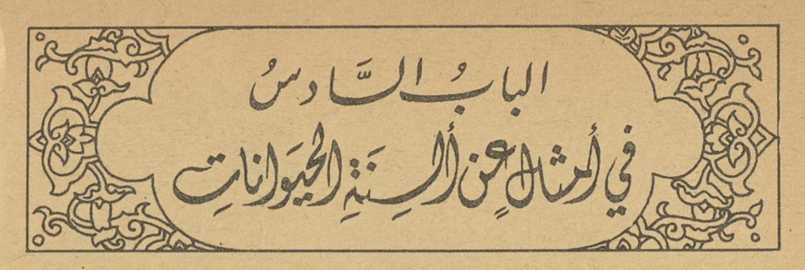
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى ٱلْعُمْرِ مَوْتًا ... فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَٱلْقَصِيرُ

وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ ... كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارَا

وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي ٱلْعَدَاوَةِ كَفُّهُ ... بِأَكْبَرَ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكُ

يَهْوَى ٱلثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ ... حُبُّ ٱلثَّنَاءِ طَبِيعَةُ ٱلْإِنْسَانِ

يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي



الباب السادس
في أمثال عن ألسنة الحيوانات

البازي والديك

٧٩ بازٍ وديكٌ تناظرا . فقال البازي للديك : ما أعرف أقلَّ وفاءً منك لأصحابك . قال : وكيف . قال : تُؤخذ بيضةً وتحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأيديهم . حتى إذا كبرتَ صرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلّا طرتَ من هُنا إلى هُنا وصحتَ . وعلوتَ على حائطِ دارٍ كنتَ فيها سنين طرتَ منها إلى غيرها . وأمّا أنا فأُوخذ من الجبال وقد كبر سنّي فتُخاط عيني . وأُطعم الشيءَ اليسير وأُساهر فأُمنع من النوم وأُنسى اليوم واليومين . ثمّ أُطلق على الصيد وحدي فأطير إليه وآخذه وأجيء به إلى صاحبي . فقال له الديك : ذهبت عنك الحجّة أما لو رأيت بازيين في سفّود النار ما عدتَ لهم . وأنا في كلّ وقتٍ أرى السفافيد مملوءة ديوكًا . فلا تكن حليمًا عند غضب غيرك (لبهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكي أنّه اجتمع برغوثٌ وبعوضةٌ . فقالت البعوضة للبرغوث : إنّي لأعجب من حالي وحالك . أنا أفصح منك لسانًا . وأوضح بيانًا . وأرجح ميزانًا . وأكبر شأنًا . وأكثر طيرانًا . ومع هذا فقد أضرّ بي

ٱلْجُوعُ. وَحَرَمَنِي ٱلْهُجُوعَ. وَلَا أَزَالُ عَلِيلَةً مَجْهُودَةً. مُبْعَدَةً عَنِ ٱلطَّرِيقِ مَطْرُودَةً. وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ. وَفِي نَوَاعِمِ ٱلْأَبْدَانِ تَرْتَعُ. فَقَالَ لَهَا ٱلْبُرْغُوثُ: أَنْتِ بَيْنَ ٱلْعَالَمِ مُطَنْطِنَةٌ. وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ مُدَنْدِنَةٌ. وَأَنَا قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوتِي. بِسَبَبِ سُكُوتِي

اللبؤة والغزال والقرد

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبُؤَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَابَةٍ. وَبِجِوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ أَلِفَتْ جِوَارَهُمَا وَٱسْتَحْسَنَتْ عِشْرَتَهُمَا. وَكَانَ لِتِلْكَ ٱللَّبُؤَةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ قَدْ شُغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا. وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا. وَكَانَ لِجَارِهَا ٱلْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ. وَكَانَتِ ٱللَّبُؤَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوتًا لِشِبْلِهَا مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَصِغَارِ ٱلْحَيَوَانِ. وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ ٱلْغَزَالِ. وَهُنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ جُحْرِهِنَّ. فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِٱقْتِنَاصِ وَاحِدٍ فَتَجْعَلُهُ قُوتَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ ٱلذَّهَابِ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ عَنْ هٰذَا ٱلْعَزْمِ لِحُرْمَةِ ٱلْجِوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا ٱلشَّرَهُ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْعِظَمِ. وَأَكَّدَ ذٰلِكَ ضَعْفُ ٱلْغَزَالِ وَٱسْتِسْلَامُهُ لِأَمْرِ ٱللَّبُؤَةِ. فَأَخَذَتْ ظَبْيًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْغَزَالُ دَاخَلَهُ ٱلْحُزْنُ وَٱلْقَلَقُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذٰلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ ٱلْقِرْدِ. فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلِعُ عَنْ هٰذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ أُذَكِّرَهَا عَاقِبَةَ ٱلْعُدْوَانِ وَحُرْمَةَ ٱلْجِيرَانِ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ أَخَذَتْ ظَبْيًا ثَانِيًا فَلَقِيَهَا ٱلْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا: إِنِّي لَا آمَنُ

عَلَيْكِ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَإِسَاءَةِ ٱلْجِوَارِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَهَلِ ٱقْتِنَاصِي لِأَوْلَادِ ٱلْغِزَالِ. إِلَّا كَاقْتِنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ ٱلْجِبَالِ. وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوتِي وَقَدْ سَاقَهُ ٱلْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي. فَقَالَ لَهَا ٱلْقِرْدُ: هٰكَذَا ٱغْتَرَّ ٱلْفِيلُ بِعَظِيمِ جُثَّتِهِ. وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَبَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. وَأَوْبَقَهُ ٱلْبَغْيُ رَغْمَ أَنْفِهِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُوَةُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. قَالَ ٱلْقِرْدُ: ذَكَرُوا أَنَّ قُنْبُرَةً كَانَ لَهَا عُشٌّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ فِيلٌ وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ عَلَى عُشِّ ٱلْقُنْبُرَةِ. فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْعُشِّ وَوَطِئَهُ وَهَشَّمَ رُكْنَهُ. وَأَتْلَفَ بَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاخَهَا. فَلَمَّا نَظَرَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ إِلَى مَا حَلَّ بِعُشِّهَا سَاءَهَا ذٰلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ ٱلْفِيلِ. فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا ٱلَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاخِي وَإِنَّنَا فِي جِوَارِكَ. أَفَعَلْتَ ذٰلِكَ ٱسْتِضْعَافًا بِحَالِي وَقِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي. قَالَ ٱلْفِيلُ: هُوَ كَذٰلِكَ فَٱنْصَرَفَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ فَقَالَتْ لَهَا ٱلطُّيُورُ: وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ ٱلْفِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ. فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ وَٱلْغِرْبَانِ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَؤُوا عَيْنَيْهِ. فَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى. فَأَجَابُوهَا إِلَى ذٰلِكَ وَمَضَوْا إِلَى ٱلْفِيلِ. وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَاذَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُرُونَ عَيْنَيْهِ إِلَى أَنْ فَقَؤُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذٰلِكَ جاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ. فَقَالَتِ ٱلضَّفَادِعُ: مَا حِيلَتُنَا مَعَ ٱلْفِيلِ وَلَسْنَا كُفْأَهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ. قَالَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ: أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقِفْنَ تَضْجِجْنَ بِهَا. فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيُكِبُّ نَفْسَهُ فِيهَا. فَأَجَابَهَا ٱلضَّفَادِعُ إِلَى ذٰلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ ٱلْحُفْرَةِ تَوَهَّمَ أَنَّ بِهَا مَاءً. وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ ٱلْعَطَشِ فَجَاءَ مُكِبًّا عَلَى طَلَبِ ٱلْمَاءِ فَسَقَطَ فِي ٱلْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا. فَجَاءَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ٱلصَّائِلُ عَلَى ضُعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي. وَبَلَادَةَ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ. وَكَيْفَ رَأَيْتَ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ. وَمُسَالَمَةَ ٱلزَّمَانِ. فَلَمْ يَجِدِ ٱلْفِيلُ مَسْلَكًا لِجَوَابِهَا. وَلَا طَرِيقًا لِخِطَابِهَا. فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلَّبُؤَةِ مِنَ ٱلْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ ٱنْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ ٱسْتِكْبَارًا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَزَالَ ٱنْتَقَلَتْ بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا جُحْرًا آخَرَ. وَإِنَّ ٱللَّبُؤَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا. فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَآهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ ٱللَّبُؤَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيعًا. فَٱمْتَلَأَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا: وَمَا دَهَاكِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُؤَةُ: مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَفَعَلَ بِهِ مَا تَرَى. فَقَالَ لَهَا: لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ وَٱصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكِ عَنْكِ. فَكَمَا يَدِينُ ٱلْفَتَى يُدَانُ. وَجَزَاءُ ٱلدَّهْرِ بِمِيزَانٍ. وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَبِقَدْرِ بَذْرِهِ يَكُونُ ٱلثَّمَرُ. وَٱلْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ ٱلدَّهْرِ. وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَجْزَعِي مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ. وَأَنْ تَتَدَرَّعِي لَهُ بِٱلرِّضَا وَٱلصَّبْرِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُؤَةُ: كَيْفَ لَا أَجْزَعُ وَهُوَ قُرَّةُ ٱلْعَيْنِ وَوَاحِدُ ٱلْقَلْبِ وَنُزْهَةُ ٱلْفِكْرِ. وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ لِي بَعْدَهُ. فَقَالَ لَهَا ٱلْقِرْدُ: أَيَّتُهَا ٱللَّبُؤَةُ مَا ٱلَّذِي كَانَ يُغَدِّيكِ وَيُعَشِّيكِ. قَالَتْ: لُحُومُ ٱلْوُحُوشِ. قَالَ ٱلْقِرْدُ: أَمَا كَانَ لِتِلْكَ ٱلْوُحُوشِ ٱلَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ. قَالَتْ: بَلَى. قَالَ ٱلْقِرْدُ: فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِتِلْكَ ٱلْآبَاءِ وَلَا ٱلْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا سُمِعَ مِنْكِ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكِ هٰذَا ٱلْأَمْرُ جَهْلُكِ بِٱلْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكِ فِيهَا. وَقَدْ نَصَحْتُكِ حِينَ حَقَرْتِ حَقَّ ٱلْجِوَارِ. وَأَلْحَقْتِ بِنَفْسِكِ ٱلْعَارَ. وَجَاوَزْتِ بِقُوَّتِكِ حَدَّ ٱلْإِنْصَافِ. وَسَطَوْتِ عَلَى ٱلظِّبَاءِ ٱلضِّعَافِ. فَكَيْفَ وَجَدْتِ طَعْمَ مُخَالَفَةِ ٱلصَّدِيقِ ٱلنَّاصِحِ. قَالَتِ ٱللَّبُؤَةُ: وَجَدْتُهُ مُرَّ ٱلْمَذَاقِ. وَلَمَّا عَلِمَتِ ٱللَّبُؤَةُ أَنَّ ذٰلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدُهَا مِنْ ظُلْمِ ٱلْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِٱللَّوْمِ. وَصَارَتْ تَقْنَعُ بِأَكْلِ ٱلنَّبَاتِ وَحَشِيشِ ٱلْفَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَمْنَعُهُ ٱلتَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأَمْرِ عَنِ ٱلِٱنْتِفَاعِ بِٱلْحَاضِرِ

٨٢ حُكِيَ أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ ٱلدَّهَاقِنَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُوَ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ ٱلْمَحَلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهَا بِسَبَبِ ذٰلِكَ وَدُهِشَ . وَبَذَلَتِ ٱلْعَقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبْقَى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا ٱلْأُولَى . وَغَدَتِ ٱلدَّوَالِيبُ عَدِيمَةَ ٱلْحَرَكَةِ لِمَا شَمِلَهَا مِنَ ٱلتَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ ٱلثِّقْلُ وَاقِفًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ ٱلذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا وَطَفِقَ ٱلْوَجْهُ يَبْحَثُ عَنْ هٰذَا ٱلْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ ٱلدَّوَالِيبُ وَٱلْعَقَارِبُ تُبَرِّئُ نَفْسَهَا بِٱلْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ سُمِعَ مِنَ ٱلدَّقَّاقِ بِأَسْفَلِ ٱلسَّاعَةِ يَقُولُ هٰكَذَا : إِنِّي أُقِرُّ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ عِلَّةَ هٰذَا ٱلْوُقُوفِ . وَسَأُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ ذٰلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ أَجْمَعِينَ . وَٱلْحَقَّ أَقُولُ إِنِّي مَلِلْتُ مِنَ ٱلدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسَّاعَةُ مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ ٱلْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ : تَبًّا لَكَ مِنْ سِلْكٍ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ ٱلدَّقَّاقُ : لَا بَأْسَ بِذٰلِكَ يَا سَيِّدِي ٱلْوَجْهُ : لَاجَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هٰذِهِ ٱلْحَالُ . إِذْ قَدْ رُفِعْتَ عَلَى نَفْسِكَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى ٱلْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَكَ كَسِلًا وَتَنْسُبَهُ إِلَى ٱلتَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا ٱلتَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ ٱلنَّاسِ وَٱلِٱنْشِرَاحُ بِرُؤْيَةِ مَا يَحْدُثُ فِي ٱلْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَكَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعٍ ضَنْكٍ مُظْلِمٍ كَهٰذَا . وَتُجِيزُ حَيَاتَكَ كُلَّهَا بَيْنَ مَجِيءٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعامًا بَعدَ عام . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنهَا . فقالَ ٱلدَّقَّاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلا أَتَجَاسَرُ عَلَى ٱلتَّطَلُّعِ مِنهَا . حَيْثُ لَا يُمكِنُ لِي ٱلْوُقُوفُ وَلَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ . وَٱلْحَاصِلُ أَنِّي مَلِلْتُ هٰذَا ٱلْحَالَ . وَإِنِ ٱسْتَزَدْتَنِي شَرْحًا . فَإِنِّي أُخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِيَ ٱلضَّجَرَ مِنْ شُغْلِي . وَذٰلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ كَمِّيَّةَ ٱلْمِرَارِ ٱلَّتِي أَغْدُو وَأَرُوحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمكِنُ تَحْقِيقُ ذٰلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ ٱلْجُلُوسِ ٱلَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ ٱلدَّقَائِقِ إِلَى ٱلْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهًا : إِنَّ عِدَّةَ ٱلْمِرَارِ ٱلَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا ٱلْمَجِيءُ وَٱلذَّهَابُ فِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ ٱلْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ ٱلدَّقَّاقُ : هُوَ هٰكَذَا . فَهَلْ (وَٱلْحَالَةُ هٰذِهِ وَقِصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ أَنَّ مُجَرَّدَ ٱلتَّفَكُّرِ فِي هٰذَا ٱلْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَائِقِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلشُّهُورِ وَٱلْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهَنَ عَظْمِي وَعَزْمِي . وَمَا ذٰلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَخَيُّلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى ٱلْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنَنِي . فَكَادَ ٱلْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هٰذِهِ ٱلْمُكَالَمَةِ أَنْ لَا يَتَمَالَكَ عَنْهُ . وَلٰكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ٱلدَّقَّاقُ ٱلْعَزِيزُ إِنِّي لَفِي تَعَجُّبٍ عَظِيمٍ مِنِ ٱنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْوَسَاوِسِ بَغْتَةً . نَعَمْ إِنَّكَ وُلِّيتَ فِي عُمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيمَةً كَمَا عَمِلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

ٱلتفكّر في هٰذهِ ٱلأَشْغالِ وحدهُ يُوجِبُ ٱلعَناءَ غيرَ أنّي أظنُّ مُباشرتَها لَيْسَتْ كذٰلِكَ . فألتمسُ مِنكَ أنْ تُسْدِيَ إليَّ معروفَكَ بأنْ تدُقَّ ٱلآنَ سِتَّ دقّاتٍ لِيتَّضِحَ مِصْداقُ ما قُلتَ . فرضِيَ الدقّاقُ بِهٰذا ودقَّ سِتَّ دقّاتٍ جرْيًا على عادتِهِ . فقالَ لهُ ٱلوجهُ حينَئِذٍ: ناشدتُكَ ٱللهَ هلْ أبدى لكَ ما باشرْتَهُ ٱلآنَ نصبًا وتعبًا . فقالَ الدقّاقُ : كلّا فإنَّ مَلَلي وتضجُّري لمْ ينْشأ عنْ سِتِّ دقّاتٍ . ولا عنْ سِتّينَ دقّةً . بلْ عنْ أُلوفٍ وأُلوفِ أُلوفٍ . فقالَ لهُ ٱلوجهُ: صدقْتَ . ولكنّهُ ينبغي لكَ أنْ تعلمَ هٰذا ٱلأمرَ ٱلضروريَّ . وهوَ أنّكَ حينَ تُفكّرُ في هٰذهِ ٱلأُلوفِ بِلَحظةٍ واحدةٍ . فإنَّ ٱلّذي يجبُ عليكَ منها إنّما هوَ مُباشرةُ دقّةٍ واحدةٍ لا غيرُ . ثُمَّ مهما لزِمَكَ بعدهُ منَ ٱلدقِّ يفسحُ ٱللهُ لكَ في أجلٍ لإتمامِهِ فقالَ الدقّاقُ : أشهدُ أنَّ كلامَكَ هٰذا حاكَ فيَّ وأمالَني . فقالَ ٱلوجهُ : عسى بعدَ ذٰلِكَ أنْ نعودَ بأجمعِنا إلى ما كُنّا عليهِ منَ ٱلعملِ . لِأنّا إذا بقينا كذٰلِكَ يظلُّ أهلُ ٱلمنزلِ مُستغرقينَ في ٱلنومِ إلى ٱلظهرِ . ثُمَّ إنَّ ٱلأثقالَ ٱلّتي لمْ تكنْ وُصِفَتْ قطُّ بِٱلخِفّةِ ما برِحَتْ تُغْري ٱلدقّاقَ على ٱلشغلِ حتّى أخذَ في مُباشرةِ خدمتِهِ كما كانَ . وحينَئِذٍ شرعتِ ٱلدواليبُ في ٱلدورانِ . وطفِقتِ ٱلعقاربُ تسيرُ . حتّى إذا ظهرَ شُعاعُ ٱلشمسِ في ٱلمطبخِ ٱلمُغلقِ مِنْ كوّةٍ فيهِ ٱمتلأَ ٱلوجهُ ضياءً وٱنجلى تعبيسُهُ . كأنْ لمْ يكنْ شيءٌ ممّا كانَ . فأمّا صاحبُ ٱلمنزلِ فلمّا نزلَ إلى ٱلمطبخِ لِيُفطِرَ فيهِ . نظرَ إلى ٱلساعةِ ٱلمركوزةِ فقالَ : إنَّ

ٱلسَّاعَةَ ٱلَّتِي بِجِيبِي تَأَخَّرَتْ فِي ٱلسَّيْرِ لَيْلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قِرْدٌ وَغَيْلَم

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةَ تِينٍ فَٱرْتَقَى إِلَيْهَا وَٱتَّخَذَهَا لَهُ مُقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي ٱلْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي ٱلْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ ٱلتِّينِ فِيهِ . وَكَانَ ثَمَّ غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذٰلِكَ ظَنَّ أَنَّ ٱلْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ ٱلْغَيْلَمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذٰلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَٱغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ زَوْجَكِ بِٱلسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ . فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَيْلَمَ ٱنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ ٱلْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ هٰكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا ٱلْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي ٱلْمَاءِ وَلٰكِنْ سَأُشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أنطلق إلى ساحل البحر فقال له القرد: يا أخي ما حبسك عني. قال له الغيلم: ما ثبطني عنك إلا حيائي. كيف أجازيك على إحسانك إلي وإنما أريد الآن أن تتم هذا الإحسان بزيارتك لي في منزلي. فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة كثيرة الأثمار. فاركب ظهري لأسبح بك. فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى مطا الغيلم. حتى إذا سبح به ما سبح عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه. فقال له القرد: ما لي أراك مهتماً. فقال الغيلم: إنما همي لأني ذكرت أن قرينتي شديدة المرض. وذلك يمنعني عن كثير مما أريد أن أبلغكه من الإكرام والإلطاف. قال القرد: إن الذي أعتقد من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف. قال الغيلم: أجل. ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية. فساء ظن القرد وقال في نفسه: ما احتباس الغيلم وبطوءه إلا لأمر. ولست آمنا أن يكون قلبه قد تغير علي وحال عن مودتي فأراد بي سوءاً. فإنه لا شيء أخف وأسرع تقلباً من القلب. ويقال: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر وفي كل لحظة وكلمة. وعند القيام والقعود وعلى كل حال. وإنه إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة. فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ويتفقد ذلك في لحظاته وحالاته. فإن كان ما يظن حقاً ظفر بالسلامة. وإن كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره. ثم قال للغيلم: ما الذي

يحبسك . وما لي أراك مهتماً كأنك تحدث نفسك مرة أخرى .
قال : يهمني أنك تأتي منزلي فلا تلقى أمري كما أحب لأن زوجتي
مريضة . قال القرد : لا تهتم . فإن الهم لا يغني عنك شيئاً . ولكن
التمس ما يصلح زوجتك من الأدوية والأغذية . فإنه يقال :
يبذل ذو المال ماله في ثلاثة مواضع : في الصدقة . وفي وقت الحاجة .
وعلى الزوجة . قال الغيلم : صدقت . وإنما قالت الأطباء : إنه لا دواء
لها إلا قلب قرد . فقال القرد في نفسه : واسوءتاه لقد أدركني الحرص
والشره على كبر سني حتى وقعت في شر مورط . ولقد صدق الذي
قال : يعيش القانع الراضي مستريحاً مطمئناً . وذو الحرص والشره
يعيش ما عاش في تعب ونصب . وإني قد احتجت الآن إلى عقلي في
التماس المخرج مما وقعت فيه . ثم قال للغيلم : وما منعك أن تعلمني
حتى كنت أحمل قلبي معي . وهذه سنة فينا معاشر القردة إذا خرج
أحدنا لزيارة صديق له خلف قلبه عند أهله أو في موضعه . لننظر
إذا نظرنا إلى حرم المزور وما قلوبنا معنا . قال الغيلم : وأين قلبك
الآن . قال : خلفته في الشجرة فإن شئت فارجع بي إليها حتى آتيك
به . ففرح الغيلم بذلك ورجع بالقرد إلى مكانه . فلما قارب
الساحل وثب القرد عن ظهره فارتقى الشجرة . فلما أبطأ على الغيلم
ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد عقتني . فقال القرد . هيهات
ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك . واستدركت

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهَا . كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَعْثُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهٰذَا مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ ٱلْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا ضَبُعَةً فَنَفَرَتْ وَمَرَّتْ فَٱتَّبَعُوهَا . فَلَجَأَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِٱلسَّيْفِ مَسْلُولًا . فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا ٱسْتَجَارَتْ بِي فَخَلُّوا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا ٱللَّبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ٱبْنُ عَمٍّ لَهُ :

وَمَنْ يَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِي ٱلَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا ٱسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ ... مَعَ ٱلْأَمْنِ أَلْبَانَ ٱللِّقَاحِ ٱلدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي ٱلْمَعْرُوفِ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ ... يُوَجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرِ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ حَتَّى يُهْلِكَ نَفْسَهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ ٱلطُّرُقِ ٱلْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَٱبْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ ٱلطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ ٱلْأَجَمَةَ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي ٱلسَّعَةِ وَٱلْأَمْنِ وَٱلْخِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ لِطَلَبِ ٱلصَّيْدِ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْخَنًا بِٱلْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ ٱلدَّمُ . وَقَدْ أَنْشَبَ ٱلْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكَدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا يَسْتَطِيعُ حِرَاكًا وَحَرِمَ طَلَبَ ٱلصَّيْدِ . فَلَبِثَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ ٱلْأَسَدِ وَفَوَاضِلِهِ . فَأَجْهَدَهُمُ ٱلْجُوعُ وَٱلْهُزَالُ . وَعَرَفَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَٱحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا تُهِمُّنَا أَنْفُسُنَا . لٰكِنَّا نَرَى ٱلْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُ بِهِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ : مَا أَشُكُّ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلٰكِنِ ٱنْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا فَأُكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ ٱلْأَسَدِ . فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَٱئْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهٰذَا ٱلْآكِلِ ٱلْعُشْبِ ٱلَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا . أَلَا نُزَيِّنُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ٱبْنُ آوَى : هٰذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ ٱلْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمُ ٱلْأَسَدَ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنَ ٱلْجُوعِ . وَلٰكِنْ قَدْ وُفِّقْنَا لِرَأْيٍ وَٱجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا ٱلْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ ٱلْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : هٰذَا ٱلْجَمَلُ آكِلُ ٱلْعُشْبِ ٱلْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدٍّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيَكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ ٱلْوَفَاءِ وَٱلرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ . مَعَ مَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَّنْتُ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِٱلْغَادِرِ بِهِ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ ٱلْمَلِكُ . وَلٰكِنِ ٱلنَّفْسُ ٱلْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْبَيْتِ . وَأَهْلُ ٱلْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمِ ٱلْقَبِيلَةُ . وَٱلْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْمِصْرِ . وَأَهْلُ ٱلْمِصْرِ فِدَى ٱلْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِٱلْمَلِكِ ٱلْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذٰلِكَ وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا . وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ ٱلْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ ٱلْغُرَابِ عَنْ هٰذَا ٱلْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْغُرَابُ إِقْرَارَ ٱلْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ ٱلْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ ٱلْجَمَلَ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَٱلْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَنذْكُرَ مَا أَصَابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ ٱهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ. وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ. فَيَرُدُّهُ ٱلْآخَرَانِ وَيُسَفِّهَ رَأْيَهُ وَيُبَيِّنَ ٱلضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ. فَإِذَا فَعَلْنَا ذَٰلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ عَنَّا فَفَعَلُوا ذَٰلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ ٱلْغُرَابُ: قَدِ ٱحْتَجْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيكَ. وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ. فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ. وَلَا لَنَا فِي ٱلْحَيَاةِ مِنْ خِيرَةٍ. فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذَٰلِكَ نَفْسًا. فَأَجَابَهُ ٱلذِّئْبُ وَٱبْنُ آوَى أَنِ ٱسْكُتْ. فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ. قَالَ ٱبْنُ آوَى: لَكِنْ أَنَا أُشْبِعُ ٱلْمَلِكَ. فَلْيَأْكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَٰلِكَ وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا. فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ: إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَذِرٌ. قَالَ ٱلذِّئْبُ: أَنَا لَسْتُ كَذَٰلِكَ. فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ. فَٱعْتَرَضَهُ ٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى وَقَالَا: قَدْ قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ: مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ. فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ. فَظَنَّ ٱلْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْأَكْلِ ٱلْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا ٱلْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ ٱلْأَسَدُ. فَقَالَ: لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ. وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ. فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ. فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَٰلِكَ طَوْعًا وَرِضًا. فَقَالَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى: لَقَدْ صَدَقَ ٱلْجَمَلُ وَتَكَرَّمَ وَقَالَ مَا دَرَى. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

الجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْغِيَاضِ لِذِئْبٍ وِجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ . فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلَبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذٰلِكَ شِبَاكَ ٱلْكَيْدِ . وَصَارَ يَجُولُ وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْصُولٍ . فَأَثَّرَ فِيهِ ٱلْجُوعُ وَٱللُّغُوبُ . وَأَذَّنَتِ ٱلشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ ٱلرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ ٱلضَّانِ . وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانٍ . فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ ٱلْجُوعِ بِٱلْهُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ خَوْفِ ٱلرَّاعِي ٱلْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَيَقِّظًا . وَمِنَ ٱلذِّئْبِ عَلَى مَاشِيَتِهِ مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ يَزِيدُ . وَٱلرَّاعِي سَائِقٌ . وَلِلذِّئْبِ عَائِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَبِيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ ٱلرَّاعِي ٱلذَّكِيُّ . فَأَدْرَكَهُ ٱلذِّيبُ ٱلنَّشِيطُ . وَأَطْعَمَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِٱلظَّفَرِ . وَطَارَ بِٱلْفَرَحِ وَٱسْتَبْشَرَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْجَدْيُ ٱلذِّيبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ بِيَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفِرَ قَصَّابُ ٱلْبَلَاءِ مِنْ قَصْبِهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَٱسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْوَرْطَةِ ٱلْوَبِيلَةِ . إِلَّا مُغِيثُ ٱلْخِدَاعِ وَٱلْحِيلَةِ . وَأَذْكَرَهُ مُذَكِّرُ ٱلْخَاطِرِ . مَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَلٰكِنْ أَخُو ٱلْحَزْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ نَازِلًا ... بِهِ ٱلْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ

فَتَقَدَّمَ بِجَاشٍ صَلِيبٍ . وَقَبَّلَ ٱلْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلذِّيبِ . وَقَالَ لَهُ مُحِبُّكَ ٱلرَّاعِي . لِجَنَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحِشْمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

إبائك. عادة أجدادك وآبائك. فلم تتعرض لمواشيه. وحفظت بنظرك ضعاف حواشيه. وقد حصل لضعافها الشبع. وأمنت بجوارك الجوع والفزع. وحصل الأمن من الجزع. فسيجعل جوارك وغياضك أحسن مستنجع. لأن ضعاف ماشيته شبعت ورويت. وانتعشت وقويت. فأراد مكافأتك. وطاب مصادقتك ومصافاتك. فأرسلني إليك لتأكلني. وأوصاني أن أطربك بما أغني. فإني حسن الصوت في الغناء. وصوتي يزيد شهوة الغذاء. فإن اقتضى رأيك الأسعد. غنيتك غناء ينسي أبا إسحاق ومعبد. وهو شيء لم يظفر به آباؤك وأجدادك. وما يناله أعقابك وأولادك. يقوي كرمك. وشهوتك وقرمك. ويطيب مأكلك. ويسني مأملك. وإن صوتي اللذيذ. ألذ للجائع من جدي حنيذ. وخبز سميذ. وللعطشان من قدح نبيذ. فرأيك أعلى. وامتثالك أولى. فقال الذئب: لا بأس والك. فغن ما بدا لك. فرفع الجدي عقيرته. ورأى في الصراخ خيرته. وأنشد:

وعصفور الحشا يهوى جراده   كما عشق الخروف أبو جعاده

فاهتز الذئب طربا. وتمايل عجبا وعجبا. وقال: أحسنت يا زين الغنم. ولكن هذا الصوت في البم. فارفع صوتك في الزير. فقد أخجلت البلابل والزرازير. وزدني يا مغني. وغن لي. ما يلي قولي:

أقر هذا الزمان عيني   بالجمع بين المنى وبيني

وَلْيكُنْ هٰذَا يَا سَيِّدَ ٱلْجِدَاءِ فِي أَوْجِ ٱلْحُسَيْنِي . فَٱغْتَنَمَ ٱلْجَدْيُ ٱلْفُرْصَةَ وَأَزَاحَ بِعِيَاطِهِ ٱلْغُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرْخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ ٱلطَّامَّةَ ٱلْكُبْرَى . وَرَفَعَ ٱلصَّوْتَ . كَمَنْ عَايَنَ ٱلْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ ٱلْحِجَازِ إِلَى ٱلْعِرَاقِ . وَكَادَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلِٱنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

قِفُوا ثُمَّ ٱنْظُرُوا حَالِي أَبُو مَذْقَةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ ٱلرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِٱلْمِطْرَقِ يَعْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ ٱلذِّئْبُ ٱلذَّاهِلُ . وَهُوَ بِحُسْنِ ٱلسَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَٱلرَّاعِي بِٱلْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ . فَرَأَى ٱلذِّئْبُ ٱلْغَنِيمَةَ فِي ٱلنَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ ٱلْحَيَاةِ . وَتَرَكَ ٱلْجَدْيَ وَأَفْلَتَ . وَنَجَا مِنْ سَيْفِ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُصْلَتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَفَّتُ . إِذْ تَفَلَّتَ . وَأَقْعَى يَعَضُّ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِٱلْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ ٱلذَّاهِلُ . ٱلْأَحْمَقُ ٱلْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ ٱلسِّرْحَانِ . أَلْقُبْزُ وَٱلْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ فَانٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانٍ . كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا بِٱلْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا تَتَلَوَّى . وَبِجَمْرَةِ فَوَاتِ ٱلْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرُقُ ضِرْسَهُ وَنَابَهُ . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ ٱلرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ ٱلْقَدَرَا

فارة وهرّ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هِرٌّ رَبَّاهُ . وَأَحْسَنَ مَأْوَاهُ . وَكَانَ ٱلْقِطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ ٱلشَّفَقَةَ ، وَأَلِفَ مِنْهُ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْمِقَةَ ، فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَبِيتِهِ ، وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوتِهِ ، فَحَصَلَ لَهُ ٱلْهُزَالُ ، وَتَغَيَّرَ حَالُهُ بَيْنَ أَمْرٍ وَحَالٍ ، فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَذِّيهِ ، وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى ٱلِٱصْطِبَارِ تُغْنِيهِ ، إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ ٱلصَّيْدِ ، وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ ٱلْفَارِ عَمْرٌو وَزَيْدٌ ، وَكَانَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَكَانِ ، مَأْوًى لِرَئِيسِ ٱلْجُرْذَانِ ، وَبِجِوَارِهِ مَخْزَنُ سَمَّانٍ ، فَٱجْتَرَأَ ٱلْجُرَذُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى ٱلْقِطِّ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنِ ٱمْتَلَأَ وَكْرُهُ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْمَطَاعِمِ ، وَحَصَلَ لَهُ ٱلْفَرَاغُ مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلْمَزَاحِمِ ، فَٱسْتَطَالَ عَلَى ٱلْجِيرَانِ ، وَٱسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ ٱلْفَارِ عَلَى ٱلْعُدْوَانِ ، وَٱفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ ، فِكْرًا أَدَّاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ ، وَهُوَ أَنَّ هٰذَا ٱلْقِطَّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا ، وَمُهْلِكًا عَظِيمًا ، وَلٰكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي ٱلِٱنْتِحَالِ ، وَضَعُفَ عَنِ ٱلصَّيْدِ وَٱلِٱغْتِيَالِ ، وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ ، وَهٰذَا ٱلْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلٌ بِحَتْفِهِ ، وَلٰكِنَّ ٱلدَّهْرَ ٱلْغَدَّارَ ، لَيْسَ لَهُ عَلَى حَالَةٍ ٱسْتِمْرَارٌ ، فَرُبَّمَا يَعُودُ ٱلدَّهْرُ إِلَيْهِ ، وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ ٱلزَّمَانَ ٱلدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ ، وَيُعْطِي مَا سَلَبَ ، وَيَرْجِعُ فِيمَا وَهَبَ ، كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ ، وَإِذَا عَادَ ٱلْقِطُّ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ ، فَيَثُورُ قَلَقُهُ ، وَيَفُورُ حَنَقُهُ ، وَيَأْخُذُهُ لِلِٱنْتِقَامِ مِنِّي أَرَقُهُ ، فَلَا يَقِرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ ، فَأَضْطَرُّ إِلَى ٱلتَّحَوُّلِ عَنْ هٰذِهِ ٱلدَّارِ ، وَٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْوَطَنِ ٱلْمَأْلُوفِ ، وَمُفَارَقَةِ

ٱلسَّكَنِ ٱلْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلِٱهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هٰذَا ٱلْغَرَامِ .
وَٱلْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ ٱلْخَلَاصِ . قَبْلَ ٱلْوُقُوعِ فِي شَرَكِ ٱلِٱقْتِنَاصِ
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ ٱلْخَلَاصِ مِنْ هٰذَا ٱلْبَاسِ .
فَأَدَّاهُ ٱلْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ ٱلْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هٰذَا ٱلنَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ ٱلصُّلْحِ بِسَاطُ ٱلِٱنْبِسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ ٱلْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
ٱلْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي ٱلْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ
يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ٱلْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ ٱلِٱتِّفَاقُ مِنَ ٱلْعُقُودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَبِيرُ ٱلْجِرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
ٱلْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاهُ . لِأَنَّ ٱلشَّيْخَ قَالَ فِي ٱلدَّرْسِ : خَيْرُ ٱلْمَالِ مَا
وَقَيْتَ بِهِ ٱلنَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيَرُدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونَ ذٰلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ ٱلصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱلْجُبْنِ وَٱللَّحْمِ ٱلْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بِنَقْلِهِ . وَقَدِمَ مَقَامَ ٱلْهِرِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرِمٍ مُبِرٍّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ ٱلِٱشْتِيَاقِ وَٱلتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعِزُّ عَلَيَّ . وَيَعْظُمُ
لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هٰذَا ٱلِٱضْطِرَارِ . وَسَيَكْفِيكَ ٱللهُ هٰذَا
ٱلْجَهْدَ وَٱلضَّيْرَ . وَلٰكِنِ ٱلْعَاقِبَةُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ ٱلْقِطُّ
مِنْ تِلْكَ ٱلسَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ ٱلصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلْجَارِ ٱلصَّدُوقِ . عَلَى ٱلْجَارِ ٱلشَّفُوقِ .

وَأَردتُّ أن يتأكَّد الجوارُ بالمصادقةِ . وتثبتَ المحبَّةُ بالمواثقةِ .
وإنْ كانت بيننا عداوةٌ قديمةٌ . فنترك من الجانبين تلك الخصلةَ
الذميمةَ . ونستأنفُ العهودَ . على خلافِ الخلقِ المعهودِ . وها أنا أذكرُ
لكَ سببًا يحملكَ على تركِ خلقكَ القديمِ . ويرشدكَ في طريقِ الإخاءِ
إلى الصراطِ المستقيمِ . وهو أنَّ أكلي مثلًا . ما يغذي منكَ بدنًا .
فضلًا عن أن يُظهر فيكَ صحَّةً وسِمَنًا . فإنْ أمَّنتني مكرَكَ ورغبتَ في
صحبتي . وعاهدتَني على سلوكِ طريقِ مودَّتي . وأكدتَّ ذلكَ لي
بمغلَّظاتِ الأيمانِ حتَّى أستوثقَ باستصحابكَ . وأبيتَ آمنًا في مجيئكَ
وذهابكَ . ولو كنتُ بينَ مخاليبكَ وأنيابكَ . فإنِّي ألتزمُ لكَ كلَّ
يومٍ . عندما تستيقظُ من النومِ . بما يسدُّ خلَّتكَ . ويُبقي مُهجتكَ .
صباحًا ومساءً وغداءً وعشاءً . فلمَّا رأى الهرُّ . هذا البرَّ . أعجبتهُ هذهِ
النعمُ . وأطربهُ هذا النغمُ . وأقسمَ طائعًا مختارًا . لا إكراهًا ولا
إجبارًا . أنَّهُ لا يسلكُ مع الجرذانِ . إلَّا طريقَ الأمانِ والإحسانِ .
فرجعَ الجرذُ وهو بهذهِ الحركةِ جذلانُ . وصارَ يأتي القطَّ كلَّ يومٍ
بما التزمَ بهِ من الغداءِ والعشاءِ . إلى أن صحَّ القطُّ واستوى . وسلمتْ
خلواتُ بدنهِ من الخواءِ . وقد كانَ لهذا القطِّ ديكٌ صاحبٌ قديمٌ .
وصديقٌ نديمٌ . كلٌّ منهما يأنسُ بصاحبهِ . ويحفظُ خاطرهُ بمراعاةِ
جانبهِ . فحصلَ للديكِ تعويقٌ عن زيارةِ صديقهِ . فلم يتفقْ لهما لقاءٌ .
إلَّا بعدَ أنْ زالَ عن القطِّ ذلكَ الشقاءُ . وحازَ تمامَ الشفاءِ . فسألهُ

الدّيكُ : بماذا زالَ ذلكَ الهزالُ . فأخبرهُ بخبرِ الجرذِ وأنّهُ صارَ عندهُ من أعزّ الأصدقاءِ الخيّرينَ الأمناءِ . فضحكَ الديكُ مستغربًا . وطفقَ يصفّقُ بجناحيهِ متعجّبًا . فقالَ له : مِمّ تضحكُ . قالَ : من سلامةِ باطنكَ . وانقيادكَ لمداهنكَ . وحسنِ صنائعكَ . إلى غاشّكَ ومخادعكَ . ومن يأمنُ لهذا البرمِ . الواجبِ قتلهُ في الحلِّ والحرمِ . المفسدِ الفاسقِ . المؤذي المنافقِ . الذي خدعكَ حتّى امنَ على نفسهِ . وأوقعكَ في حبائلِ كيدهِ ونحسهِ . مع أنّكَ لستَ عندهُ بمشكورٍ . ولا بالخيرِ مذكورٍ . وإنّما الذي شاعَ . وملأ الأسماعَ . أنّكَ تحلّ عقدهُ . وتنقضُ عهدهُ . وتنكثُ الأيمانَ . وتجازي بالسّيّئةِ الإحسانَ . فإنّهُ لمّا لم يرَ منكَ ما يسرّهُ . أصبحَ متوقّعًا ما يضرّهُ . وأعظمُ من هذا أنّهُ حشرَ ونادى . وجاهركَ بالشرّ وعادى وقالَ : إنّهُ أحياكَ بعدَ الموتِ . وردّكَ بعدَ الفوتِ . وإنّهُ لولا فضلهُ عليكَ . وبرّهُ الواصلُ إليكَ . لمتَّ هزالًا وجوعًا . ولما عشتَ أسبوعًا . وإنّهُ شفاكَ وعافاكَ . وصفا لكَ وصافاكَ . وهل سمعتَ أنّ جرذًا صادقَ هرّةً . أو تحقّقَ بينهما مرافقةٌ . فما صحبةُ القطّ والفارِ . كمصادقةِ الماءِ والنارِ . فلمّا سمعَ القطُّ هذا الكلامَ . تألّمَ خاطرهُ بعضَ إيلامٍ وقالَ للديكِ : جزاكَ اللهُ عنّي خيرًا . ولكن من أخبركَ بهذا الخبرِ . وصدّقكَ ما أثرَ . فقالَ : لقد غرّكَ الجرذُ بلقيماتٍ من الحرامِ . والسّحتِ المنغمسِ في الآثامِ . وجعلها لكَ بمنزلةِ حبّةِ الفخِ . فلا تشعرُ بها إلّا وأنتَ في المسلخِ . حيثُ لا رفيقَ يتشفّعُ فيكَ

وَلَا أَخ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ إِلَّا مِن فَرْطِ ٱلشَّفَقَةِ وَٱلسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ ٱلدِّيكِ عِنْدَ ٱلْقِطِّ فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هٰذَا ٱلدِّيكَ مِنْ حِينِ ٱنْفَلَقَتْ عَنْهُ ٱلْبَيْضَةُ . وَسَرَحْتُ مَعَهُ مِنَ ٱلصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفْتُ لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ . وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَغُشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ صِدْقَ هٰذَا ٱلْخَبَرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيَّتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ . وَرَبِّ ٱلْحَرَمِ عَلَامَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ مُنْخَفِضَ ٱلرَّاسِ . مُجْتَمِعَ ٱلْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ نُزُولَ مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا يَتَنَقَّبُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَٱلْخَائِنُ خَائِفٌ وَهٰذَا أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي ٱلْمُحَاوَرَةِ . وَٱلْمُنَاظَرَةِ وَٱلْمُشَاوَرَةِ . دَخَلَ أَبُو جَوَّالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَقْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا غَزْوَانَ . فَخَنَسَ وَقَهْقَرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى ٱللهُ وَقَدَّرَ . فَٱشْمَأَزَّ لِرُؤْيَتِهِ ٱلدِّيكُ وَٱشْمَعَلَّ . وَٱنْتَفَضَ وَٱبْرَأَلَّ . فَٱرْتَعَدَ ٱلْجُرَذُ مِنْ شَيْخِ ٱلدِّيكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَةَ . وَٱنْتَفَشَ وَٱنْزَوَى . وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَٱلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَٱلطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا . وَٱلْقِطُّ يُرَاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَيَتَمَيَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ ٱلْمُنْتَقِمِ . وَهَمَّ وَٱكْفَهَرَّ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَٱزْبَأَرَّ .

وَنَسِيَ ٱلعُهُودَ وَٱلأَيْمَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلعُدْوَانِ .
فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ ٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروّي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ ٱللهَ مُجْرِيَ ٱلْخَيْرِ . عَلَّمَ بَعْضَ عَبِيدِهِ ٱلصُّلَحَاء مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهُدًا . وَٱزْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَفِي بَعْضِ ٱلأَيَّامِ . مَرَّ بِٱلْهُدْهُدِ ذَلِكَ ٱلإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَفِتٌ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِٱلتَّسْبِيحِ يُسَبِّحُ ٱللهَ بِلِسَانِهِ ٱلْفَصِيحِ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ ٱلتَّاجِ وَٱلْقَبَاءِ وَٱلدِّيبَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ كُلِّ فَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدٍ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ ٱلْبَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ ٱلْجَلَاهِقِ . فَقَالَ ٱلْهُدْهُدُ : إِنِّي عَرَفْتُ ذٰلِكَ وَأَنَّهُ مَسْلَكُ ٱلْمَهَالِكِ قَالَ : فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى ٱلْقُعُودِ فِيهِ . مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي فَخًّا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًّا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَايِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَايِدِهِ . وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ . وَأَتَقَدَّمُ لِلضَّحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ . فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى ٱلصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّهُ مَنْ يَمُرُّ عَلَى خُزَعْبَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلرَّجُلُ وَذَهَبَ . وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَٱنْقَلَبَ . فَرَأَى ٱلْهُدْهُدَ فِي يَدِ ٱلصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَعُصْفُورَةٍ فِي يَدِّ طِفْلٍ يُهِينُهَا تُقَاسِي عَذَابَ ٱلْمَوْتِ وَٱلطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا ٱلطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِحَالِهَا وَلَا ٱلطَّيْرُ مُنْفَكُّ ٱلْجَنَاحِ فَيَهْرُبُ

فَنَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرَكِ ٱلصَّيَّادِ وَقُلْتَ لِي إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ ٱلْهُدْهُدَ إِذَا نَقَرَ ٱلْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ ٱلْفَخِّ وَلَا مَا وَرَ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةُ آدَمَ أَبِي ٱلْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوِيَ وَٱغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذٰلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنِ ٱشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَٱنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا ٱغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصَرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ ٱسْتِبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ ٱغْتِرَارِي

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَأْوَى لِمَالِكِ ٱلْحَزِينِ . وَفِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ غِيَاضٌ وَغُدْرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ ٱلْجِنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ ٱلسِّمَاكِ . مَا يَفُوقُ سَابِحَاتِ ٱلسِّمَاكِ . فَكَانَ ذٰلِكَ ٱلطَّيْرُ . فِي دَعَةٍ وَخَيْرٍ . يُزَجِّي ٱلْأَوْقَاتَ . بِطِيبِ ٱلْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ . حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ ٱلْبِحَارِ وَٱلْغُدْرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ سَمَكَةٌ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ ٱلْآنَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ ٱلْغِذَاءِ . وَأُرْتِجَ لِفَوْتِ قُوتِهِ أَبْوَابُ ٱلْعَشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ ٱلرَّمَقَ مِنَ ٱلْقُوتِ . فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْلَى ٱلسِّمَاكِ إِلَى أَسْفَلِ ٱلْحُوتِ . وَٱمْتَدَّ هٰذَا ٱلْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ. فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ. يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ. فَصَادَفَ سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَاخْتَطَفَهَا. وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ الْتَقَفَهَا. ثُمَّ بَعْدَ اقْتِلَاعِهَا. قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا. فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا. قَبْلَ اسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا. فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ: مَا الْبُرْغُوثُ وَدَمُهُ. وَالْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ. اسْمَعْ يَا جَارَ الرِّضَا. وَمَنْ عُمْرُنَا فِي صَوْنِهِ انْقَضَى. لَا تَعْجَلْ فِي ابْتِلَاعِي. وَلَا تُسْرِعْ فِي ضَيَاعِي. فَفِي بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ. عَلَيْكَ عَوَائِدُ. وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هٰذَا السَّمَكَ فَالْكُلُّ عَبِيدُهُ وَرَعِيَّتُهُ. وَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ. ثُمَّ إِنِّي وَاحِدُ أَبَوَيَّ. وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ. فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ. حَتَّى حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ. فَمَا فِي ابْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ. وَلَا أَسُدُّ لَكَ رَمَقًا. وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعِدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ: فَأَفْقَرَنِي فِيمَنْ أُحِبُّ وَلَا اسْتَغْنَى فَالْأَوْلَى أَنْ أُقِرَّ عَيْنَكَ. وَأُعَرِّفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ. فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمُصَادَقَةِ. وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ. وَيَتَحَمَّلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ. وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ. وَأَمَّا أَنَا فَأُعَاهِدُكَ إِنْ أَعْتَقْتَنِي. وَمَنَنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي. أَنْ أَتَكَفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ سَمَكَاتٍ بِيضٍ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ. تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً. غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ. وَلَا كَدٍّ تَتَحَمَّلُهُ وَلَا تَعَبٍ. فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلَشُونُ. هٰذَا الْمَجُونَ. أَغْرَاهُ الطَّمَعُ. فَمَا ابْتَلَعَ. بَلْ سَهَا وَلَهَا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَعِيدِي هٰذِهِ الرَّمْزَةَ

فَبِمُجَرَّدِ مَا فَتَحَ فَاهُ بِالْهَمْزَةِ . انْمَلَصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْزَةٍ . وَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكَّيِ الْبَلَاءِ . وَلَمْ يَحْصُلْ ذٰلِكَ الطَّمَّاعُ . إِلَّا الْقَطْعَ الْأَطْمَاعِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدتُّ يَا ذَا الدِّرَايَةِ . هٰذِهِ الْحِكَايَةَ . لِتَتَأَمَّلَ عُقْبَى أَمْرِكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ كَانَ فِي بَعْضِ الْقُرَى لِلرَّئِيسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكٌ . مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَمَضَى عَلَيْهِ مِنَ الْعُمْرِ سِنُونَ . وَاطَّلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَاسَى حُلْوَهُ وَمُرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلثَّعَالِبِ شِبَاكَ مَصَايِدَ . وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَنِيهِ نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ كُتُبِ حِيَلِهَا طَلَائِعَ كَتَائِبَ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ . فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى بَعْضِ الْجُدْرَانِ . فَنَظَرَ فِي عِطْفَيْهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَقْشِ بُرْدَيْهِ . فَرَأَى خَيَالَ تَاجِهِ الْعَقِيقِيِّ . وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِيِّ . وَنَفَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنَفَّشَ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنَقَّشَ . وَالثَّوْبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَّاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبَرْقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ . وَأَذِنَ فَأَطْرَبَهُ حِسُّهُ .... فَصَارَ يَتِيهُ وَيَتَبَخْتَرُ . وَيَتَقَصَّفُ وَيَتَخَطَّرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إلى جدارٍ . وكان قد انتصف النهار . فرفع صوته بالأذانِ . فأنسى صوته الكتاني والدهان . فسمعه ثعلب . فقال : مطلب . وسارع من وكرهِ . وحمل شبكة مكرهِ . وتوجه إليه . فرآه فسلَّم عليه . فلما حس به أبو اليقظانِ . طفر إلى أعلى الجدرانِ . ثم حيَّاه تحية الخلانِ . وترامى لديه ترامي الإخوانِ . وقال : أنعش الله بدنك وروحك . وروى من كاسات الحياةِ غبوقك وصبوحك . فإنك أحييت الأرواح والأبدان . بطيب النغم والصياح في الآذانِ . فإن لي زمانًا لم أسمع بمثل هذا الصوتِ . وقاه الله نوائب الفوتِ . ومصائب الموتِ . وقد جئت لأسلم عليك . وأذكرك ما أسدي من النعم إليك . وأبشرك ببشارةٍ . وهي أربح تجارةٍ . وأنجح من الولايةِ والإمارةِ . ولم يتفق مثلها في سالف الدهرِ . ولا يقع نظيرها إلى آخر العصرِ . وهي أن السلطان أيد الله بدولتهِ أركان الإيمانِ . أمر مناديًا فنادى بالأمانِ والاطمئنانِ . وإجراء مياه العدلِ والإحسانِ . من حدائق الصحبةِ والصداقةِ في كل بستانٍ . وأن تشمل الصداقة كل حيوانٍ . من الطيرِ والوحشِ والحيتانِ . ولا يقتصر فيها على جنس الإنسانِ . فيتشارك فيها الوحوش والسباع . والبهائم والضباع . والأروى والنعام . والصقر والحمام . والضب والنون . والذباب وأبو قلمون . ويتعاملون بالعدلِ والإنصافِ . والإسعافِ دون الإعسافِ . ولا يجري بينهم إلا المصادقة . وحسن

ٱلْمُعَاشَرَةِ وَٱلْمُرَافَقَةِ . فَتَمْحَى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشُ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْمُنَافَقَةِ . فَيَطِيرُ ٱلْقَطَا مَعَ ٱلْعُقَابِ . وَيَبِيتُ ٱلْعُصْفُورُ مَعَ ٱلْغُرَابِ . وَيَرْعَى ٱلذِّئْبُ مَعَ ٱلْأَرْنَبِ . وَيَتَآخَى ٱلدِّيكُ وَٱلثَّعْلَبُ . وَفِي ٱلْجُمْلَةِ لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ ٱلْفَأْرَةُ مِنَ ٱلْهِرَّةِ . وَٱلْخَرُوفُ مِنَ ٱلْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ ٱلْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ٱرْتَفَعَ ٱلشَّرُّ وَٱلْأَذَى . فَلَا بُدَّ أَنْ يُمْتَثَلَ هٰذَا ٱلْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْخُلُقِ ٱلْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْمُرَافَقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ ٱلثَّعْلَبُ يُقَرِّرُ هٰذَا ٱلْمَقَالَ . وَٱلدِّيكُ يَتَلَفَّتُ إِلَى هٰذَا ٱلْهَذَيَانِ وَٱلْخَبَالِ . فَقَالَ ٱلثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِي مُرْتَخِي . أَنَا أُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي ٱلْأَعْصُرِ ٱلْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَاسِيمُ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلْجَسِيمَةُ . وَأَرَاكَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهٰذَا ٱللُّطْفِ ٱلْعَامِّ . وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدٍ شَيْءٍ . فَهَلَّا أَخْبَرْتَنِي بِمَا أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُطْلِعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ . فَقَالَ : أَرَى عَجَاجًا ثَائِرًا . وَنَقْعًا إِلَى ٱلْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ ٱلْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلٰكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ ٱلْهَوَاءِ . فَقَالَ : أَبُو ٱلْحُصَيْنِ . وَقَدْ نَسِيَ ٱلْمَكْرَ وَٱلْمَيْنَ . بِٱللّٰهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقِّقْ لِي

هٰذا ٱلحيوانَ . فقالَ : حيوانٌ رشيقٌ . لهُ آذانٌ طِوالٌ وخصرٌ دقيقٌ . لا ٱلخيلُ تلحقهُ . ولا ٱلرّيحُ تسبقهُ . فرجفتْ قوائمُ ٱلثعلبِ . وطلبَ ٱلمهربَ . فقالَ أبو ٱلمنذرِ : تلبَّثْ يا أبا ٱلحصينِ واصبرْ حتَّى أحقِّقَ رؤيتَهُ . وأتبيَّنَ ماهيَّتَهُ . فإنَّهُ يا أبا ٱلحصينِ . يسبقُ طرفَ ٱلعينِ . ويكادُ يا أبا ٱلنَّجمِ . يخلفُ ٱلنَّجمَ في ٱلرجمِ . فقالَ : أخذني فؤادي . وما هٰذا وقتُ ٱلتَّمادي . ثُمَّ ولَّى وهوَ يصدحُ بقولِهِ :

لابسَ ٱلتَّاجِ ٱلعقيقِ   لا تقفْ لي في طريقي

إنْ يكنْ ذا ٱلوصفُ حقًّا   فهوَ وَٱللهِ ٱلسَّلوقي

فقالَ ٱلديكُ : وإذا كانَ وقدْ قلتُ إنَّ ٱلسُّلطانَ . رسمَ بٱلصُّلحِ بينَ سائرِ ٱلحيوانِ . فلا بأسَ منهُ عليكَ . فتلبَّثْ حتَّى يجيءَ ويقبّلَ يديكَ . ونعقدَ بيننا عقودَ ٱلمصادقةِ . ويصيرَ رفيقَنا ونصيرَ رفاقَهُ . فقالَ : ما لي برؤيتِهِ حاجةٌ . فدعْ عنكَ ٱلمحاجَّةَ وَٱللّجاجةَ . فقالَ : أوَما زعمتَ يا أبا وثَّابٍ . أنَّ ٱلسُّلطانَ رسمَ للأعداءِ وٱلأصحابِ . أنْ يسلكوا طرائقَ ٱلأصدقاءِ وٱلأحبابِ . فلو خالفَ ٱلمرسومَ هٰذا ٱلكلبُ . لما قابلهُ ٱلملكُ إلَّا بٱلقتلِ وٱلصلبِ . قالَ : لعلَّ هٰذا ٱلمشؤومَ . لم يبلغْهُ ٱلمرسومُ . ثُمَّ ولَّى هارِبًا . وقصدَ للخلاصِ جانبًا

الجمل والملح

٩١ كانَ جمَّالٌ فقيرٌ ذو عيالٍ لهُ جملٌ يتعيَّشُ عليهِ . ويتقوَّتُ هوَ وعيالُهُ بما يصلُ منهُ إليهِ . فرأى صلاحَهُ في نقلِ ملحٍ منَ ٱلملَّاحةِ .

فَجَدَّ فِي تَثْقِيلِ ٱلْأَحْمَالِ. وَمُلَازَمَتِهِ بِأَثْقَالِ ٱلْأَثْقَالِ. إِلَى أَنْ آلَ حَالُ ٱلْجَمَلِ إِلَى ٱلْهُزَالِ. وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ. وَٱلْجَمَّالُ لَا يَرِقُّ لَهُ بِحَالٍ. وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِٱلْاشْتِغَالِ. فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ. أَرْسَلَهُ مَعَ ٱلسَّوَامِ. فَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْمَرْعَى. وَهُوَ سَاقِطُ ٱلْقُوَّةِ عَنِ ٱلْمَسْعَى. وَكَانَ لَهُ أَرْنَبٌ صَدِيقٌ. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَضِيقِ. وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. وَبَثَّ عَظِيمَ ٱشْتِيَاقِهِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْخُزَزُ هُزَالَهُ. تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ. فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ. وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنَكَالِهِ. وَأَنَّ ٱلْمِلْحَ قَدْ قَرَحَهُ. وَجَبَّ سَنَامَهُ وَجَرَحَهُ. وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ ٱلْحِيلَةُ. وَأَضَلَّ إِلَى ٱلْخَلَاصِ سَبِيلَهُ. فَتَأَلَّمَ ٱلْأَرْنَبُ وَتَأَمَّلَ. وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَٰذَا ٱلدُّمَّلِ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ. لَقَدْ فُزْتَ بِٱلْمَطْلُوبِ. وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ ٱلْخَلَاصِ. مِنْ شَرَكِ هَٰذَا ٱلِاقْتِنَاصِ. وَٱلنَّجَاةُ مِنَ ٱلِارْتِهَاصِ وَٱلِارْتِصَاصِ. تَحْتَ حِمْلٍ كَٱلرَّصَاصِ. فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا ٱلرِّيَاضَةِ. فِي طَرِيقِ ٱلْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٌ. فَقَالَ: كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ. فَقَالَ: إِذَا مَرَرْتَ فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ. فَٱبْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ. وَتَنَصَّلْ مِنْ حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ. وَٱسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ. فَإِنَّ ٱلْمِلْحَ فِي ٱلْمَاءِ يَذُوبُ. وَكَرِّرْ هَٰذِهِ ٱلْحَرَكَةَ. فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا ٱلْبَرَكَةَ. فَإِمَّا أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُوهُ. أَوْ تَسْتَرِيحَ بِذَوْبِهِ مِنَ ٱلَّذِي أَضْعَفُوهُ. فَتَحَمَّلَ ٱلْجَمَلُ لِلْأَرْنَبِ ٱلْمِنَّةَ. وَشَنَّفَ بِدُرِّ هَٰذِهِ ٱلْفَائِدَةِ أُذْنَهُ. فَلَمَّا حَمَّلَهُ صَاحِبُهُ ٱلْحِمْلَ ٱلْمَعْهُودَ. وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ لِلْمَوْرُودِ. وَوَصَلَ ٱلْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فضربوه وما احترك . وتحمل ضربه وعسفه . حتى أذاب من الجمل نصفه . ثم نهض انتهاضة . وخرج من المخاضة . ولازم هذه العادة . إلى أن أفقر صاحبه وأباده . فأدرك الجمال هذه الحيلة . فافتكر له في داهية وبيلة . وعمد إلى عهن منفوش . وغير في مقامرته شكل النقوش . وأوسق للجمل حملا . وبالغ فيه تعبية وثقلا . وسلط عليه الظماء . ثم دخل به إلى الماء . فلما توسط الماء برك . وتغافل عنه صاحبه وترك . فتشرب الصوف من الماء ما يملأ البرك . ثم أراد النهوض . فناء به الربوض . فقاسى من المشاق . ما لا يطاق . ورجع هذا الفكر الوبيل . على الجمل المسكين بأضعاف التثقيل . فساء مصيره . وكان في تدبيره تدميره . وما استفاد إلا زيادة النصب . وأمثال ما كان يجده من التعب والوصب . وإنما أوردت هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار . أن العدو الغدار . والحسود المكار . يفتكر في أنواع الدواهي . ويفرغ أنواع البلايا والرزايا كما هي . ويبذل في ذلك جده وجهده . ولا يقصر فيما تصل إليه من ذلك يده . فتارة تدرك مكايده . وتعرف مصايده . وتارة يغفل عن دواهيها . فلا يشعر الخصم إلا وقد تورط فيها . وعلى كل حال . لا بد للشخص له وعليه من الاحتيال

البستاني والاربعة العابثون بجثته

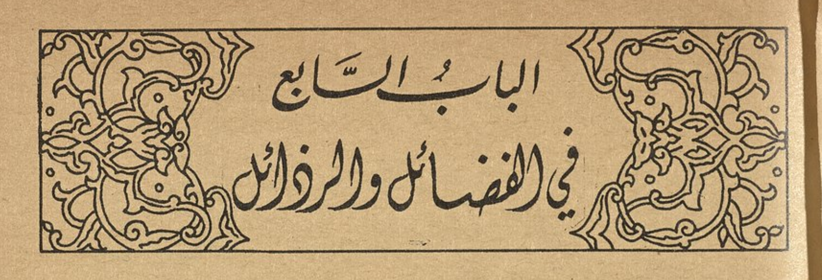
٩٢ كان من تكريت رجل مسكين . ينظر البساتين . ففي

بَعضِ ٱلسِّنِينَ • قَدِمَ قَرْيَةَ مَنِينَ • وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ • كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْجِنَانِ • فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ • فَفِي بَعْضِ ٱلْأَعْوَامِ • أَقْبَلَتِ ٱلْفَوَاكِهُ بِٱلْإِنْعَامِ • وَنَثَرَتِ ٱلثِّمَارَ مَلَابِسُ ٱلْأَشْجَارِ مِنَ ٱلْأَذْيَالِ وَٱلْأَكْمَامِ • فَأَلْجَأَتِ ٱلضَّرُورَةُ ذٰلِكَ ٱلْإِنْسَانَ • أَنْ خَرَجَ مِنَ ٱلْبُسْتَانِ • ثُمَّ رَجَعَ فِي ٱلْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ • أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَٱلْآخَرُ شَرِيفٌ • وَٱلثَّالِثُ فَقِيهٌ وَٱلرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ • قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا • وَنَامُوا وَٱتَّفَقُوا • وَتَصَرَّفُوا فِي ذَاكَ تَصَرُّفَ ٱلْمُلَّاكِ • وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا خَادِشًا • وَمَارَشًا وَنَاوَشًا وَنَاكَشًا • فَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِحَالِهِ • وَرَأَى ٱلْعَجْزَ فِي أَفْعَالِهِ • إِذْ هُوَ وَحِيدٌ • وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلٌّ عَنِيدٌ • فَسَارَعَ إِلَى ٱلتَّأْخِيذِ • وَعَزَمَ عَلَى ٱلتَّفْخِيذِ • فَٱبْتَدَأَ بِٱلتَّرْحِيبِ وَٱلْبَشَاشَةِ • وَٱلْإِكْرَامِ وَٱلْهَشَاشَةِ • وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطَايِبِ ٱلْفَاكِهَةِ • وَطَايَبَهُمْ بِٱلْمُفَاكَهَةِ • وَسَامَحَ بِٱلْمُمَازَحَةِ • وَمَازَحَ بِٱلْمُسَامَحَةِ • إِلَى أَنِ ٱطْمَأَنُّوا وَٱسْتَكَانُوا وَٱسْتَكَنُّوا • وَدَخَلُوا فِي ٱللَّعِبِ • وَلَاعَبُوهُ بِمَا يَجِبُ • فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ ٱلْكَلَامِ : أَيُّهَا ٱلسَّادَةُ ٱلْكِرَامُ لَقَدْ حُزْتُمْ أَطْرَافَ ٱلْمَعَارِفِ وَٱلطُّرَفِ • فَأَيَّ شَيْءٍ تُعَانُونَ مِنَ ٱلْحِرَفِ • فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ • وَقَالَ ٱلْآخَرُ : أَنَا شَيْخُ ٱلْقُضَاةِ جَدِّي • وَقَالَ ٱلثَّالِثُ : أَنَا فَقِيهٌ • وَقَالَ ٱلرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ • فَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَسْتَ بِنَبِيهٍ • وَلٰكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ • وَقَبِيحُ ٱلشَّكْلِ كَرِيهٌ • أَمَّا ٱلْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكُ رِقَابِنَا • وَحَارِسُ حِجَابِنَا • يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ • وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ • وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وقاية . وينكي في أعدائنا أشدَّ نكاية . فلو مدّ يده إلى كلّ منّا ورزقه . فهو بعض استحقاقه ودون حقّه . وأمّا الشريف فقد تشرّف به اليوم مكاني . وحلّت به البركة عليّ وعلى بستاني . وأمّا سيّدنا العالم فهو مرشد العالم . وهو سراج ديننا . الهادي إلى يقيننا . فإذا شرّفونا بأقدامهم . ورضوا أن نكون من خدّامهم . فلهم الفضل علينا . والمنّة الواصلة إلينا . وأمّا أنت يارابعهم . وشرّ جان تابعهم . بأيّ طريق تدخل إلى بستاني . وتتناول سفرجلي ورمّاني . هل بايعتني بمسامحة . وتركت لي المرابحة . أو لك عليّ دين . أو عاملتني نسيئةً دون عين . ألك عليّ جميلة . وهل بيني وبينك وسيلة . تقتضي تناول مالي . والهجوم على ملكي ومنالي . ثمّ مدّ يده إليه . فلم يعترض من رفقائه أحد عليه . لأنّه أرضاهم بالكلام . واعتذر عمّا يتطرّق إليه من ملام . فأوثقه وثاقاً محكماً . وتركه مغرماً . ثمّ مكث ساعة . وهو على الخلاعة مع الجماعة . وغامز الجنديّ والشريف على الفقيه الظريف . فقال : أيّها العالم الفقيه . والفاضل النبيه . أنت مفتي المسلمين . وعالم بمنهاج الدين . على فتواك مدار الإسلام . وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام . بفتواك تستباح الدماء فمن أفتاك بالدخول في هذا . أفتني ياعالم الزمان . محمّد بن إدريس أفتاك بهذا أم النعمان . أم أحمد بن حنبل أم مالك . فبح لنا بذلك . وإلّا فما بالك تعوث وتعبث بما ليس لك . ولا عتب على الأجناد والأشراف . ولا على

ٱلجهلاء وَٱلْأَجلافِ . إِذَا ٱرْتَكَبَ مِثْلُكَ هٰذَا ٱلْمَحْظُورَ . وَتَعَاطَى ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلْمُفْتُونَ أَقْبَحَ ٱلْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيبِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيبِهِ . فَأَحْكَمَهُ وِثَاقًا . وَآلَمَهُ رِبَاقًا . فَٱسْتَنْجَدَ بِصَاحِبَيْهِ إِلَى جَانِبَيْهِ فَمَا أَنْجَدَاهُ وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يُلَاهِي . ٱلْجُنْدِيَّ ٱلسَّاهِيَ . وَغَامَزَهُ عَلَى ٱلشَّرِيفِ . ذِي ٱلنَّسَبِ ٱلظَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْأَصِيلُ ٱلنَّجِيبُ ٱلْجَيِّدُ ٱلْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَثْقِلْ مَلَامِي . أَمَّا ٱلْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرٍ خَطِيرٍ . لَهُ ٱلْجَمِيلَةُ ٱلتَّامَّةُ . وَٱلْفَضِيلَةُ ٱللَّامَّةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا ٱلنَّسَبِ ٱلطَّاهِرِ . وَٱلْأَصْلِ ٱلْبَاهِرِ . وَٱلْفَضْلِ ٱلزَّاهِرِ سَلَفُكَ ٱلطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ ٱلْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعُ سُنَّةَ آبَائِكَ ٱلْأَشْرَافِ . مِنَ ٱلزُّهْدِ وَٱلْعَفَافِ . فَلَا عَتْبَ عَلَى ٱلْأَوْبَاشِ وَٱلْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ وَكَتَّفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ ٱلْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْجُنْدِيُّ وَهُوَ وَحِيدٌ . فَٱنْتَصَفَ مِنْهُ ٱلْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ لِنَفْسِهِ ٱحْتِيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ ٱلْجِيرَانَ . وَٱسْتَعَانَ بِٱلْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ ٱلدِّيوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ وَعَمَلَتِهِمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ ٱلْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ رَخِيصٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لِتَعْلَمُوا أَيُّهَا ٱلْوُزَرَاءُ أَنَّ ٱلتَّخْذِيذَ . بَيْنَ ٱلْأَعْدَاءِ بِٱلتَّأْخِيذِ . أَمَرُّ مِنَ ٱلسِّهَامِ فِي تَنْفِيذِ ٱلْأَحْكَامِ وَأَحْكَامِ ٱلتَّنْفِيذِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)



الباب السابع
في الفضائل والرذائل

الصبر

٩٣ يُقالُ أَوْكدُ الأَسْبابِ لِلظَّفرِ الصَّبْرُ. وَقالَ بعضُ العلماء: الصَّبْرُ جُنَّةُ المؤمنِ وعزيمةُ المتوكِّلِ وسببُ دركِ النُّجحِ في الحوائجِ. فمَنْ وطَّنَ نفسهُ على الصَّبرِ لَمْ يجدْ لِلأذى مسًّا. ومنِ استعفَّ باللهِ عفَّهُ. ومَنِ استعانَ بهِ يُعِنْهُ ولن تجدُوا حظًّا خيرًا مِنَ الصبرِ. جاءَ في المبهج: الصَّبرُ أَحجى بذي الحِجَى. وقالَ حكيمٌ: تابعُ الصبرِ متبوعُ النَّصرِ (للمقدسي)

٩٤ قالَ أبو تمَّام:

إذا اشتملَتْ على اليأسِ القلوبُ ۝ وضاقَ لِما بهِ الصَّدرُ الرَّحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنَّتْ ۝ وأرستْ في مكامنِها الخُطوبُ
فلَمْ ترَ لانكشافِ الضُّرِّ وجهًا ۝ ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قنوطٍ منهُ غوثٌ ۝ يمنُّ بهِ اللَّطيفُ المستجيبُ
فكلُّ الحادثاتِ وإنْ تناهتْ ۝ فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

٩٥ مِنَ الدِّيوانِ المنسوبِ إلى أميرِ المؤمنينَ عليٍّ:

هيَ حالانِ شدَّةٌ ورخاءُ ۝ وسجالانِ نعمةٌ وبلاءُ
والفتى الحاذقُ الأديبُ إذا ما ۝ خانهُ الدَّهرُ لَمْ يخنْهُ العزاءُ

إنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ بِي فَإِنِّي في ٱلْمُلِمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
حَازِمٌ فِي ٱلْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ ٱلنَّعِيمُ وَٱلْبَلْوَاءُ

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لَأُغْضِي مُقْلَتَيَّ عَلَى ٱلْقَذَى وَأَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجَا
وَإِنِّي لَأَدْعُو ٱللهَ وَٱلْأَمْرُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ ٱللهِ مَخْرَجَا

٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ ٱلتَّضَعْضُعَ لِلْعِدَى وَلَوْ قَطَعَتْ فِي ٱلْجِسْمِ مِنْكَ ٱلْبَوَاتِرُ
سُرُورُ ٱلْأَعَادِي أَنْ تَرَاكَ بِذِلَّةٍ وَلٰكِنَّهَا تَغْتَمُّ إِذْ أَنْتَ صَابِرُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ فَٱسْتَصْحَبَ ٱلصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِٱلظَّفَرِ

قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِٱلصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ فَٱلصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ ٱلدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ ٱلْفَرَجِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوَبِ ٱلزَّمَانِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِنِكَايَةِ ٱلْأَحْرَارِ
لَا يُكْسَفُ ٱلنَّجْمُ ٱلضَّعِيفُ وَإِنَّمَا يَسْرِي ٱلْكُسُوفُ لِرِفْعَةِ ٱلْأَقْمَارِ

٩٧ قَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَثِقْ بِفَضْلِ ٱلْإِلٰهِ وَٱبْتَهِجِ

وَٱرْجُ إِذَا ٱشْتَدَّ هَمٌّ نَازِلَةٍ ... فَآخِرُ ٱلْهَمِّ أَوَّلُ ٱلْفَرَجِ

وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ:

تَصَبَّرْ فَفِي ٱللَّأْوَاءِ قَدْ يُحْمَدُ ٱلصَّبْرُ ... وَلَوْلَا صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ لَمْ يُعْرَفِ ٱلْحُرُّ

وَإِنَّ ٱلَّذِي أَبْلَى هُوَ ٱلْعَوْنُ فَٱنْتَدِبْ ... جَمِيلَ ٱلرِّضَا يَبْقَى لَكَ ٱلذِّكْرُ وَٱلْأَجْرُ

وَثِقْ بِٱلَّذِي أَعْطَى وَلَا تَكُ جَازِعًا ... فَلَيْسَ بِحَزْمٍ أَنْ يُرَوِّعَكَ ٱلضُّرُّ

فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا ... يَدُومُ كِلَا ٱلْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرُ

تَقَلَّبُ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ ... لَدَيْهِ مَعَ ٱلْأَيَّامِ حُلْوٌ وَلَا مُرُّ

قَالَ آخَرُ:

إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَٱلصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ ... إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

وَقَالَ آخَرُ:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ ... وَيُعْرَفُ عِنْدَ ٱلصَّبْرِ فَضْلُ نُهَاهُ

وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ ٱصْطِبَارُهُ ... فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْتَجِيهِ مُنَاهُ

قَالَ ٱلْمَرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ:

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً ... فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ

وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَٱعْلَمَنَّ مَغَبَّةً ... مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ ٱلْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا ٱلْأَبْلَهُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ ٱلْأَكْدَارِ وَمَحَلُّ ٱلْهُمُومِ وَٱلْغُمُومِ وَٱلْحَسَرَاتِ. وَأَنَّ أَخَفَّ ٱلْخَلْقِ

بَلاءً وَأَلَماً ٱلفُقَرَاءُ . وأَعْظَمَ ٱلنَّاسِ تَعَباً وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلأُمَرَاءُ وَٱلكُبَرَاءُ . ويُقَالُ : لِكُلِّ شِبْرٍ قَامَةٌ مِنَ ٱلْهَمِّ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَنِعَتْ هِمَّتِي بِٱلْخُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ ٱلرُّتَبِ ٱلْعَالِيَهْ
وَمَا جَهِلَتْ طِيبَ طَعْمِ ٱلْعُلَى وَلٰكِنَّهَا تُؤْثِرُ ٱلْعَافِيَهْ

وَطَالَمَا رَضِيَتِ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسَّلَاطِينُ بِحَالِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلضُّعَفَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقَلُّهَا

فَٱرْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ . وَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدْ ذٰلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا ٱللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا ٱللهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَٱعْتَبِرْ بِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِظَاتِ . وَمِنْ ذٰلِكَ أَنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَٱتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَمْطُرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَتَهُمْ فِكْرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَلِلّٰهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى ٱلدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَتْنِي ٱلْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ ٱلْقَنَاعَةْ
فَٱجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَٱشْتَرِ بَعْدَهَا ٱلتَّقْوَى بِضَاعَةْ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

غِنَى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَى فَقْرَا

قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ ٱقْنَعْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَّهَا
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱللّٰهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ ٱلدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ ٱلسَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيَرِ ٱلْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ٱحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ ٱلْحِجَابَ. وَيُبْعِدُ ٱلْحُجَّابَ. وَيُزِيحُ ٱلْبَوَّابَ. لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ ٱلْبِسَاطِ وَيُخَاطِبَهُ وَيَعُودَ مَقْضِيَّ ٱلْحَاجَةِ. وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ ٱلْخُصُومِ مِثْلَ ٱلْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ ٱلدَّعَاوِيَ. ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ. وَيُوَجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَيَقُولُ: إِلٰهِي هٰذَا جَهْدِي وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ ٱلْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي. وَلَا أَعْلَمُ عَلَى أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي أَجْنَفْتُ أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ. أَنَا وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي. فَٱغْفِرْ لِي مِنْ ذٰلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ. فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ ٱلنِّيَّةِ جَمِيلَ ٱلطَّوِيَّةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَٱرْتَفَعَ قَدْرُهُ. وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُعْتَدِّينَ بِالسِّلَاحِ مُقَنَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ظَفَّرَهُ اللهُ بِأَعْدَائِهِ (للغزالي)

قَالَ شَاعِرٌ :

أَلْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْحَتِمُ
أَلْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُمْتَنِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّمْهِيدُ يَنْتَظِمُ

١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَغَاثَتِ النَّاسُ مِنْ ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ : يَا أَحْمَدُ بْنَ طُولُونَ . فَلَمَّا رَآهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَأَسَرْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَقَهَرْتُمْ . وَخُوِّلْتُمْ فَفَسَقْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْزَاقُ فَقَطَعْتُمْ . هٰذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّمَا مِنْ قُلُوبٍ أَجَعْتُمُوهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَيْتُمُوهَا . اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَاظْلِمُوا فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ (لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ أَيَّامَ وِزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ : لَا تَلُمْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِنْفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ . وَلَا وَفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَاخْتِلَاقٍ . وَأَحْرِ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي

مَسَرَّتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى ٱلْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ ٱلْمُتَنَبِّيَ أَشَارَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ ... مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ ٱلصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي ٱلْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا إِلَى ٱلْمَكَارِمِ. وَٱكْتَسِبُوا بِٱلْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِٱلْمَالِ ذَمًّا. وَلَا تَعِدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعَجِّلُوهُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ ٱلنَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ فَلَا تَمَلُّوهَا فَتَعُودَ نِقَمًا. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

مَاتَ ٱلْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَٱنْقَضَوْا وَمَضَوْا ... وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ ٱلْكَرَامَاتُ

وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ ... لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي ٱلْكَرَى مَاتُوا

١٠٤ قَالَ آخَرُ:

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي ... فَيَّاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالِ

لَا أَحْبِسُ ٱلْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ ... وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالِ

وَقَالَ سَوَادَةُ ٱلْيَرْبُوعِيُّ:

أَلَا بَكَرَتْ مَيٌّ عَلَيَّ تَلُومُنِي ... تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهْ

ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ ٱلْفَتَى ... وَلَا يُهْلِكُ ٱلْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهْ

قَالَ آخَرُ:

يُفْنِي ٱلْبَخِيلُ بِجَمْعِ ٱلْمَالِ مُدَّتَهُ ... وَلِلْحَوَادِثِ وَٱلْأَيَّامِ مَا يَدَعُ

كَدُودَةِ ٱلْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا ... وَغَيْرُهَا بِٱلَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي ٱلْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ مُعَنًّى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهْ
كَذٰلِكَ دُودُ ٱلْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِٱلَّذِي هُوَ نَاسِجُهْ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَائِحِ ٱلْمَطْلِ وَٱلسَّلَامُ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى ٱلْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ لَا تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ ٱلنَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدتَّ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدتَّ تَكَرُّمًا فَٱلْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ ٱلْإِنْعَامِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَئِنْ جُمِعَ ٱلْآفَاتُ فَٱلْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرٌّ مِنَ ٱلْبُخْلِ ٱلْمَوَاعِيدُ وَٱلْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ: مَنْ بَدَأَ بِٱلْاسْتِخَارَةِ وَثَنَّى بِٱلْاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ رَأْيُهُ . وَقِيلَ: ٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ ٱلْبَطَلِ ٱلشَّدِيدِ . وَقِيلَ: مَنْ بَذَلَ

نُصحَهُ وَاجتِهادَهُ لِمَن لا يَشكُرُهُ فهو كَمَن بَذَرَ في السِّباخِ. قالَ الشاعِرُ يمدَحُ مَن لَهُ رأيٌ وبصيرةٌ :

بَصيرٌ بأعقابِ الأُمورِ كأنَّما يُخاطِبُهُ مِن كُلِّ أَمرٍ عواقِبُهْ

وَقالَ بعضُهُمْ : خَميرُ الرَّأيِ خيرٌ مِن فَطيرِهِ. وتقديمُهُ خيرٌ مِن تأخيرِهِ

(للابشيهي)

وما يُعرَفُ أحسَنُ مِن قَولِ ابْنِ الرُّوميِّ في ذلِكَ :

نارُ الرَّوِيَّةِ نارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٍ وَلِلْبَديهَةِ نارٌ ذاتُ تَلْوِيحِ

وَقَدْ يُفَضِّلُها قَوْمٌ لِعاجِلِها لَكِنَّهُ عاجِلٌ يَمضي مَعَ الرِّيحِ

قالَ أبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي :

الرَّأيُ قَبْلَ شَجاعَةِ الشُّجعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثّاني

فَإِذا هُما اجْتَمَعا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَكانِ

وَلَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أَقرانَهُ بِالرَّأيِ قَبْلَ تَطاعُنِ الأَقْرانِ

لَوْلا العُقولُ لَكانَ أَدْنى ضَيغَمٍ أَدْنى إِلى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسانِ

١٠٧ قالَ بَعْضُهُمْ : وَشاوِرِ النّاسَ في الأَمرِ إِذْ إِنَّ الإِنسانَ لا يَستَغني عَن مَشورَةِ نَصيحٍ لَهُ. كَما أَنَّ القَوادِمَ مِنْ رِيشِ الجَناحِ تَستَعينُ بِالخَوافي مِنهُ. قالَ بَشّارٌ :

إِذا بَلَغَ الرَّأيُ المَشورَةَ فَاسْتَعِنْ بِحَزمِ نَصيحٍ أَوْ نَصاحَةِ حازِمِ

وَلا تَجعَلِ الشُّورى عَلَيكَ غَضاضَةً فَرِيشُ الخَوافي تابِعٌ لِلقَوادِمِ

وَما خَيرُ كَفٍّ أَمسَكَ الغُلُّ أُختَها وَما خَيرُ سَيفٍ لَم يُؤَيَّدْ بِقائِمِ

قَالَ ٱلْأَصْمعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيتُ رِجَالَ ٱلرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَبْيَاتِكَ فِي ٱلْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوَمَا عَلِمتَ أَنَّ ٱلْمُشَاوِرَ بَيْنَ إِحدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَاءٍ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْمَشُورَةُ لِقَاحُ ٱلْعُقُولِ وَرَائِدُ ٱلصَّوَابِ وَٱلْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ ٱلنَّجَاحِ . وَٱسْتِشَارَةُ ٱلْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ وَحَزْمِ ٱلتَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِئَ وَقَدْ ٱسْتَشَرْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدِ ٱسْتَبْدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لابي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ ٱلرَّأْيَ وَهْوَ مُوَافِقٌ ... حُكْمَ ٱلصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصِ

فَٱلدُّرُّ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى ... مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ ٱلْغَائِصِ

قَالَ ٱلْأَرَّجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ... يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَشُورَاتِ

فَٱلْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى ... وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرْآةِ

وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ ... فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِٱلْوَثِيقَهْ

وِدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلٍ ... وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَٱلْحَقِيقَهْ

فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هٰذِي ٱلْمَعَانِي ... فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَٱلْزَمْ طَرِيقَهْ

وَلِأَبِي ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيِّ:

فَمَا كُلُّ ذِي نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ
وَلٰكِنْ إِذَا مَا ٱسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: مَا أَمْحَقَ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكَ لِلسِّتْرِ مِنَ ٱلْحَسَدِ. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ ٱللهِ. بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ. عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ. يَعْتَدُّ نِعَمَ ٱللهِ نِقَمًا وَمَزِيدَهُ غِيَرًا. وَعَدْلَ قَضَائِهِ حَيْفًا لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ. لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ. وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ. وَلَا يَنْفَعُهُ عَيْشُهُ. مُحْتَقِرٌ لِنِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِ. مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ. وَلَا يَبْرُدُ غَلِيلُهُ. وَلَا تُؤْمَنُ غَوَائِلُهُ. إِنْ سَالَمْتَهُ وَتَرَكَ. وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ. وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ. ذُكِرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ ٱلشَّيْطَانُ مَهَاوِيَ ٱلضَّلَالَةِ. وَأَوْرَدَهُ قُحَمَ ٱلْهَلَكَةِ. فَصَارَ لِنِعَمِ ٱللهِ تَعَالَى ٱلْمِرْصَادَ إِنْ أَنَالَهَا مَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ. أُشْعِرَ قَلْبُهُ ٱلْأَسَفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدَرْ لَهُ. وَأَغَارَهُ ٱلْكَلَفُ بِمَا لَمْ يَكُنْ لِيَنَالَهُ. قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلتَّيْمِيُّ: أَلْحَسَدُ يُضْعِفُ ٱلْيَقِينَ وَيُسْهِرُ ٱلْعَيْنَ وَيُكْثِرُ ٱلْهَمَّ. وَلِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ:

أَيَا رَبِّ إِنَّ ٱلنَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمُ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَذْلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي نِقْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمِ وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَجُفُونِي

كَتَبَ ٱبْنُ بِشْرٍ ٱلْمَرْوَزِيُّ إِلَى ٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ :

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ
فَإِنَّ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ رَغْدًا بِلَا قَتَرٍ صَفْوًا بِلَا رَنَقِ
خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَٱلْغِلُّ فِي ٱلْقَلْبِ مِثْلُ ٱلْغُلِّ فِي ٱلْعُنُقِ

(لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَٱلْحَسَدَ ٱلَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهُ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدْ
إِنَّ ٱلْحَسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِٱلْقَوْلِ فَهْوَ لَكَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُجْتَهِدْ

وَلِبَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ يَنْصَحُ ٱلْحَسُودَ :

لَا يُحْزِنَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتْبَعْ أَخَا لَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدَا
فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَاكَ ٱلْهَمَّ وَٱلنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ ٱلْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ ٱلْمَصْلَحَةُ فِيهِ. وَمَتَى ٱسْتَوَى ٱلْكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي ٱلْمَصْلَحَةِ فَٱلسُّنَّةُ ٱلْإِمْسَاكُ عَنْهُ. لِأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ ٱلْكَلَامُ ٱلْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هٰذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي ٱلْعَادَةِ . وَٱلسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وُهَيْبُ بْنُ ٱلْوَرْدِ : بَلَغَنَا أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي ٱلصَّمْتِ وَٱلْعَاشِرَةُ فِي عُزْلَةِ ٱلنَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَغَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ ٱعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ لَأَغْمَدْتَ صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَخَتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : ٱلْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وِثَاقِ ٱلرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وِثَاقِهَا . يَقُولُ ٱللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُنَّ . فَيَقُلْنَ بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْتَنَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ ٱلْقَلِيلَ مِنَ ٱلْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنَّ كَثِيرَهُ مَمْقُوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فِضَّةٍ فَٱلصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ

١١٠ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَّ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ : ٱلْكَلَامُ كَٱلدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَلْتَ مِنْهُ نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنْ وَخْزِ ٱلْإِبَرِ . وَأَمَرُّ مِنَ ٱلصَّبِرِ . وَأَحَرُّ مِنَ ٱلْجَمْرِ . وَإِنَّ ٱلْقُلُوبَ مَزَارِعُ فَٱزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

ٱلْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ ٱللهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ ٱللِّسَانِ . ٱلْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَٱلشَّفَتَانِ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ . وَٱللَّهَاةُ مُطْبِقَةٌ عَلَيْهِ وَٱلْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ . فَٱتَّقِ ٱللهَ وَلَا تُطْلِقْ هٰذَا ٱلْمَحْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : أَحْبِسْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للشبراوي)

قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ ... فَٱلْمَرْءُ يَسْلَمُ بِٱللِّسَانِ وَيَعْطَبُ

وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

سِجْنُ ٱللِّسَانِ هُوَ ٱلسَّلَامَةُ لِلْفَتَى ... مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا ٱسْتِئْصَالُ

إِنَّ ٱللِّسَانَ إِذَا حَلَلْتَ عِقَالَهُ ... أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لِيُونَ ٱلتُّجِيبِيُّ :

نَزِّهْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ ... وَٱرْغَبْ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالِ

لَا تَبْغِ غَيْرَ ٱلَّذِي يَغْنِيكَ وَٱطَّرِحِ ٱلْـ ... ـفُضُولَ تَحْيَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ وَٱلْبَالِ

كتمان السرّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آنِيَةٍ لَا تُمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذٰلِكَ لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنَ ٱلنَّاسُ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدِ ٱتَّهَمَ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ ٱلِاسْتِبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقَلُّ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ ٱلْمُشَارَكَةِ (للشبراوي)

قَالَ ٱلْقَاضِي ٱلْأَسْعَدُ أَبُو ٱلْمَكَارِمِ ٱلْمِصْرِيُّ ٱلْكَاتِبُ:

وَأَكْتُمُ ٱلسِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ   إِلَى ٱلْمُسِرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانِ
وَذَاكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يَعْلَمُهُ   سَمْعِي بِسِرِّ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي

١١٢ (فِي ٱلتَّاجِ): إِنَّ بَعْضَ مُلُوكِ ٱلْعَجَمِ ٱسْتَشَارَ وَزِيرَيْهِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا. فَإِنَّهُ أَمْوَتُ لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ. فَإِنَّ إِفْشَاءَ ٱلسِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى ٱثْنَيْنِ. وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ. فَإِذَا كَانَ ٱلسِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أَحْرَى أَنْ لَا يَظْهَرَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً. وَإِنْ كَانَ عِنْدَ ٱثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ ٱلشُّبْهَةُ وَٱتَّسَعَتْ عَلَى ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلْمَعَارِيضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ ٱثْنَيْنِ بِذَنْبِ وَاحِدٍ. وَإِنِ ٱتَّهَمَهُمَا ٱتَّهَمَ بَرِيئًا بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ. وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ ٱلْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ ٱلْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبة

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ ٱلْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدِ ٱسْتَدْلَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ. لِأَنَّ طَالِبَ ٱلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا. أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ

لَا تَهْتِكَنْ مِنْ مَسَاوِي ٱلنَّاسِ مَا سَتَرُوا   فَيَهْتِكَ ٱللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا

وَٱذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا   وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا
(لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱبْنُ ٱلْحَاجِّ ٱلدَّلَفِيُّ :

إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلَّذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ   وَيَحْفَظُ ٱلسِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ   بَثَّ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا

وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ ٱلسِّرَّ عَمَّنْ أَوَدُّهُ   تَوَهَّمَ أَنَّ ٱلْوِدَّ غَيْرُ حَقِيقِ
وَلَمْ أُخْفِ عَنْهُ ٱلسِّرَّ مِنْ ضِنَّةٍ بِهِ   وَلَكِنَّنِي أَخْشَى صَدِيقَ صَدِيقِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ غَيَّابٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِٱلنَّمَّامِ خِسَّةً وَرَذِيلَةً سُقُوطُهُ وَضَعَتُهُ (وَٱلْهَمَّازُ ٱلْمُغْتَابُ ٱلَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ ٱلنَّاسِ ٱلطَّاعِنُ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمُ ٱلْمَشَّاؤُونَ بِٱلنَّمِيمَاتِ ٱلْمُفْسِدُونَ بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ ٱلْبَاغُونَ ٱلْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونٌ ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ . مَلْعُونٌ ذُو ٱللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونٌ كُلُّ شَغَّازٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ نَمَّامٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ (وَٱلشَّغَّازُ ٱلْمُحَرِّشُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ يُلْقِي بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ . وَٱلْقَتَّاتُ ٱلنَّمَّامُ . وَٱلْمَنَّانُ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ وَيَمُنُّ بِهِ) . قَالَ آخَرُ : ٱحْذَرُوا أَعْدَاءَ ٱلْعُقُولِ وَلُصُوصَ ٱلْمَوَدَّاتِ . وَهُمُ ٱلسُّعَاةُ وَٱلنَّمَّامُونَ . إِذَا سَرَقَ ٱللُّصُوصُ ٱلْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمُ ٱلْمَوَدَّاتِ . وَفِي ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ وَقَدْ تُقْطَعُ ٱلشَّجَرَةُ فَتَنْبُتُ

وَيَقطَعُ اللَّحمَ السَّيفُ فَيَندَمِلُ. وَاللِّسانُ لا يَندَمِلُ جُرحُهُ. قالَ صالحُ ابْنُ عَبدِ القُدُّوسِ:

قُلْ لِلَّذي لَستُ أَدري مِن تَلَوُّنِهِ ... أَناصِحٌ أَمْ عَلى غِشٍّ يُناجيني
إِنّي لَأُكثِرُ مِمّا سُمتَني عَجَباً ... يَدٌ تَشُجُّ وَأُخرى مِنكَ تَأْسوني
تَغتابُني عِندَ أَقوامٍ وَتَمدَحُني ... في آخَرينَ وَكُلٌّ عَنكَ يَأتيني
هٰذانِ شَيئانِ قَدْ نافَيتَ بَينَهُما ... فَاكفُفْ لِسانَكَ عَن شَتمي وَتَزيِيني

١١٤ وَقالَ المَأْمونُ: النَّميمَةُ لا تَقرَبُ مَوَدَّةً إِلّا أَفسَدَتها. وَلا عَداوَةً إِلّا جَدَّدَتها وَلا جَماعَةً إِلّا بَدَّدَتها. ثُمَّ لا بُدَّ لِمَن عُرِفَ بِها وَنُسِبَ إِلَيها أَن يُجتَنَبَ وَيُخافَ مِن مَعرِفَتِهِ وَلا يُوثَقَ بِمَكانِهِ. وَأَنشَدَ بَعضُهُم:

مَن نَمَّ في النّاسِ لَم تُؤمَنْ عَقارِبُهُ ... عَلى الصَّديقِ وَلَم تُؤمَنْ أَفاعيهِ
كَالسَّيلِ بِاللَّيلِ لا يَدري بِهِ أَحَدٌ ... مِن أَينَ جاءَ وَلا مِن أَينَ يَأتيهِ
أَلوَيلُ لِلعَهدِ مِنهُ كَيفَ يَنقُضُهُ ... وَالوَيلُ لِلوُدِّ مِنهُ كَيفَ يُفنيهِ

(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قالَ عَلِيُّ بنُ عُبَيدَةَ: الكَذِبُ شِعارُ الخِيانَةِ وَتَحريفُ العِلمِ وَخَواطِرُ الزُّورِ وَتَسويلُ أَضغاثِ النَّفسِ وَاعوِجاجُ التَّركيبِ وَاختِلافُ البِنيَةِ. وَعَن خُمولِ الذِّكرِ ما يَكونُ صاحِبُهُ قالَ أَعرابِيٌّ لِابنِهِ وَسَمِعَهُ يَكذِبُ: يا بُنَيَّ عَجِبتُ مِنَ الكَذّابِ المُشيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّما يَدُلُّ عَلى عَيبِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلعِقابِ مِن رَبِّهِ. فَالآثامُ لَهُ عادَةٌ. وَالأَخبارُ عَنهُ

متضادة. إن قال حقاً لم يصدق. وإن أراد خيراً لم يوفق. فهو الجاني على نفسه بفعاله. والدال على فضيحته بمقاله. فما صح من صدقه نسب إلى غيره وما صح من كذب غيره نسب إليه (لابن عبد ربه)

قال بعضهم:

إياك من كذب الكذوب وإفكه فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما ضحك الكذوب تفكهاً وبكى من الشيء الذي لم يبكه
ولربما صمت الكذوب تخلقاً وشكا من الشيء الذي لم يشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه

المزاح

١١٦ قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: ما زالت الحكماء تكره المزاح وتنهى عنه. فقال: المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب. المزاح أوله فرح وآخره ترح. المزاح نقائض السفهاء كالشعر نقائض الشعراء. والمزاح يوغر صدر الصديق. وينفر الرفيق. والمزاح يبدي السرائر. لأنه يظهر المعاير. والمزاح يسقط المروءة. ويبدي الخنى. لم يجر المزاح خيراً. وكثيراً ما جر شراً. الغالب بالمزاح واتر. والمغلوب به ثائر. والمزاح يجلب الشتم صغيره. والحرب كبيره. وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة. فقال الحجاج: حسبك الموت خير من عفو معه قدرة. وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال: ينشق أحدكم أخاه مثل الخردل. ويفرغ عليه مثل

ٱلْمِرْجَلِ. وَيَرْمِيهِ مِثْلَ ٱلْجَنْدَلِ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ. أَخَذَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى مَحْمُودُ بْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلْوَرَّاقُ فَقَالَ:

تَلْقَى ٱلْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارُكَ فِي ٱلْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوَمَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ ٱلْمِزَاحَ هُوَ ٱلسِّبَابُ ٱلْأَصْغَرُ

(للقيرواني)

الصداقة وخلوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي ٱلْمُبْهِجِ): ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّدُوقُ ثَانِي ٱلنَّفْسِ وَثَالِثُ ٱلْعَيْنَيْنِ. (وَمِنْهُ) ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّدُوقُ. كَٱلشَّقِيقِ ٱلشَّفُوقِ. (وَمِنْهُ) ٱلصَّدِيقُ عُمْدَةُ ٱلصَّدِيقِ وَعُدَّتُهُ. وَنُصْرَتُهُ وَعُقْدَتُهُ. وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ. وَمُشْتَرِيهِ وَزُهْرَتُهُ. وَمِنْهُ لِقَاءُ ٱلْخَلِيلِ شِفَاءُ ٱلْغَلِيلِ. وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ. وَلَا عَنْهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ. وَمَثَلُ ٱلصَّدِيقَيْنِ كَٱلْيَدِ تَسْتَعِينُ بِٱلْيَدِ وَٱلْعَيْنِ بِٱلْعَيْنِ. (وَمِنْهُ) لِقَاءُ ٱلصَّدِيقِ رَوْحُ ٱلْحَيَاةِ. وَفِرَاقُهُ سُمُّ ٱلْمَمَاتِ. (وَمِنْهُ) لَا تُسَاغُ مَرَارَةُ ٱلْأَوْقَاتِ. إِلَّا بِحَلَاوَةِ ٱلْإِخْوَانِ ٱلثِّقَاتِ. فَٱسْتَرْوِحْ مِنْ غُمَّةِ ٱلزَّمَانِ بِمُؤَانَسَةِ ٱلْخُلَّانِ. (وَمِنْهُ) ٱلْحَاجَةُ إِلَى ٱلْأَخِ ٱلْمُعِينِ. كَٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلْمَاءِ ٱلْمَعِينِ. وَلِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَى هٰذَا ٱلْبَابِ:

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو ٱلْوِدِّ مِنِّي وَذُو ٱلْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ عِنْدِي وَإِخْوَانِي
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِي فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي ٱلْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ أَبْدَانُنَا بِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ

قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ ٱلصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا ٱلسَّلَامُ وَمِنْ بَعْدِ ٱلسَّلَامِ طَعَامٌ ثُمَّ تَرْحِيبُ
وَبَعْدَ ذَاكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ وَضِحْكُ ثَغْرٍ وَإِحْسَانٌ وَتَقْرِيبُ
وَأَصْلُ ذٰلِكَ إِنْ تَبْغِي شَمَائِلَهَا بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ تَأْيِيدٌ وَتَأْدِيبُ
لَمْ تَنْسَ غَيْباً وَلَمْ تَمْلَلْ إِذَا حَضَرُوا قَدْ زَانَ ذٰلِكَ تَهْذِيبٌ وَتَرْتِيبُ
إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْهُ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبُ

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ظَهِيرُ ٱلدِّينِ ٱلْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى غَدْرٍ فَلَيْسَ ٱلْغَدْرُ مِنْ شِيمَتِي
أَقْسَمْتُ بِٱلذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا وَبِٱلْمَسَرَّاتِ ٱلَّتِي وَلَّتِ
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ وَعُقْدَةُ ٱلْمِيثَاقِ مَا حُلَّتِ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ ٱلْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلُّوَيَةَ ٱلْمَجْنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْماً عَلَى ٱلْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ :

عَذِيرِي مِنَ ٱلْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدِرْتُ عَلَيْهِ

فَسَمِعَ ٱلْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ ٱلْمَجْلِسَ مِنَ ٱلْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَٱسْتَظْرَفَهُ ٱلْمَأْمُونُ. وَقَالَ: أُدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا. فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ ٱلْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هٰذَا ٱلصَّاحِبَ

(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

خَيْرُ إِخْوَانِكَ ٱلْمُشَارِكُ فِي ٱلْمُرِّ وَأَيْنَ ٱلشَّرِيكُ فِي ٱلْمُرِّ أَيْنَا
أَلَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي ٱلْحَيِّ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنَا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ بَدَّلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ ٱلْبَرَايَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وِدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ ٱلْوِدَادِ زُورًا وَمَيْنَا

قَالَ بَشَّارُ أَيْضًا:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى ٱلْقَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ ٱلْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ ٱلْأَيَّامِ. فَنَالَ مَرْتَبَةً مِنَ ٱلسُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَفَا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ. فَقَالَ فِي ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ:

وَصَلَ ٱلْمُلُوكُ إِلَى ٱلتَّعَالِي وَوَفَا ٱلْمُلُوكِ مِنَ ٱلْمُحَالِ
مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرْ فٍ قُلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نُسُكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ ٱلثِّقَالِ
أَوْ كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ ٱلْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيغُ مَالِي
فَبِمِثْلِ ذَا ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ تَبْتَغِي رُتَبَ ٱلْمَعَالِي

١٢٢ قَالَ ٱلْعَنَزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِٱلتَّرْحِيبِ وَٱلْبِشْرِ
يُطْرِي ٱلْوَفَاءَ وَذَا ٱلْوَفَاءِ وَيَلْحِي ٱلْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا ٱلْغَدْرِ
فَإِذَا عَدَا وَٱلدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ ٱلدَّهْرِ
فَٱرْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِي ٱلْمُقِلَّ وَيَعْشَقُ ٱلْمُثْرِي
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي ٱلْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَٱلْيُسْرِ
لَا تَخْلِطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمِ مَنْ يَخْلِطُ ٱلْعِقْيَانَ بِٱلصُّفْرِ

قَالَ ٱلْقَاضِي عَبْدُ ٱلْجَوَّادِ ٱلْمَنُوفِيُّ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ ٱلْخِدْنُ ٱلْمُفَدَّى وَأَنْتَ مُصَادِقٌ أَعْدَايَ حَقًّا
إِلَيَّ إِلَيَّ فَٱجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقْ مَنْ أُصَادِقُهُ مُحِقًّا
وَجَانِبْ مَنْ أُعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبْقَى

قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ بِٱلَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا
وَلَكِنْ أَخُوكَ ٱلنَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ ٱلْأَدْنَى إِذَا ٱلْأَمْرُ أَعْضَلَا

١٢٣ قَالَ ٱلْعَتَّابِيُّ : ٱلْإِخْوَانُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ . فَرْعٌ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلٌ مُتَّصِلٌ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا ٱلْفَرْعُ ٱلْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ فَإِخَاءٌ بُنِيَ عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ ٱنْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ ٱلصُّحْبَةِ . وَأَمَّا ٱلْأَصْلُ ٱلْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاءٌ أَصْلُهُ ٱلْكَرَمُ وَأَغْصَانُهُ ٱلتَّقْوَى . وَأَمَّا ٱلْفَرْعُ ٱلَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ فَٱلْمُمَوَّهُ ٱلظَّاهِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ ٱلْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخُنْهُ سَاعَةً ... فِي دَمِي كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسْ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي ... لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهِمٍّ أَحْتَرِسْ
سَتَرَ ٱلْبُغْضَ بِأَلْفَاظِ ٱلْهَوَى ... وَٱدَّعَى ٱلْوُدَّ بِغِشٍّ وَدَلَسْ
إِنْ رَآنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ ... غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسْ
ثُمَّ لَمَّا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ ... حَمَلَ ٱلسَّيْفَ عَلَى مَجْرَى ٱلنَّفَسْ
وَأَرَادَ ٱلرُّوحَ لٰكِنْ خَانَهُ ... قَدَرٌ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسْ

وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي حَازِمٍ:

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ ... أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ ... أَوْ كَذِرَاعٍ نِيطَتْ إِلَى عَضُدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ ٱلْحَوَادِثُ فِي ... عَظْمِي وَحَلَّ ٱلزَّمَانُ مِنْ عُقَدِي
إِحْوَلَّ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ ... طَرْفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْقِهَا وَتَحْرُسْهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرُضِ ٱلْأَبِيَّ بِٱلْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى قُرْبِهِ . وَبِٱلْكَظْمِ حَتَّى يَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِكَ . وَٱلرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرَ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّقْصِيرِ . (وَلِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ) :

لَا بِرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهْ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْكَ كَعَادَتِهْ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهْ

١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أُوَاصِلُ مَنْ هَوِيتُ عَلَى خِلَالٍ أَذُودُ بِهِنَّ لَيَّاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ انْتِكَاثٌ وَوُدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ اللَّيَالِي
وَأُوثِرُهُ عَلَى عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمَلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا الْغَدْرُ الْمُذَمَّمُ مِنْ فِعَالِي

قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وِدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ ٱلْمَرْءُ بِٱلْمَرْءِ إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ مَاشَاهُ
وَفِي ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي ٱلْعَيْنِ عَلَى ٱلْعَيْنِ إِذَا تَنْطِقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

كَتَبَ ٱلْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ ٱلْمَرِيَّةِ إِلَى ٱبْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي ٱلنَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ ٱخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُرِنِي ٱلْأَيَّامُ خِلًّا تَسُرُّنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي ٱلْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى ٱلْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ ٱبْنُ أُمِّ ٱلْحَكَمِ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى ٱلْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى ٱلْقَوْلِ . وَأَنْتَ بِٱلْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ ٱلْمَطْلِ . وَٱعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ ٱلشُّكْرَ إِلَّا بِإِنْجَازِكَ ٱلْوَعْدَ وَٱسْتِتْمَامِكَ ٱلْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ ٱلْخَوْلَانِيُّ : إِنَّ أَوْقَعَ ٱلْمَعْرُوفِ فِي ٱلْقُلُوبِ وَأَبْرَدَهُ عَلَى ٱلْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ بِوَعْدٍ لَا يُكَدِّرُهُ ٱلْمَطْلُ . كَتَبَ ٱلْعَتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلسُّلْطَانِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبْلُهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ ٱلْمَطْلِ . وَٱلسَّلَامُ (لابن عبد ربّه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إِعلَمْ أَنَّ ٱلْكِبْرَ وَٱلإِعْجابَ يَسْلُبانِ ٱلفضائِلَ. وَيُكْسِبانِ ٱلرَّذائِلَ. وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَماعِ ٱلنُّصْحِ وَقَبُولِ ٱلتَّأْدِيبِ. وَتَسْلُبُ ٱلرِّئاسَةَ وَٱلسِّيادَةَ. وَٱلْكِبْرُ يُكْسِبُ ٱلْمَقْتَ وَيَمْنَعُ مِنَ ٱلتَّأَلُّفِ. وَلَمْ تَزَلِ ٱلْحُكَماءُ تَتَحامَى ٱلْكِبْرَ وَتَأْنَفُ مِنْهُ. وَنَظَرَ أَفْلاطُونَ إِلَى رَجُلٍ جاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقالَ: وَدِدتُّ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ أَعْدائِي مِثْلُكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ. وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتالُ فِي مَشْيِهِ فَقالَ: جَعَلَنِي ٱللهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)

قالَ بَعْضُهُمْ:

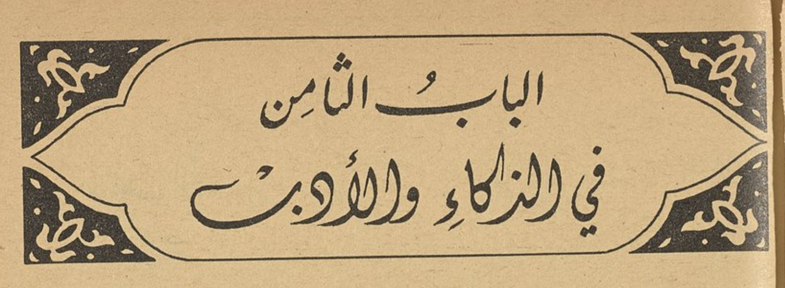
قُلْ لِلَّذِي تاهَ فِي دُنْياهُ مُفْتَخِرًا ... ضاعَ ٱفْتِخارُكَ بَيْنَ ٱلْماءِ وَٱلطِّينِ
إِذا تَفَقَّدتَّ فِي ٱلأَجْداثِ مُعْتَبِرًا ... هُناكَ تَنْظُرُ تِيجانَ ٱلسَّلاطِينِ

وَأَحْسَنُ مِنْ هٰذا ٱلقَوْلِ قَوْلُ ٱلقائِلِ:

يا صاحِ لا تَكُ بِٱلْعَلْياءِ مُفْتَخِرًا ... إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ ٱلصَّفْصافِ مُرْتَفِعًا ... إِلَى ٱلْعُلُوِّ وَلٰكِنْ لَا أَرَى ثَمَرا

قالَ آخَرُ:

إِتَّضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ ٱلْعُلا ... وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ وَلَا تُبْدِي ٱلضَّجَرْ
وَٱجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ ... لِلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدَّخَرْ
إِحْمِلِ ٱلنَّاسَ عَلَى أَخْلاقِهِمْ ... فَبِهِ تَمْلِكُ أَعْناقَ ٱلْبَشَرْ



الباب الثامن
في الذكاء والأدب

في العقل وماهيته

١٣٠ قال سهل التستري : العقل أن تستغني به عن كل شيء دونه جل جلاله . أما ذاته فقال بعضهم : العقل ذاته جوهر مضيء ونور مجرد وليس بعرض . خلقه الله وجعل نوره في القلب يدرك به المعقولات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة . وهو منال إلى الدنيا والآخرة وإلى العلوم الشرعية والعقلية . آلة للمؤمن يعمل به . والعقل ذاته شيء واحد وله وجهان . أحدهما العقل المشترك بين المؤمن والكافر ويعبر عنه بعقل المعاش . والوجه الثاني العقل الخاص بالمؤمن وهو المعبر عنه بعقل الهداية . فمن رزقه الله الهداية فهو المؤمن العاقل (الكنز المدفون)

١٠ أحسن ما قال بعضهم :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه أدرى وأرصد والجنون فنون

في شرف العقل

١٣١ العقل أحسن حلية . والعلم أفضل قنية . لا سيف كالحق . ولا عدل كالصدق . الجهل مطية سوء من ركبها زل . ومن صحبها

ضَلَّ. مِنَ ٱلْجَهلِ صُحْبَةُ ٱلْجُهَّالِ. وَمِنَ ٱلذُّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي ٱلضَّلَالِ. خَيْرُ ٱلْمَوَاهِبِ ٱلْعَقْلُ. وَشَرُّ ٱلْمَصَائِبِ ٱلْجَهْلُ. مَنْ صَاحَبَ ٱلْعُلَمَاءَ وُقِّرَ. وَمَنْ عَاشَرَ ٱلسُّفَهَاءَ حُقِّرَ. مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ. لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي كِبَرِهِ. وَقِيلَ: أَصْلُ ٱلْعِلْمِ ٱلرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ ٱلْعِبَادَةُ. وَأَصْلُ ٱلزُّهْدِ ٱلرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ ٱلسَّعَادَةُ. وَأَصْلُ ٱلْمُرُوَّةِ ٱلْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا ٱلْعِفَّةُ. أَلْعَقْلُ أَقْوَى أَسَاسٍ. وَٱلتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ. أَلْجَاهِلُ يَطْلُبُ ٱلْمَالَ. وَٱلْعَاقِلُ يَطْلُبُ ٱلْكَمَالَ. لَمْ يُدْرِكِ ٱلْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ. وَلَا يَكُدُّ نَفْسَهُ. كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ. وَعَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حُكِيَ ٱلْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ٱلْأَمِينِ وَٱلْمَأْمُونِ لَدَيْهِ. وَقَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَا كَكَوْكَبَيْ أُفْقٍ يَزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا. وَقَدْ غَضَّا أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطْوَهُمَا حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ. فَسَلَّمَا عَلَيْهِ بِٱلْخِلَافَةِ وَدَعَوَا لَهُ بِأَحْسَنِ ٱلدُّعَاءِ. فَٱسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ ٱللهِ عَنْ يَسَارِهِ. ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ ٱلنَّحْوِ. فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا ٱلْجَوَابَ عَنْهُ. فَسَرَّهُ ذٰلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ: كَيْفَ تَرَاهُمَا. فَقُلْتُ:

أَرَى قَمَرَيْ أُفْقٍ وَفَرْعَيْ بَشَامَةٍ ... يَزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ
سَلِيلَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزَيْ ... مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى ٱلنَّبِيُّ ٱلْمُؤَيَّدُ
يَسُدَّانِ أَنْفَاقَ ٱلنِّفَاقِ بِشِيمَةٍ ... يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُهَنَّدُ

ثُمَّ قُلْتُ: مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ ٱللهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلزُّلَالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا أَلْسُنًا. وَلَا أَحْسَنَ أَلْفَاظًا. وَلَا أَشَدَّ ٱقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوَيَا. أَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا ٱلْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ ٱلضَّلَالِ ذُلًّا وَقَمْعًا. فَأَمَّنَ ٱلرَّشِيدُ عَلَى دُعَاءِي. ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ. فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ ٱلدُّمُوعَ تَتَحَدَّرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِٱلْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلبي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

أَلنَّاسُ مِنْ جِهَةِ ٱلتِّمْثَالِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَٱلْأُمُّ حَوَّاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَٱلطِّينُ وَٱلْمَاءُ
مَا ٱلْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى ٱلْهُدَى لِمَنِ ٱسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ ٱمْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَٱلْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ ... فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَعَلْيَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... أَلنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ ٱلْعِلْمِ أَحْيَاءُ

١٣٣ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ ٱلْأَزْمَانِ. وَهُوَ ٱلْعِزُّ ٱلَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ. وَٱلْكَنْزُ ٱلَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ. وَقَدْرُهُ عَظِيمٌ. وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

مَا أَحْسَنَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْمَحْمُودُ مَنْ عَقَلَا ... وَأَقْبَحَ ٱلْجَهْلَ وَٱلْمَذْمُومُ مَنْ جَهِلَا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ ٱلْمَرْءِ فِي جَدَلٍ ... وَٱلْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا

١٣٤ ثُمَّ ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى ٱلْجَاهِلِ بِٱلِٱتِّفَاقِ. وَأَدْبَرَتْ

عَنِ ٱلْعَالِمِ بِٱلِاسْتِحْقَاقِ. فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ. أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلٍ. فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلْجَهْلِ. فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ مِنَ ٱلْمُمْكِنَاتِ. وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ مِنَ ٱلْوَاجِبَاتِ. وَلَيْسَ مَنْ أَمْكَنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ. كَمَنِ ٱسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ. وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ كَٱلْغَرِيبِ ٱلَّذِي يَحِنُّ إِلَى ٱلنُّقْلَةِ. وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ كَٱلنَّسِيبِ ٱلْمُتَمَكِّنِ ٱلْوُصْلَةِ

لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ ... عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى ٱلْفَلَكِ

فَبَيْنَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مُخْتَلِطٌ ... بِٱلتُّرْبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى ٱلْمَلِكِ

١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ: يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بِغَيْرِ عَقْلٍ. وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بِغَيْرِ فَضْلٍ. فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ ٱلْجَهْلُ عَنْهَا. وَيَسُلَّهُ مِنْهَا. فَيَنْحَطَّ إِلَى رُتْبَتِهِ. وَيَرْجِعَ إِلَى قِيمَتِهِ. بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عُيُوبُهُ. وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ. وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا. وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ ٱكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ ... أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى ٱلْإِعْدَامِ

جَهْلُ ٱلْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ ... وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ

(للشبراوي)

١٣٦ سُئِلَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ ٱلْعَقْلِ فَقَالَ: رَأْسُ ٱلْأَشْيَاءِ فِيهِ قِوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ. وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ. وَسَائِسُ ٱلْجَدِّ. وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ. لَا تَسْتَقِيمُ ٱلْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ. وَلَا تَدُورُ ٱلْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ ٱلْخَضْرَاوِيُّ:

وَأَفْضَلُ قَسْمِ ٱللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ
يَزِينُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ
وَشَيْنُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ ٱلرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهْ

وَقَالَ آخَرُ:

أَلْعَقْلُ حُلَّةُ فَخْرٍ مَنْ تَسَرْبَلَهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ ٱلنَّسَبِ
وَٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ بِٱلْعَقْلِ يَنْجُو ٱلْفَتَى مِنْ حَوْمَةِ ٱلطَّلَبِ

١٣٧ قِيلَ: إِنَّ ٱلْعُمْيَانَ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ. وَقِيلَ لِقَتَادَةَ: مَا بَالُ ٱلْعُمْيَانِ نَجِدُهُمْ أَذْكَى مِنَ ٱلْبُصَرَاءِ. فَقَالَ: لِأَنَّ ٱلْقُوَّةَ ٱلْبَاصِرَةَ مِنْهُمُ ٱنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ:

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَشْهُورُ

(لابن عبد ربّه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَٱلْحِلْمُ وَزِيرُهُ. وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ. وَٱلْعَمَلُ قَائِدُهُ وَٱلرِّفْقُ وَالِدُهُ. وَٱلْبِرُّ أَخُوهُ وَٱلصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: لِمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ ٱلْجَاهِلِ

أَلْفَ عَامٍ • وَقَالَ ٱلإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ : لَيسَ بَعْدَ ٱلْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ ٱلْحَائِرُ (لابي نصر المقدسي)

فَالَ بَعْضُ ٱلأُدَبَاءِ :

وَٱلْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلَا
تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ وَٱعْمَلْ يَا أُخَيَّ بِهِ ... فَٱلْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِٱلْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِٱلْعِلْمِ تَحْيَا نُفُوسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ ... مِنْ قَبْلِ مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْمَيْنِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ ... عَلَى ٱلْحَقَائِقِ مِثْلُ ٱلنُّورِ لِلْعَيْنِ

١٣٩ وَقَالَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ ٱلْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِٱلْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنِ ٱفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا • وَإِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ بِهِ كَانَ جَمَالًا • وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ ٱلشَّرَفِ ... وَصَاحِبُ ٱلْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ ٱلتَّلَفِ
يَا صَاحِبَ ٱلْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنِّسْهُ ... بِٱلْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ ... وَٱلْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ ٱلْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يَعُدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ ٱلأَحْيَاءِ • وَقَدْ أَجَادَ ٱلْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ

وَمِنَ ٱلْجَهَالَةِ أَنْ تُعَظِّمَ جَاهِلًا ... لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ نَقْشِهِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلتِّبْرَ فِي بَطْنِ ٱلثَّرَى ... خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَبْشِهِ
وَفَضِيلَةُ ٱلدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا ... مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاحَةِ نَقْشِهِ

وَقيل في معنى ذلك :

عابَ ٱلتَّعلُّمَ قومٌ لا عُقولَ لهُم ... وَمَا عَلَيْهِ إذا عابوهُ مِنْ ضَرَرِ
ما ضَرَّ شمسَ ٱلضُّحى وَٱلشَّمسُ طالِعةٌ ... أن لا يرى ضوءَها من ليسَ ذا بصرِ

١٤١ وقالَ عليٌّ : ألعِلْمُ خيرٌ مِنَ ٱلمالِ . ألعِلْمُ يحرُسُكَ وأنتَ تحرُسُ ٱلمالَ . وَٱلعِلْمُ حاكِمٌ وَٱلمالُ محكومٌ عليهِ . وَٱلعِلْمُ يزيدُ بِٱلإنفاقِ وَٱلمالُ ينقُصُ بِٱلنَّفقةِ . وعنِ ٱبنِ عبَّاسٍ أنَّهُ قالَ : خُيِّرَ سُلَيمانُ بنُ داودَ بينَ ٱلعِلْمِ وَٱلمُلْكِ وَٱلمالِ . فَٱختارَ ٱلعِلْمَ فأُعطِيَ ٱلمُلكَ وَٱلمالَ معهُ . وقالَ ٱلإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ : لَيسَ ٱلعِلْمُ بِكَثْرةِ ٱلرِّوايةِ إنَّما ٱلعِلْمُ نورٌ يجعلُهُ في قلبِ مَنْ يشاءُ . وما أحسنَ ما قيلَ :

(مع) فقيهٍ جلاءٌ للقلوبِ مِنَ ٱلعمى ... وعونٌ على ٱلدينِ ٱلَّذي أمرُهُ غُنْمُ
فخالِطْ رُواةَ ٱلعِلْمِ وَٱصحبْ خِيارَهُمْ ... فصُحبتُهُمْ زَيْنٌ وَخُلطتُهُمْ غُنْمُ
وَلَا تَعدُوَنْ عيناكَ عنهُمْ فإنَّهُمْ ... نجومُ هُدًى إن غابَ نجمٌ بدا نجمُ
فوَٱللهِ لولا ٱلعِلْمُ ما ٱتَّضحَ ٱلهُدى ... وَلَا لاحَ مِن غيبِ ٱلأُمورِ لنا رَسْمُ

١٤٢ وَعنِ ٱبنِ ٱلمُباركِ أنَّهُ قالَ : لا يزالُ ٱلمرءُ عالِمًا ما طلبَ ٱلعِلْمَ فإذا ظنَّ أنَّهُ قد عَلِمَ فقدْ جهِلَ . وعن عُثمانَ بنِ أبي شيبةَ قالَ : سَمِعتُ وَكيعًا يقولُ : لا يكونُ ٱلرَّجلُ عالِمًا حتَّى يسمعَ ممَّنْ هو أسنُّ مِنهُ . وممَّنْ هو مِثلُهُ . وممَّنْ هو دونَهُ . وعن أبي مسعودٍ انَّهُ قالَ : منهومانِ لا يشبعانِ طالِبُ ٱلعِلْمِ وطالِبُ ٱلدُّنيا وهُما لا يستويانِ . أمَّا طالِبُ ٱلعِلْمِ فيزدادُ رِضا ٱلرَّحمانِ . وأمَّا طالِبُ ٱلدُّنيا فيزدادُ في ٱلطُّغيانِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ ٱلْعِلْمِ يُدْرَكُ بِٱلْمُنَى ... مَا كَانَ يَبْقَى فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَاهِلُ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا ... فَنَدَامَةُ ٱلْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى ٱللهِ فَٱتَّقِهِ ... وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعَا
وَٱلْعِلْمُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَٱخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ ٱلدِّينَ وَٱلْوَرَعَا

قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ ... وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ ٱلْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَحْيَ بِٱلْعِلْمِ قَلْبُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى ٱلنُّشُورِ نُشُورُ

قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي ٱلْوَرَى نَفْعُ فَاضِلِ ... وَلَيْسَ يُفِيدُ ٱلْعِلْمُ مِنْ دُونِ عَامِلِ
يُسَابِقُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ بَعْضًا بِجُهْدِهِمْ ... وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِٱلْهَوَى كَرَّ بَاسِلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِذِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِجَى ... فَمَا هُوَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ ٱلْمَرْءُ غَيْرَهُ ... يُعَدُّ كَشَوْكٍ بَيْنَ زَهْرِ ٱلْخَمَائِلِ

وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ ٱلْأَيَّامِ إِنْ قَلَبَتْ ... لٰكِنَّ ذَا يَصْحَبُ ٱلْإِنْسَانَ لِلتُّرْبِ
إِغْنَمْ جَنَى ثَمْرَةٍ تَحْظَ بِنَيْلِ مُنًى ... وَتَعْلُ بِٱلْقَدْرِ فَوْقَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

١٤٣ قَالَ ٱلْمَاهِيَابَاذِيُّ مُغْرِيًا عَلَى تَأْثِيرِ ٱلْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطِلَابُ ٱلْمَالِ هِمَّتُهُ ... إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ ٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
أَلْعِلْمُ يُجْدِي وَيَبْقَى لِلْفَتَى أَبَدًا وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينِ
هٰذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبُعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنْ عَالِمًا وَإِنْ خَلُقَتْ أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
فَالْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُمْتَهَنًا بِفِهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضَيْ مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ

قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا
وَمُقْرِفٍ خَامِلِ الْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمَعَالِيَ بِالْآدَابِ وَالرُّتَبَا
أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرَمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَاذِرُ مِنْهُ الْفَوْتَ وَالسَّلَبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رَفْعُ الْفَتَى قَدْرًا بِلَا طَلَبِ
فَالْعِلْمُ طَوْقُ النُّهَى يَزْهُو بِهِ شَرَفًا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّعِبِ

كَمْ يَرْفَعُ ٱلْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ ... وَيَخْفِضُ ٱلْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلَا أَدَبِ
أَلْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ ... وَٱلْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِٱلرُّتَبِ
فَٱلْعِلْمَ فَٱطْلُبْ لِكَيْ يُجْدِيكَ جَوْهَرُهُ ... كَٱلْقُوتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبْ غِنَى ٱلذَّهَبِ

قَالَ آخَرُ:

مَا حَوَى ٱلْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ ... لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ
إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ ... فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهْ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ تَسْعَى ... فَإِنَّ ٱلْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ فِي ٱلدُّنْيَا جَمَالٌ ... وَفِي ٱلْعُقْبَى تَنَالُ بِهِ ٱلْمَعَالِي

قَالَ آخَرُ:

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا ... وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عِشْتَ مُقْتَبِسَا
إِرْكَنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِٱللهِ وَٱغْنَ بِهِ ... وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينَ ٱلْعَقْلِ مُحْتَرِسَا
وَكُنْ فَتًى مَاسِكًا مَحْضَ ٱلتُّقَى وَرِعًا ... لِلدِّينِ مُغْتَنِمًا فِي ٱلْعِلْمِ مُنْغَمِسَا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِٱلْآدَابِ ظَلَّ بِهَا ... رَئِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ ٱلرُّؤَسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلْكِتَابُ نِعْمَ ٱلْأَنِيسُ فِي سَاعَةِ ٱلْوَحْدَةِ • وَنِعْمَ ٱلْمَعْرِفَةُ فِي دَارِ ٱلْغُرْبَةِ • وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ وَٱلدَّخِيلُ • وَنِعْمَ ٱلزَّائِرُ وَٱلنَّزِيلُ • وِعَاءٌ مُلِئَ عِلْمًا وَظَرْفًا • وَإِنَاءٌ مُلِئَ مَزْجًا وَجِدًّا • وَحَبَّذَا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ وَرَوْضٌ يُقْلَبُ فِي حِجْرٍ • هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ. هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذْوَى. وَزَهْرٍ لَا يَنْوِي. وَثَمَرٍ لَا يَفْنَى. وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ. يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتَرْجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ. إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ. وَإِنْ عَرْبَدْتَ لَمْ يَصْخَبْ. أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ. وَأَنَمُّ مِنَ الرِّيحِ. وَأَهْوَى مِنَ الْهَوَى. وَأَخْدَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى. وَأَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ. هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ تَحَلَّى بِخِلَالٍ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً. عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ. إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ. وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعَ. وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ. وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ. يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ. وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ. إِنْ وَجَدَ فَعِبْرَةٌ. وَإِنْ مَزَحَ فَنُزْهَةٌ. قَبْرُ الْأَسْرَارِ وَمَخْزَنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ. وَيَنْبُوعُ الْحِكَمِ وَمَعْدِنُ الْمَكَارِمِ. وَمُؤْنِسٌ لَا يَنَامُ. يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ. وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ. هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ جَمَعَ هٰذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قِلَّةِ مُؤُونَتِهِ وَخِفَّةِ مَحْمَلِهِ. لَا يَرْزَؤُكَ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ. نِعْمَ الْمُدَّخَرُ وَالْعُدَّةُ. وَالْمُشْتَغَلُ وَالْحِرْفَةُ. جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ وَرَفِيقٌ لَا يَمَلُّكَ. يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي النَّهَارِ. وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ. إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ. وَشَحَذَ طِبَاعَكَ. وَبَسَطَ لِسَانَكَ. وَجَوَّدَ بَيَانَكَ. وَفَخَّمَ أَلْفَاظَكَ. إِنْ أَلِفْتَهُ خَلَّدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ. وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ. وَإِنْ نَعَتَهُ نَوَّهُوا عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ. يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ. وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

ٱلْمُلُوكِ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ ، وَأَعْزِزْ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكنز المدفون)

١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ ٱلْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ ٱلْعُلَمَاءِ لِيُسَامِرَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ ٱلْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوَالَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ ، فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ أُحَادِثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ ، فَلَمَّا عَادَ ٱلْخَادِمُ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءُ ٱلَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ ، قَالَ : وَٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، قَالَ : فَأَحْضِرْهُ ٱلسَّاعَةَ كَيْفَ كَانَ ، فَلَمَّا حَضَرَ ذٰلِكَ ٱلْعَالِمُ ، قَالَ لَهُ ٱلْخَلِيفَةُ : مَنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءُ ٱلَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا
يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيًا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُؤْدَدَا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعْدُ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا

فَعَلِمَ ٱلْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذٰلِكَ إِلَى ٱلْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأَخُّرَهُ

١٤٧ طَلَبَ ٱلْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا زَمَانَهُ ، فَتَقَدَّمَ ٱلْوَزِيرُ إِلَى ٱلنُّوَّابِ بِتَحْصِيلِ ذٰلِكَ وَعَرْضِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ حَمْلِهِ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ ، فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ ٱلتَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلسَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ ٱلْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ ٱلْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ ٱلتَّحَيُّلِ فِي ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْأَمْوَالِ ، فَلَمَّا رَآهُ ٱلْوَزِيرُ قَالَ لِنُوَّابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِي ، أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَشْتَغِلُ بِهَا

عنّي وعن غيري . فقد حصّلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ويوجده الطريق إلى استخراج المال ويعرّفه خراب البلاد من عمارتها . ردُّوها وحصّلوا له كتبًا فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه (للفخري)

قال ابن دوستَ في الحفظ والاستظهار :

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب فإنّ للكتب آفاتٍ تفرّقها
الماء يغرقها والنار تحرقها والفار يخرقها واللصّ يسرقها

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قال ابن المعتزّ : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول . وأمّا حدّه فقد قال الجاحظ : البيان اسم جامع لكلّ ما كشف لك عن المعنى . وقال اليونانيّ : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة . وقال الهنديّ : البلاغة تصحيح الأقسام . واختيار الكلام . وقال الكنديّ : يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعاني وقيل : إنّ معاوية سأل عمرو بن العاص : من أبلغ الناس . فقال : أقلّهم لفظًا وأسهلهم معنًى وأحسنهم بديهةً . وقال أبو عبد الله وزير المهديّ : البلاغة ما فهمته العامّة ورضيت به الخاصّة . وقال البحتريّ : خير الكلام ما قلّ . وجلّ . ودلّ . ولم يملّ . وقالوا : البلاغة ميدان لا يقطع إلّا بسوابق الأذهان . ولا يسلك إلّا ببصائر البيان . قال الشاعر :

لك البلاغة ميدان نشأت به وكلّنا بقصور عنك نعترف

مَهَّدَ لِي ٱلْعُذْرَ فِي نَظْمٍ بَعَثْتُ بِهِ   مَنْ عِنْدَهُ ٱلدُّرُّ لَا يُهْدَى لَهُ ٱلصَّدَفُ

١٤٩ وَقَالَ ٱلثَّعَالِبِيُّ: ٱلْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بِكْرًا. وَقَالَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلرَّازِيُّ فِي حَدِّ ٱلْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ ٱلرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ ٱلِٱحْتِرَازِ عَنِ ٱلْإِيجَازِ ٱلْمُخِلِّ. وَٱلتَّطْوِيلِ ٱلْمُمِلِّ. وَأَمَّا ٱلْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلرَّازِيُّ عَنْهَا: ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ خُلُوصُ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلتَّعْقِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ ٱللَّبَنُ إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ ٱلرَّغْوَةُ. وَأَكْثَرُ ٱلْبُلَغَاءِ لَا يَكَادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ ٱلْبَلَاغَةِ وَٱلْفَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهُمَا ٱسْتِعْمَالَ ٱلشَّيْئَيْنِ ٱلْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ ٱلْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ ٱلْبَلَاغَةَ فِي ٱلْمَعَانِي وَٱلْفَصَاحَةَ فِي ٱلْأَلْفَاظِ. وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنًى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هِبْتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَّرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (للابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: ٱلشِّعْرُ دِيوَانُ ٱلْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَنْزُ أَدَبِهَا. وَيُقَالُ: ٱلشِّعْرُ لِسَانُ ٱلزَّمَانِ. وَٱلشُّعَرَاءُ لِلْكَلَامِ أُمَرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ: ٱلشِّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ ٱلْمَجَالِسُ وَتُسْتَنْجَحُ بِهِ ٱلْحَوَائِجُ وَتُشْفَى بِهِ ٱلسَّخَائِمُ. وَيُقَالُ: ٱلْمَدْحُ مَهْرَةُ ٱلْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ ٱلشُّعَرَاءِ مِنْ بِرِّ ٱلْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصِفِ ٱلشُّعَرَاءَ فَإِنَّ ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابَهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمُ ٱلْحَاكِمُونَ عَلَى ٱلْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخر: الشعر الجيد هو السحر الحلال. والعذب الزلال. إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا. وكان يقال: النثر يتطاير تطاير الشرر. والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر. وقيل لحمزة بن بيض: من أشعر الناس. قال. من إذا قال أسرع. وإذا وصف أبدع. وإذا مدح رفع. وإذا هجا وضع. وقال دعبل في كتابه الموضوع في مدح الشعراء: إنه لا يكذب أحد إلا اجتراه الناس فقالوا: كذاب. إلا الشاعر فإن يكذب يستحسن كذبه. ويحتمل ذلك له ولا يكون ذلك عيبا عليه. ثم لا يلبث أن يقال: أحسنت. (وفيه) أن الرجل الملك أو السوقة إذا صير ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه الشعر. لأنه توصل به المجالس. وتضرب فيه الأمثال وتعرف به محاسن الأخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح. وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر. (وفيه) أن امرء القيس كان من أبناء الملوك. وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم. وبقي ذكره إلى القيامة. وإنما أمسك ذكره شعره. وقال: أحسن ما مدح به الشعر قول أبي تمام حيث يقول:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة المعالي كيف تبنى المكارم

وأحسن منه:

أرى الشعر يحيي الجود والباس بالذي ... تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات

١٥١ (فَصْلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيّ جَامِعٌ لِمَدْحِ الشُّعَرَاءِ) مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الْاقْتِصَارُ مَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ . إِذَا ذَمُّوا ثَلَمُوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا . وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ . وَإِذَا غَضِبُوا وَضَعُوا الرَّفِيعَ . وَإِذَا أَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَائِرِ . لَمْ يَلْزَمْ حَدٌّ . وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ . غَنِيُّهُمْ لَا يُصَادَرُ . وَفَقِيرُهُمْ لَا يُسْتَحْقَرُ . وَشَيْخُهُمْ يُوَقَّرُ . وَشَابُّهُمْ لَا يُسْتَصْغَرُ . سِهَامُهُمْ تَنْفُذُ فِي الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سِجِلٌّ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا عَدْلٌ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَسَمَاسِرَةُ النَّقْصِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الْاسْمُ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ . وَاسْمُ صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَقْلِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أُمَرَاءُ الْكَلَامِ . يُقَصِّرُونَ طَوِيلَهُ . وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ . يَقْصُرُونَ مَمْدُودَهُ . وَيُخَفِّفُونَ ثَقِيلَهُ . وَلِمَ لَا أَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتْبَعُهُمُ الْغَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (لابي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَارَةٍ تُدَارُ تَتَّسِعُ وَتَزْدَادُ عِظَمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَنِيهِ فَقَالَ لَهُمْ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفَسُهَا قِيمَةً . يَرْفَعُ الْأَحْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُفِيدُ ٱلرَّغَائِبَ ٱلْجَلِيلَةَ • وَيُغْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ • وَيُكْثِرُ ٱلْأَنْصَارَ مِنْ غَيْرِ رَزِيَّةٍ • فَٱلْبَسُوهُ حُلَّةً • وَتَزَيَّنُوا بِهِ حِلْيَةً • يُؤَانِسْكُمْ فِي ٱلْوَحْشَةِ • وَيَجْمَعِ ٱلْقُلُوبَ ٱلْمُخْتَلِفَةَ • وَأَنْشَدَ ٱلْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا ٱلْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ ٱلْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَٱلْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِٱلتُّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ ٱلْعُشْبِ

١٥٣ وَقَالَ بُزُرْجَمْهَرُ : مَا وَرَّثَتِ ٱلْآبَاءُ ٱلْأَبْنَاءَ خَيْرًا مِنَ ٱلْأَدَبِ • لِأَنَّهُمْ بِهِ يَكْسِبُونَ ٱلْمَالَ وَبِٱلْجَهْلِ يُتْلِفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ ٱلْخُلْقِ خَيْرُ قَرِينٍ وَٱلْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَٱلتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ • وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ ٱلْأَدَبُ • وَأَيَّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ ٱلْأَدَبَ • وَقَالَ ٱبْنُ عَائِشَةَ ٱلْقُرَشِيُّ : أَهْلُ ٱلْأَدَبِ هُمُ ٱلْأَكْثَرُونَ وَإِنْ قَلُّوا • وَمَحَلُّ ٱلْأُنْسِ أَيْنَ حَلُّوا • وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ ٱلْأَدَبُ بَهَاءُ ٱلْمُلُوكِ وَرِيَاشُ ٱلسُّوقَةِ وَٱلنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَلَّمْهُ تَجِدْهُ حَيْثُ تُحِبُّ • وَقَالَ بَعْضُ ٱلظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ ٱلْجَاهِلُونَ مَا ٱلْأَدَبُ • لَأَيْقَنُوا أَنَّهُ ٱلطَّرَبُ • وَقَالَ حَكِيمٌ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ ٱلسُّلْطَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ • وَعِزُّ ٱلْمَالِ وَشِيكٌ ذَهَابُهُ • جَدِيرٌ ٱنْقِطَاعُهُ وَٱنْقِلَابُهُ • وَعِزُّ ٱلْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَذُبُولٍ • وَعِزُّ ٱلْأَدَبِ رَاتِبٌ وَاصِبٌ • لَا يَزُولُ بِزَوَالِ ٱلْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ ٱلسُّلْطَانِ • وَيُقَالُ : مَنْ قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ • نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ • وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : حِلْيَةُ ٱلْأَدَبِ لَا تَخْفَى • وَحُرْمَتُهُ لَا تُجْفَى • وَٱلْأَدَبُ صُورَةُ ٱلْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شِئْتَ . قَالَ بُزُرْجَمْهر : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ وَضِيعاً وبَعُدَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلاً . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيباً . وَكَثُرَتِ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : ٱلْأَدَبُ أَدَبَانِ أَدَبُ ٱلْغَرِيزَةِ وَهُوَ ٱلْأَصْلُ وَأَدَبُ ٱلرِّوَايَةِ وَهُوَ ٱلْفَرْعُ . وَلَا يَتَفَرَّعُ ٱلشَّيْءُ إِلَّا عَنْ أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو ٱلْأَصْلُ إِلَّا بِٱتِّصَالِ ٱلْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ :

وَمَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ ٱللهُ لِامْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

هُمَا كَمَالُ ٱلْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهْ

وَقِيلَ : إِذَا كَانَ ٱلرَّجُلُ ظَاهِرَ ٱلْأَدَبِ طَاهِرَ ٱلنَّبْتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلُحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلَاحَ ٱلْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعْدِيهِمِ عِنْدَ ٱلْفَسَادِ إِذَا فَسَدْ

يُعَظَّمُ فِي ٱلدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدْ

قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا ٱبْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ٱبْنُ أَمْسِهِ

وَمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلْعَظْمِ ٱلرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ ٱلَّذِي يَبْغِي ٱلْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

١٥٥ ٱلْأَدَبُ مَالٌ . وَٱسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِٱلْعَقْلِ يَصْلُحُ كُلُّ أَمْرٍ . وَبِٱلْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ . (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرِّضْ بَنِيكَ عَلَى ٱلْآدَابِ فِي ٱلصِّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي ٱلْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُنْفُوَانِ ٱلصِّبَا كَٱلنَّقْشِ فِي ٱلْحَجَرِ
هِيَ ٱلْكُنُوزُ ٱلَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ ٱلْغِيَرِ
إِنَّ ٱلْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرُشِ ٱلدِّيبَاجِ وَٱلسُّرُرِ

قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ ٱلتَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ ٱلصِّبَا شَمَخَ ٱلْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ ٱلْكِبَرْ

الآداب الظاهرة

١٥٦ (أَلْآدَابُ فِي ٱلْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ ٱسْمَ ٱللهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ بِٱلْآدَابِ وَٱلرُّسُومِ ٱلْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ ٱلْمُلُوكِ ٱبْنَهُ فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضُمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلًا . وَلَا تَبْصُقْ فِي ٱلْأَمَاكِنِ ٱلنَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ ٱلْآدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ ٱلْبِطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ طَعَامُهُ سَقِمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تُمِيتُوا ٱلْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ . فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ كَٱلزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ مَاتَ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ ٱلْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتِ ٱلرَّجُلَ نَهِمًا شَرِهًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ ٱلْجِدِّ إِلَى بَابِ ٱلْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ ٱلتَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ ٱلِاحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ ٱلْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمُ ٱلْغِنَى وَبَسْطَ ٱلْوَجْهِ فَقَدْ قِيلَ: ٱلْبَشَاشَةُ فِي ٱلْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْقِرَى. قَالُوا: فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ ضَمَّنَ ٱلشَّيْخُ شَمْسُ ٱلدِّينِ ٱلْبُدَيْوِيُّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بِأَبْيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا ٱلْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ ٱلْمَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ ٱلْقِرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْقِرَى فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهْوَ ضَاحِكُ

قَالَ ٱلْعَرَبُ: تَمَامُ ٱلضِّيَافَةِ ٱلطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَ ٱلْمُؤَاكَلَةِ. وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ

أَللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ ٱلضُّيُوفِ ٱلنُّزَّلِ
مَا زِلْتُ بِٱلتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتُنِي ضَيْفًا لَهُ وَٱلضَّيْفُ رَبُّ ٱلْمَنْزِلِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

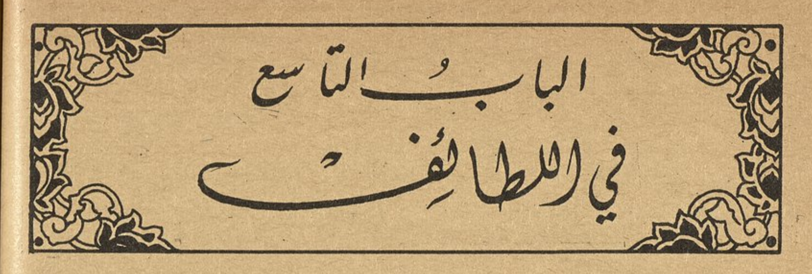
مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَٱلطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا ٱلَّذِي حَرَّمَهُ ٱلْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَإنّا لنقري الضيفَ قبلَ نزولِهِ ... ونُشبِعُهُ بالبِشرِ مِن وجهِ ضاحِكِ

١٥٨ ومن آدابِ المُضيفِ أن يُحدّثَ أضيافَهُ بما تميلُ إليهِ نفوسُهُم. ولا ينامَ قبلَهُم. ولا يشكوَ الزمانَ بحضورِهِم. ويَبَشَّ عندَ قدومِهِم ويتألّمَ عندَ وداعِهِم. وأنْ لا يُحدّثَ بما يَروعُهُم بِهِ. ويجبُ على المُضيفِ أنْ يُراعيَ خواطرَ أضيافِهِ كيفما أمكنَ. ولا يغضبَ على أحدٍ بحضورِهِم. ولا يُنغّصَ عيشَهُم بما يكرهونَهُ. ولا يعبسَ بوجهِهِ. ولا يُظهرَ نكدًا. ولا ينهرَ أحدًا ولا يشتمَهُ بحضرتِهِم بل يُدخِلَ على قلوبِهِم السرورَ بكلِّ ما أمكنَ. وعليهِ أنْ يسهرَ معَ أضيافِهِ ويُؤانسَهُم بلذيذِ المحادثةِ وغريبِ الحكاياتِ. وأنْ يستميلَ قلوبَهُم بالبذلِ لهُم مِن غرائبِ الطُّرَفِ إنْ كانَ مِن أهلِ ذلكَ. وعلى المُضيفِ إذا قدّمَ الطعامَ إلى أضيافِهِ أنْ لا ينتظرَ مَن يحضرُ مِن عشيرتِهِ. فقد قيلَ: ثلاثةٌ تُضني: سراجٌ لا يضيءُ. ورسولٌ بطيءٌ. ومائدةٌ يُنتظَرُ لها مَن يجيءُ. ومِنَ السُّنّةِ أنْ يُشيّعَ المُضيفُ الضيفَ إلى بابِ الدارِ (للابشيهي)

١٥٩ قالَ بعضُ السلفِ: ما استكمَلَ عقلُ امرئٍ حتّى يكونَ فيهِ عشرُ خصالٍ. الرُّشدُ منهُ مأمولًا. والكِبرُ منهُ مأمونًا. نصيبُهُ مِنَ الدُّنيا القوتُ. والذُّلُّ أحبُّ إليهِ مِنَ العِزِّ. والفقرُ أحبُّ إليهِ مِنَ الغنى يستقلُّ كثيرَ المعروفِ مِن نفسِهِ. ويستكثرُ قليلَ المعروفِ مِن غيرِهِ. ولا يسأمُ مِن طلبِ العلمِ طولَ عمرِهِ. ولا يتبرّمُ مِن طلبِ الحوائجِ قِبَلَهُ. والعاشرةُ أنْ يرى الناسَ كلَّهُم خيرًا منهُ (لابن المعتز)



الباب التاسع
في اللطائف

الحداد والامير

١٦٠ حكى القاضي أبو عبد الله الآمدي النائب قال: دخلت على الأمير سعيد بن المظفر أيام ولايته لثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره . فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه وأنه ورم بسببه . فقلت له : الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر . فقال : من يصلح لذلك . فاستدعيت ظافرا الحداد الشاعر فقطع الحلقة وأنشد بديها :

قصر عن أوصافك العالم   وكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة   يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة . وكانت من ذهب

وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه في حجره . فقال ظافر بديها :

عجبت لجرأة هذا الغزال   وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به إذ بدا جاثما   وكيف اطمأن وأنت أسد

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان (بدائع البدائه للازدي)

١٦١ قال بعض الشعراء يصف الفقير والغني :

من كان يملك درهمين تعلمت   شفتاه أنواع الكلام فقالا

وَتقدمَ ٱلإخْوانُ فَٱسْتمعوا له ... ورأيته بينَ ٱلورَى مُختَالَا
لَوْلَا دَراهِمُهُ ٱلَّتِي يَزْهُو بِهَا ... لَوَجدتَّهُ فِي ٱلنَّاسِ أَسْوَأَ حَالَا
إِنَّ ٱلغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِٱلخَطَا ... قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطقتَ مُحَالَا
أَمَّا ٱلفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا ... قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ ٱلدَّرَاهِمَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... تَكْسُو ٱلرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالَا
فَهْيَ ٱللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً ... وَهْيَ ٱلسِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أَمَرَ ٱلحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِٱللَّيْلِ فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ ٱلعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ. فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَتَمَايَلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ ٱلسُّكْرِ. فَأَحَاطَتْ بِهِمِ ٱلغِلْمَانُ. وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ ٱلحَرَسِ: مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلوَقْتِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

أَنَا ٱبْنُ مَنْ دَانَتِ ٱلرِّقَابُ لَهُ ... مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِٱلرَّغْمِ وَهْيَ صَاغِرَةٌ ... يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ٱبْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ ٱلدَّهْرَ قِدْرُهُ ... وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى ٱلنَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ٱبْنُ أَشْرَفِ ٱلعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى ٱلْبَدِيهَةِ :

أَنَا ٱبْنُ مَنْ خَاضَ ٱلصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ وَقَوَّمَهَا بِٱلسَّيْفِ حَتَّى ٱسْتَقَامَتِ

وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُّ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا ٱلْخَيْلُ فِي يَوْمِ ٱلْكَرِيهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنِ ٱلْآخَرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ٱبْنُ أَشْجَعِ ٱلْعَرَبِ وَٱحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا كَانَ ٱلصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ حَالِهِمْ . فَإِذَا ٱلْأَوَّلُ ٱبْنُ حَجَّامٍ . وَٱلثَّانِي ٱبْنُ فَوَّالٍ . وَٱلثَّالِثُ ٱبْنُ حَائِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِجُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ ٱلْأَدَبَ فَوَٱللّٰهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (للنواجي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلَّفَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ ٱلْفُصُوصِ . وَٱتَّفَقَ لِهٰذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ ٱلِٱتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا ٱلْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَرَ ٱلنَّهْرَ نَهْرَ قُرْطُبَةَ . فَخَانَتِ ٱلْغُلَامَ رِجْلُهُ فَسَقَطَ فِي ٱلنَّهْرِ هُوَ وَٱلْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذٰلِكَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ وَهُوَ ٱلْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ ٱلْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ كِتَابُ ٱلْفُصُوصْ وَهٰكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصْ

فَضَحِكَ ٱلْمَنْصُورُ وَٱلْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُعْ ذٰلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ . وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِٱبْنِ ٱلْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ ٱلْبِحَارِ ٱلْفُصُوصْ

(كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ٱبْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعُوضَهَا :

لَكَ مَنْزِلٌ كَمَلَتْ سِتَارَتُهُ لَنَا ... لِلَّهْوِ لٰكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَّى ٱلذُّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ ... فِيهِ ٱلْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ ٱلْبُرْغُوثُ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

لَيْلُ ٱلْبَرَاغِيثِ وَٱلْبَعُوضِ ... لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ ... وَذَا يُغَنِّي بِلَا عَرُوضِ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى ٱلْمَأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَٱبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ دَوْحَتِكَ . أَفَتَأْذَنُ لِي فِي ٱلْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمِدَ ٱللّٰهَ تَعَالَى وَشَكَرَهُ ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا ٱللّٰهُ بِحِيَاطَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا . بِبَقَائِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ ٱلْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هٰذَا مَقَامُ ٱلْعَائِذِ بِظِلِّكَ . ٱلْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ . ٱلْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ ٱلْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ ٱلْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ أَنْ يُصْلَبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى ٱللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ. فَصَلَبَهُ إِلَى ٱللَّيْلِ مُجَرَّدًا. فَقَالَ:

لَمْ يَصْلِبُوا بِٱلشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ ٱلْ ... إِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولَا

نَصَبُوا بِحَمْدِ ٱللهِ مِلْءَ عُيُونِهِمْ ... شَرَفًا وَمِلْءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلَا

ما ٱزْدَادَ إِلَّا رِفْعَةً وَسَعَادَةً ... وَٱزْدَادَتِ ٱلْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولَا

هَلْ كَانَ إِلَّا ٱللَّيْثُ فَارَقَ غِيلَهُ ... فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمِلٍ مَحْمُولَا

مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ نُزِعَتْ لِبَاسُهُ ... كَٱلسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُولَا

وَقَالَ فِي ٱلْحَبْسِ:

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ ... حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُغْمَدُ

أَوَ مَا رَأَيْتَ ٱللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيلَهُ ... كِبْرًا وَأَوْبَاشُ ٱلسِّبَاعِ تَصَيَّدُ

فَٱلشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ ... عَنْ نَاظِرَيْكَ لَمَا أَضَاءَ ٱلْفَرْقَدُ

وَٱلنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ ... لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثِرْهَا ٱلْأَزْنُدُ

وَٱلْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ ... شَنْعَاءَ نِعْمَ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْمُتَوَرَّدُ

دَرواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَحِطَتِ ٱلْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤُسُ ٱلْقَبَائِلِ. فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ٱبْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ ٱبْنَ حَبِيبٍ. فِي رَأْسِهِ ذُؤَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَةٌ فَٱسْتَصْغَرَهُ هِشَامٌ وَقَالَ لِحَاجِبِهِ: مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى ٱلصِّبْيَانُ. فَقَالَ دِرْوَاسٌ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُخِلَّ بِكَ وَلَا ٱنْتَقَصَكَ وَلٰكِنَّهُ شَرَّفَنِي. وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ. وَإِنَّ ٱلْكَلَامَ

نَشْرٌ وَٱلسُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ • فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ:
ٱنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ • فَقَالَ: إِنَّا أَصَابَتْنَا سِنُونَ ثَلَاثٌ • فَسَنَةٌ أَكَلَتِ
ٱللَّحْمَ • وَسَنَةٌ أَذَابَتِ ٱلشَّحْمَ • وَسَنَةٌ أَنْقَتِ ٱلْعَظْمَ • وَفِي يَدَيْكُمْ
فُضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ • وَإِنْ
كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ • وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
فَإِنَّ ٱللهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ • وَإِنَّ ٱلْوَالِيَ مِنَ
ٱلرَّعِيَّةِ كَٱلرُّوحِ مِنَ ٱلْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ • فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
ٱلْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلثَّلَاثِ عُذْرًا • وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفُرِّقَتْ
فِي أَهْلِ ٱلْبَادِيَةِ • وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ: ٱرْدُدْهَا فِي
جَائِزَةِ ٱلْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ (للشريشي)

الشاعر المتروي

١٦٨ يُحْكَى أَنَّ بَعْضَ ٱلْأَعْرَابِ ٱمْتَدَحَ بَعْضَ ٱلرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
بَدِيعَةٍ • فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ ٱسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
سَرِقَتِهَا • فَأَرَادَ ٱلْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ ٱلْحَالِ • فَرَسَمَ لَهُ بِمُدٍّ مِنَ
ٱلشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيهَةٌ فِي ٱلنَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ • فَأَخَذَ ٱلْمُدَّ ٱلشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
ٱلْمَمْدُوحُ لِلْبَوَّابِينَ سِرًّا: لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ ٱلْخُرُوجِ • فَوَقَفَ ٱلْأَعْرَابِيُّ فِي
ٱلدِّهْلِيزِ حَائِرًا • فَبَعَثَ إِلَيْهِ ٱلْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ
يَا أَعْرَابِيُّ • فَقَالَ: إِنِّي ٱمْتَدَحْتُ ٱلْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ • قَالَ: فَمَا أَجَازَكَ

عليها. قالَ: هٰذا ٱلْمُدُّ ٱلشَّعِيرِ. فقالَ لهُ: هل قُلتَ فِي ذٰلِكَ شَيْئًا. قالَ نَعَمْ. قالَ: ما هُوَ. فأَنْشَدَ بَدِيهًا:

يقولونَ لي أَرْخَصْتَ شِعْرَكَ فِي ٱلْوَرَى فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ ٱلْمَكَارِمِ
أَجَزْتُ عَلَى شِعْرِي ٱلشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَّصْتُهُ مِنْ بَهَائِمِ

فَلَمَّا بَلَغَ ٱلْمَمْدُوحَ هٰذانِ ٱلْبَيْتانِ أُعْجِبَ بِهِما. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ. فرسمَ لهُ بجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حاصَرَ ٱلْمَنْصُورُ ٱبْنَ هُبَيْرَةَ بعثَ إِلَيْهِ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ وَقالَ: بارِزْنِي. فَقالَ: لا أَفْعَلُ. فَقالَ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ لَأَشْهَرَنَّ ٱمْتِناعَكَ وَلَأُعَيِّرَنَّكَ بِهِ. فَقالَ ٱلْمَنْصُورُ: مَثَلُنا ما قِيلَ: إِنَّ خِنْزِيرًا بَعَثَ إِلَى ٱلْأَسَدِ وَقالَ: قاتِلْنِي. فَقالَ ٱلْأَسَدُ: لَسْتَ بِكُفُوِي. فَإِنِّي إِنْ قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ. وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحِقَنِي وَصْمٌ عَظِيمٌ. فَقالَ لَأُخْبِرَنَّ ٱلسِّباعَ بِنُكُولِكَ. فَقالَ ٱلْأَسَدُ: ٱحْتِمالُ ٱلْعارِ فِي ذٰلِكَ أَيْسَرُ مِنَ ٱلتَّلَطُّخِ بِدَمِكَ. فَخَجِلَ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (للنواجي)

١٧٠ ما أَرَقَّ وَأَجْوَدَ ما قالَ بَعْضُهُمْ فِي ٱلْفِراقِ:

مَا ٱلدَّارُ قَدْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا ٱلْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ ٱلدُّنْيَا بِبُعْدِكُمُ وَأَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ ٱلْغُرَابَ ٱلَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا يَعْرَى مِنَ ٱلرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَعُودُ لَيَالِينَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا ٱلدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ ٱلْعَرْضِ قُنْبُرَةٌ تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا

وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ ٱلْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ ٱلْهَدِيَّةَ مِنْ مِقْدَارِ مُهْدِيهَا

لَوْ أَنَّ يُهْدَى إِلَى ٱلْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ لَكَانَ تُهْدِي إِلَيْكَ ٱلدُّنْيَا مَا فِيهَا

فَٱسْتَحْسَنَهَا ٱلْمَلِكُ وَأَجَازَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ ٱلْبُلْبُلِ :

أَيُّهَا ٱلْبُلْبُلُ ٱلْمُغَرِّدُ فِي ٱلنَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا

أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَانَا

هَاجَ لِي صَوْتُكَ ٱلْمُغَرِّدُ شَجْوًا رُبَّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ ٱلْأَحْزَانَا

١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ ٱلشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ ٱلرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ

فَإِنْ لَمْ تُطْفِهَا عُقَلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثَثٌ وَهَامُ

فَإِنَّ ٱلنَّارَ بِٱلْعُودَيْنِ تُذْكَى وَإِنَّ ٱلْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

١٧٤ إِجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ ٱلصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

أَلْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ ٱلنَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ٱلْبَابِ مَا ٱلدَّارُ

فَقَالَ عُمَرُ :

أَلدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي ٱلْإِلٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَٱلنَّارُ

فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ ٱلدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى ٱلْفِرْدَوْسِ إِنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَٱلرَّبُّ غَفَّارُ

١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَٱسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ ٱلصِّبَا ٱلْمُتَقَادِمِ

حَنَنْتُ إِلَى رَبْعٍ بِهِ ٱخْضَرَّ شَارِبِي وَقُطِّعَ عَنِّي فِيهِ عِقْدُ ٱلتَّمَائِمِ

١٧٦ قَالَ ٱبْنُ عَلَاءٍ مُوَدِّعًا :

لَأُوَدِّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ ٱلدُّمُوعَ هِيَ ٱلْوَدَاعُ ٱلثَّانِي

فِي فُرْقَةِ ٱلْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَٱلْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ ٱلْإِخْوَانِ

١٧٧ قَالَ شَمْسُ ٱلْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ ٱلدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ ٱلدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

فَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ ٱلْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ٱلْفَضْلِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ٱبْنُ ٱبْنِهِ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ بْنِ ٱلْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ . وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ ٱللهُ ٱلْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ ٱبْنُكَ هٰذَا جَدًّا

مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدَّى ثُمَّ يُفَدَّى مِثْلَ مَا تُفَدَّى

أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَحَدًّا وَشِيَمًا مَرْضِيَّةً وَمَجْدَا

كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدَّا

قَالَ : فَتَبَسَّمَ ٱلْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعَنِي ٱللهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتَ مِنَ ٱلْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذٰلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

١٧٩ أَخْبَرَ ٱلصَّوْلِيُّ قَالَ : عَتَبَ ٱلْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا ٱلْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي ... لِحُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَلِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي ٱلْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا ... فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ ٱنْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الاغاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا ... إِنَّ ٱلشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا ٱلْعَطَبُ
لَا وَٱلَّذِي مَنَعَ ٱلْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ ... مَا يَشْتَهِي ٱلْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ ٱللهُ سَعْيَهُمُ ... إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمُ ... لَا ٱلْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا ٱلسَّلَبُ

١٨١ قَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

أَيُّهَا ٱلْفَارِسُ ٱلْمُشِيحُ ٱلْمُغِيرُ ... إِنَّ قَلْبِي مِنَ ٱلسِّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهَجِ ٱلْخَيْلِ ... إِذَا ثَوَّرَ ٱلْغُبَارَ مُثِيرُ
وَٱسْتَدَارَتْ رَحَى ٱلْحُرُوبِ بِقَوْمٍ ... فَقَتِيلٌ وَهَارِبٌ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ ٱلْجَبَانُ مِنَ ٱلذُّعْرِ ... وَيَعْلُو ٱلصِّيَاحُ وَٱلتَّكْبِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هٰذَا وَهٰذَا بَلِيدٌ ... وَلَبِيبٌ فِي غَيْرِهِ نِحْرِيرُ

١٨٢ مَثَلَ دِعْبِلُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَعَ مُجْزِلِ

إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْ ضَنَّ ٱلْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ

وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِٱلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ

فَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنَّنِي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ

قَالَ لَهُ . قَاتَلَكَ ٱللهُ : وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَبِيثًا :

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَبِيثًا وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِٱلظُّلْمِ يَسْعَى

قَدِ ٱتَّفَقَا وَلٰكِنْ فِي فَسَادٍ كَعَقْرَبَ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البحتري عند المتوكّل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ ٱلْبُحْتُرِيُّ ٱلشَّاعِرُ وَكَانَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي نُدَمَائِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَأَدَمْتُ ٱلنَّظَرَ إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَآنِي ٱلْمُتَوَكِّلُ فَرَمَى إِلَيَّ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ ٱلْيُمْنَى . فَقَبَّلْتُ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي ٱلْأُخْرَى . فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ :

بِسُرَّ مَرَّا لَنَا إِمَامٌ تَغْرُفُ مِنْ كَفِّهِ ٱلْبِحَارُ

خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ

أَلْمُلْكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا ٱخْتَلَفَ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

يَداهُ فِي ٱلْجُودِ ضَرَّتَانِ ... هٰذِي عَلَى هٰذِهِ تَغَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي ٱلْيَمِينُ شَيْئًا ... إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ ٱلْيَسَارُ

فَرَمَى بِٱلدُّرَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ: خُذْهَا يَا عَيَّارُ (للازدي)

١٨٥ مَرِضَ ٱبْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ:

أُنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلًى لَمْ يَزَلْ ... يُولِي ٱلنَّدَى وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي
أَنَا كَٱلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ ... فَٱغْنَمْ دُعَائِي وَٱلثَّنَاءَ ٱلْوَافِي

فَحَضَرَ ٱلسُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ. وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ ٱلَّذِي. وَهٰذِهِ ٱلصِّلَةُ. وَأَنَا ٱلْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا. فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَٱلْمُسْتَجِيرَةِ بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ ٱلدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَبْيَاتًا فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى. مِنْهَا:

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ ٱلزَّمَانِ حَمَامَةٌ ... وَٱلْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
مَنْ أَنْبَأَ ٱلْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَٱعْتَرَضَهُ مُقَدِّسُ ٱبْنُ صَيْفِيٍّ ٱلْخَلُوقِيُّ ٱلشَّاعِرُ. وَقَدْ أُدْنِيَتْ مِنَ ٱلشَّطِّ لِيَخْرُجَ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَبْيَاتًا. فَقَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ.

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ٱبْنِ ٱلْحُسَيْنِ ... لَا غَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَغْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ ... وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ أَعْوَادُهَا   وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلّكان)

جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ إِجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَٱلْفَرَزْدَقُ وَٱلْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ كِيساً فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقُلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بَيْتاً فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ ٱلْكِيسُ. فَبَدَرَ ٱلْفَرَزْدَقُ فَقَالَ:

أَنَا ٱلْقَطِرَانُ وَٱلشُّعَرَاءُ جَرْبَى   وَفِي ٱلْقَطِرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ

فَقَالَ ٱلْأَخْطَلُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّي   أَنَا ٱلطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا ٱلْمَوْتُ ٱلَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ   فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ

فَقَالَ: خُذِ ٱلْكِيسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(طبقات الشعراء لابن سلّام)

الركّاض والرشيد

١٨٩ أُدْخِلَ ٱلرَّكَّاضُ وَهُوَ ٱبْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى ٱلرَّشِيدِ لِيَتَعَجَّبَ مِنْ فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي أَفُوزُ بِهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: ٱخْتَرِ ٱلْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: ٱلْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَهٰذَا مِنْ هٰذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ ٱلرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِضَمِّهِ إِلَى وُلْدِهِ وَٱلْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ ٱلْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلَا بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلرُّوحِ وَٱلنَّفْسِ
حُبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ ٱلْكُسُوفِ تَبَلُّجٌ تُضِيءُ بِهِ ٱلْآفَاقُ كَٱلْبَدْرِ وَٱلشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً فَقَبْلَكَ قِدْمًا كَانَ يُوسُفُ فِي ٱلْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ٱبْنُ عَرَبْشَاهَ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ ٱلْمَجْدِ :

لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبَا
إِنَّ ٱلْقَنَاةَ ٱلَّتِي شَاهَدْتَ رِفْعَتَهَا تَنْمُو فَتَنْبُتُ أُنْبُوبًا فَأُنْبُوبَا

١٩٢ كَانَ ٱبْنُ أَبِي صَقْرٍ طَعَنَ فِي ٱلسِّنِّ وَضَعُفَ عَنِ ٱلْمَشْيِ . فَصَارَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا فَقَالَ فِي ذٰلِكَ :

كُلُّ أَمْرٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفَا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى ٱثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفَا

١٩٣ زَلَّتْ بِٱلْأَتَابِكِ صَاحِبِ ٱلْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ ٱلْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرَا
حَمَّلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرَا

١٩٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلسَّرَّاجِ ٱلْوَرَّاقُ يَعْتِبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِّدَتْ وَصَحَائِفُ ٱلْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُوَبِّخٍ لِي فِي ٱلْقِيَامَةِ قَائِلٍ أَكَذَا تَكُونُ صَحَائِفُ ٱلْوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ٱبْنُ ٱلْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ ٱلطَّعَامَ إِلَى ٱلْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي ضِيفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعَا
أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطَشًا وَجُوعَا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ ٱلرَّغِيفِ لَدَيْكَ مُشْتَرِفًا رَفِيعَا
كَٱلْبَدْرِ لَا نَرْجُو إِلَى وَقْتِ ٱلْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعَا

١٩٦ قَالَ ٱبْنُ حَمْدِيس يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقِلِّيَةَ وَهِيَ مَكَانُ مَنْشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقِلِّيَةً وَٱلْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ ٱلْبُكَا حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعَرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا ٱلْوَالِيَ كُلَّ سَنَةٍ فِي ٱلْعِيدِ فَيُهَنُّونَهُ بِٱلنَّشَائِدِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ ٱلْجَوَائِزَ . فَبَيْنَمَا كَانُوا لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعَيِّدُونَهُ بِٱلْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ٱرْتَجَّتْ مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْوَالِي إِلَى ٱلشُّعَرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُطْرِفُنَا بَدِيهًا بِبَيْتٍ مَضْمُونُهُ هٰذِهِ ٱلزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ ٱلْفَضْلِ إِنَّ ٱلْحَقَّ مُتَّضِحٌ لَدَى ٱلْكِرَامِ أَيَا ٱبْنَ ٱلسَّادَةِ ٱلنُّجَبَا
مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ أَلَمَّ بِهَا لٰكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبَا

الأعمى والأعور

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقْدَ ٱلْبَصَرْ
أَجَابَهُ أَعْوَرُ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِيَ مِنْ ذٰلِكَ نِصْفُ ٱلْخَبَرْ

١٩٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَبِي مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ آلَمَتْ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلّ
حَسِبَتْ أَنَّ بِفِيهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رِيقَتَهُ مِثْلَ ٱلْعَسَلْ

٢٠٠ أَنْشَدَ صَدْرُ ٱلشَّاعِرِ ٱبْنُ جَهِيرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى ٱلْوِزَارَةِ بَعْدَ ٱلْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ

٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ ٱلرَّازِيُّ ٱللُّغَوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تُقَضَّى حَاجَةٌ وَتَفُوتُ حَاجُ
إِذَا ٱزْدَحَمَتْ هُمُومُ ٱلصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا ٱنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنِيسُ نَفْسِي دَفَاتِرُ لِي وَمَعْشُوقِي ٱلسِّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ ٱلْبَدِيعُ ٱلْأَسْطُرْلَابِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ ٱلْأُمَرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أُهْدِي لِمَجْلِسِهِ ٱلْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أُهْدِي لَهُ مَا حُزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَٱلْبَحْرِ يُمْطِرُهُ ٱلسَّحَابُ وَمَا لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

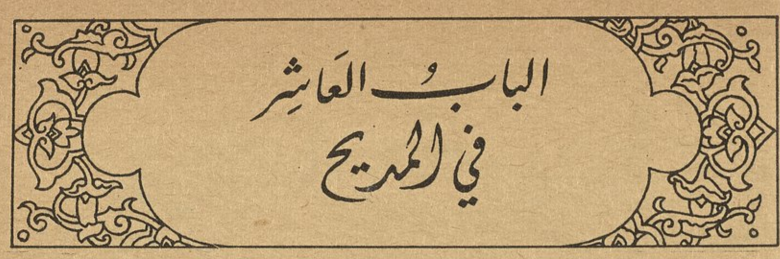
٢٠٣ كَانَ ٱلْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُقَطِّعُ ٱلْعَرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُقَطِّعُ ٱلْعَرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ٱبْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لٰكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد نزار عند الافعى

٢٠٤ شَخَصَ مُضَرُ وَرَبِيعَةُ وَإِيَادٌ وَأَنمَارٌ أَوْلَادُ نِزَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرُ كَلَأً قَدْ رُعِيَ فَقَالَ: الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى هٰذَا أَعْوَرُ. فَقَالَ رَبِيعَةُ: وَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ إِيَادٌ: وَهُوَ أَبْتَرُ. وَقَالَ أَنمَارٌ: وَهُوَ شَرُودٌ. فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ. فَقَالَ مُضَرُ: أَهُوَ أَعْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَبِيعَةُ: أَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ إِيَادٌ: أَهُوَ أَبْتَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنمَارٌ: أَهُوَ شَرُودٌ. قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: هٰذِهِ وَاللهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُّونِي عَلَيْهِ. فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا رَأَوْهُ. فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ: كَيْفَ أُصَدِّقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ. فَسَارُوا حَتَّى قَرُبُوا نَجْرَانَ فَنَزَلُوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ. فَنَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرِ: هٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ الْجُرْهُمِيُّ: كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ. فَقَالَ مُضَرُ: رَأَيْتُهُ يَرْعَى جَانِبًا وَيَدَعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعْوَرُ. وَقَالَ رَبِيعَةُ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَةَ الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةَ الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِازْوِرَارِهِ. وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ بَتَرَهُ بِاجْتِمَاعِ بَعَرِهِ وَلَوْ كَانَ ذَيَّالًا لَتَفَرَّقَ. وَقَالَ أَنمَارٌ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكَوْنِ أَنَّهُ كَانَ يَرْعَى فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ. فَقَالَ الْأَفْعَى: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ. فَرَحَّبَ وَأَضَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ. (ثمرات الاوراق للحموي)



الباب العاشر
في المديح

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَٱسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكَّمْنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدٍ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنَ ٱلْحَدَثِ ٱلْمَخْشِيِّ وَٱلْبَأْسِ وَٱلْفَقْرِ

فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنَ ٱلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي

لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ وَحُكْمُ سُلَيْمَانٍ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرِ

فَتًى تَفْرَقُ ٱلْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَقُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَّمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي . فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا ٱحْتَكَمْتَ عَلَى قَدْرِ ٱلْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ : أَنْتَ فِي هٰذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ ٱلْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :

أَللهُ جَرَّدَ لِلنَّدَى وَٱلْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَّدَهُ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ

مَلِكٌ إِذَا ٱسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبَضَ ٱلرَّجَاءُ إِلَيْكَ رُوحَ ٱلْيَاسِ

وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ ٱلْأَنْفَاسِ

وَإِذَا أَحَبَّ ٱللهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ ٱلْغَلَظِ. فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ. فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ:

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُذْرًا إِذَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
أُنْظُرْ إِلَى عَرْضِ ٱلْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبَرَّهَا
حَاشَى لِجُودِكَ أَنْ يُوَعِّرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلَتْ لِي وَعْرَهَا
لَا يَجْتَنِي حُلْوَ ٱلْمَحَامِدِ مَاجِدٌ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ ٱلْمَطَالِبِ مُرَّهَا

فَقَضَى ٱلْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
هُمُ يَمْنَعُونَ ٱلْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِجَارِهِمِ بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَمَا يَسْتَطِيعُ ٱلْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدٌ ٱلرَّاوِيَةُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ ٱلْفَضْلُ ٱبْنُ ٱلرَّبِيعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ. وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانِ وَرَغِيفَانِ سَمِيذًا وَدَجَاجَتَانِ. فَقَالَ لِي: أَنْشِدْنِي. فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ ٱلنَّمَرِيِّ ٱلْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ وَٱلْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ ٱللّٰهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَّسِعُ
إِذَا رَفَعْتَ ٱمْرَأً فَٱللّٰهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ ٱلْأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَٱلْأَبْطَالُ مُعْلَمَةٌ يَوْمَ ٱلْوَغَى وَٱلْمَنَايَا صَابُهَا فَزِعُ

قَالَ فَرَمَى بِٱلْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ: هٰذَا وَٱللّٰهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلافِ دِينَارٍ

٢٠٩ حَكَى ٱلْمَنصُورُ ٱلنَّمَرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقُلْتُ :

إِذَا ٱعْتَاصَ ٱلْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَٱمْدَحْ ... أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالَا

وَعُذْ بِفِنَائِهِ وَأَنْخِ إِلَيْهِ ... تَنَلْ عُرْفًا وَلَمْ تَذْلُلْ سُؤَالَا

فِنَاءٌ لَا تَزَالُ بِهِ رِكَابٌ ... وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالَا

فَقَالَ : لِلّٰهِ دَرُّكَ لَئِنْ قَصَّرْتَ ٱلْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ ٱلْمَعْنَى . وَأَمَرَ لِي بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ

٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ٱبْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ ٱلْأَهْوَازِ فَقَصَدَهُ عَجْرَدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى ٱمْرُؤٌ زَيَّنَهُ رَبُّهُ ... بِفِعْلِهِ ٱلْأَقْدَمِ وَٱلْأَحْدَثِ

إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ ... يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ

أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا ... مُوَكَّلًا بِٱلْأَسْهَلِ ٱلْأَدْمَثِ

طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى ... فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ

وَرَّثَهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا ... طِيبَ ثَنَاءِ ٱلْوَارِثِ ٱلْمُورِثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ

٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ ٱلرَّقِّيُّ ٱلْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ٱبْنَ مُحَمَّدٍ ... قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا

مَا إِنْ أَعُدُّ مِنَ ٱلْمَكَارِمِ خَصْلَةً ... إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا ٱلْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلْدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتَيْكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنْشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ٱبْنُ إِبْرٰهِيمَ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيَّ:

عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى ٱلْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إِنَّ ٱلْعُرُوقَ إِذَا ٱسْتَسَرَّ بِهَا ٱلثَّرَى أَشِرَ ٱلنَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ ٱلْمَزْرَعُ
فَإِذَا نَكِرْتَ مِنِ ٱمْرِىءٍ أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَٱنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

قَالَ فَأَعْجَبَهُ ٱلشِّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هٰذَا ٱلْقَوْلَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ. وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أُكَافِئْهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ أَصْلَحَكَ ٱللهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ بِمُكَافِئَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الاغاني)

قَالَ أَبُو ٱلشِّيصِ ٱلْخُزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ ٱلْأُمَرَاءِ:

تَكَلَّمَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
أَلسِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَٱلْكَفُّ مَانِحَةٌ وَٱلنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَٱلْوَجْهُ مُنْبَسِطُ

٢١٣ قَالَ ٱلْقَسَمُ بْنُ عُبَيْدٍ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا ٱلْمَثَلُ. فَظَاهِرُهَا لِلْقُبَلِ. وَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى. وَسَطْوَتُهَا لِلْأَجَلِ. أَخَذَهُ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْمُدَبِّرِ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلَا
فَٱمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذْلَ ٱلنَّوَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلَا

٢١٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمَوْلَى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ:

وإذا تُباعُ كريمةٌ أو تُشترَى   فسواكَ بائعُها وأنتَ ٱلمشتري
وإذا توعَّرتِ ٱلمسالكُ لم يكنْ   منها ٱلسبيلُ إلى نداكَ بأوعرِ
وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها   بيدَينِ ليس نداهُما بمُكدَّرِ
يا واحدَ ٱلعربِ ٱلذي ما إنْ لهمْ   مِنْ مذهبٍ عنهُ ولا مِنْ مقصرِ

٢١٥ قالَ أُميّةُ بنُ أبي ٱلصلتِ ٱلشاعرُ ٱلنصرانيُّ:

أأذكرُ حاجتي أمْ قدْ كفاني   حياؤكَ إنَّ شيمتَكَ ٱلحياءُ
وعلمُكَ بٱلحقوقِ وأنتَ فرعٌ   لكَ ٱلحسبُ ٱلمهذَّبُ وٱلسناءُ
خليلٌ لا يُغيّرُهُ صباحٌ   عنِ ٱلخُلُقِ ٱلجميلِ ولا مساءُ
وأرضُكَ كلُّ مكرمةٍ بنتها   بنو تيمٍ وأنتَ لها سماءُ
إذا أثنى عليكَ ٱلمرءُ يومًا   كفاهُ مِنْ تعرُّضِهِ ٱلثناءُ
تُباري ٱلريحَ مكرمةً ومجدًا   إذا ما ٱلكلبُ أجحرهُ ٱلشتاءُ

٢١٦ قالَ آخرُ يمدحُ آلَ ٱلمهلَّبِ:

آلُ ٱلمهلَّبِ قومٌ خُوِّلوا شرفًا   ما نالَهُ عربيٌّ لا ولا كادا
لو قيلَ للمجدِ حِدْ عنهمْ وخلِّهمِ   بما ٱحتكمتَ مِنَ ٱلدنيا لما حادا
إنَّ ٱلمكارمَ أرواحٌ يكونُ لها   آلُ ٱلمهلَّبِ دونَ ٱلناسِ أجسادا

٢١٧ قالتِ ٱمرأةٌ مِنْ إيادٍ:

ٱلخيلُ تعلمُ يومَ ٱلروعِ إنْ هُزمتْ   أنَّ ٱبنَ عمرٍو لدى ٱلهيجاءِ يحميها
لم يُبدِ فحشًا ولم يهدُدْ لمعظمةٍ   وكلُّ مكرمةٍ يلقى يساميها
ٱلمستشارُ لأمرِ ٱلقومِ يحزُبُهمْ   إذا ٱلهناتُ أهمَّ ٱلقومَ ما فيها

لا يَرْهَبُ ٱلجارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا ... وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهْوَ كافِيها

٢١٨ قالَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ ٱلخِلالِ ٱلَّتي فِيكُمْ مَحاسِنُكُمْ ... تَشابَهَتْ مِنْكُمُ ٱلأَخْلاقُ وَٱلخُلُقُ

كَأَنَّكُمْ شَجَرُ ٱلأُتْرُجِّ طابَ مَعًا ... حَمْلًا وَنَشْرًا وَطابَ ٱلعُودُ وَٱلوَرَقُ

٢١٩ قالَ شاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِٱلكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقارِعَةِ ٱلطَّرِيقِ خِيامَهُمْ ... يَتَسابَقُونَ عَلَى قِرَى ٱلضِّيفانِ

وَيَكادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ... حُبَّ ٱلقِرَى حَطَبًا عَلَى ٱلنِّيرانِ

٢٢٠ غَنَّى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ٱلمَكِّيُّ ٱلأَمِينَ :

تَعِشْ عُمْرَ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ ... وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمُ

تُساعِدُكَ ٱلأَقْدارُ فِيهِ وَتَنْثَنِي ... إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ ٱلعُرْبُ وَٱلعُجْمُ

٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ ما جاءَ فِي بابِ ٱلمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يا دَهْرُ بِعْ رُتَبَ ٱلمَعالِي بَعْدَهُ ... بَيْعَ ٱلسَّماحِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبَحِ

قَدِّمْ وَأَخِّرْ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ ... ماتَ ٱلَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي

٢٢٢ وَقالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغُضُّ ٱلطَّرْفَ فَضْلَ حَيائِهِ ... وَيَدْنُو وَأَطْرافُ ٱلرِّماحِ دَوانِ

وَكَٱلسَّيْفِ إِنْ لايَنْتَهُ لانَ مَسُّهُ ... وَحَدّاهُ إِنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقالَ :

عَلِمَ ٱللّٰهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطا ... كَ ٱلمَحَلَّ ٱلجَلِيلَ مِنْ سُلْطانِهْ

٢٢٤ قالَ آخَرُ :

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنصفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدتَّ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهْوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ

٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاء
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةُ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاء

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهْ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهْ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نُرَجِّي فَلَمْ نَخِبْ كَمَا يُرْتَجِي مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهْ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللهِ فَاللهُ نَاصِرُهْ

٢٢٧ دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ : أَيُفَاخِرُكَ ذُو فَائِشٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ. وَغُرَّةُ الْحَسَبِ. وَاللَّاتِ لَأَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ. وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ. وَلَقَفَاكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ. وَلَيَسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ. وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ. وَلَوَعْدُكَ أَنْجَحُ مِنْ رِفْدِهِ. وَلَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ. وَلَنَفْسُكَ أَمْنَعُ مِنْ جُنْدِهِ. وَلَيَوْمُكَ أَزْهَرُ مِنْ دَهْرِهِ. وَلَفِتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ. وَأَنْشَدَ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُتَوَّجٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْمَحْلِ بِالْمَطَرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فُوهُ دُرًّا وَيُكْسَى

أثوابَ الرِّضا (وهِيَ جِبابُ أطواقُها الذَّهبُ في قُضُبِ الزُّمُرُّدِ). ثُمَّ قالَ: هكذا فلتُمدَحِ المُلوكُ (ألِف باء لأبي الحجّاج البلوي)

٢٢٨ دَخَلَ ابنُ الخيّاطِ المكّيُّ على المهديِّ وامتدحهُ فأمَرَ لهُ بخمسينَ ألفَ دِرهَم. فسألَهُ أن يأذنَ لهُ في تقبيلِ يدِهِ فأذِنَ فقبّلها وخرج. فما انتهى إلى البابِ حتّى فرّقَ المالَ بأسرِهِ. فعوتِبَ على ذلكَ فاعتذرَ وأنشدَ يقولُ:

لَمستُ بكفّي كفّهُ أبتغي الغِنى ولم أدرِ أنَّ الجودَ مِن كفّهِ يُعدي
فلا أنا مِنهُ ما أفادَ ذوو الغِنى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عِندي

فعجِبَ بهما المهديُّ وغنّى بهما وأمرَ لهُ بخمسينَ ألفَ دينارٍ

٢٢٩ دَخَلَ أعرابيٌّ على خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القسريِّ فقالَ:

أخالدُ إنّي لم أزُركَ لحاجةٍ سِوى أنّني عافٍ وأنتَ جوادُ
أخالدُ بينَ الحمدِ والأجرِ حاجتي فأيّهما تأتي فأنتَ عِمادُ

فقالَ لهُ خالدٌ: سَلْ حاجتَكَ. قالَ مِائةُ ألفِ دِرهمٍ. قالَ خالدٌ أسرفتَ فاحطُطنا مِنها. قالَ: حطَطتُكَ ألفًا. فقالَ خالدٌ: ما أعجبَ ما سألتَ وما حطَطتَ. فقالَ: لا يَعجبِ الأميرُ. سألتُهُ على قدرِهِ وحطَطتُهُ على قَدري. فضحِكَ مِنهُ وأمَرَ لهُ بصِلةٍ

٢٣٠ حبسَ الحجّاجُ يزيدَ بنَ المهلّبِ لباقٍ عليهِ كانَ بخراسانَ. وأقسمَ ليستأدِيَنّهُ كلَّ يومٍ مِائةَ ألفِ دِرهَمٍ. فبينَما هو قد جباها لهُ ذاتَ يومٍ إذ دَخَلَ عليهِ الأخطلُ فأنشدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو ٱلْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِٱلشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا ٱخْضَرَّ بِٱلْمَرْيَنِ بَعْدَكَ عُودُ
وَمَا لِسَرِيرٍ بَعْدَ بُعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِجَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ

فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ ٱلْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ ٱلْحَجَّاجِ وَلَا نُخَيِّبُ ٱلْأَخْطَلَ. فَبَلَغَتِ ٱلْحَجَّاجَ فَقَالَ: لِلّٰهِ دَرُّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ ٱلْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ ٱلْمَوْتَ (لليمني)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ٱبْنِ ٱلْعَبَّاسِ ٱلصَّوْلِيِّ قَوْلُهُ فِي ٱلْمَدِيحِ وَٱلشُّكْرِ:

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ ٱلنَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي ٱمْرُؤٌ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ ٱلزَّمَانِ لِأَحَدِ ٱلْخُلَفَاءِ:

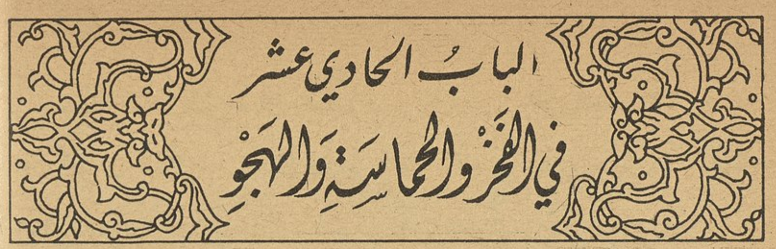
يَا سَيِّدَ ٱلْأُمَرَا فَخْرًا فَمَا مَلِكٌ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلًى وَٱشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ ٱلْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا يُمْطِرُ ٱلذَّهَبَا
وَٱلدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَٱلشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَٱللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَٱلْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

٢٣٣ وَلِلْبُحْتُرِيِّ فِي ٱلْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى ٱلْعَبَّاسِ عَنْ صِغَرٍ فِي ٱلسِّنِّ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي شَادَا
إِنَّ ٱلنُّجُومَ نُجُومَ ٱلْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي ٱلْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي ٱلْجَوِّ إِصْعَادَا

٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَئِنْ خُلِقَ ٱلْأَنَامُ لِحَبِّ كَاسٍ وَمِزْمَارٍ وَطُنْبُورٍ وَعُودِ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَأْسٍ أَوْ لِمَجْدٍ أَوْ لِجُودِ



الباب الحادي عشر
في الفخر والحماسة والهجو

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ القَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ ... بِأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ ... وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَّاءِ عَنْهُمْ ... وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا

٢٣٦ • قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ القَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا ... أَطْعَمُوا الأَرْمَاحَ حَبَّاتِ القُلُوبْ
وَهُمُ فِي السِّلْمِ كَالمَاءِ صَفَا ... لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبْ
فِيهِمِ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدْوَتِي ... وَبِهِمْ نِلْتُ مِنَ العَلْيَا نَصِيبْ
وَبِفَضْلِ اللهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ ... فِي مَرَاقِي العِزِّ وَالعَيْشِ الرَّطِيبْ
لَيْسَ لِي إِلَّا المَعَالِي أَرَبٌ ... فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبْ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ العُلَا ... لَا تَرَانِي لِدُعَاهُ مِنْ مُجِيبْ

٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ المَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً • فَرَأَى مَنْ فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلٍ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلَقَةٍ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجُّبٍ مِنْ نِعَالِي ... وَرِضَائِي مِنْهَا بِلُبْسِ البَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ ... فَسِوَايَ إِذًا بِهِنَّ يُغَالِي
لَوْ حَذَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي ... فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيِي وَلِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي

مَا وَقَانِي ٱلْخَفَا وَبَلَّغَنِي ٱلْحَا جَةَ مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

٢٣٨ قَالَ ٱلْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ ٱلْقُرَيْعِيُّ:

نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا وُجُوهًا لَا تُعَرَّضُ لِلطِّامِ

وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ ٱلْكُمَاةُ وَلَا أُرَامِي

وَلٰكِنِّي يَجُولُ ٱلْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى ٱلْغَارَاتِ بِٱلْعَضْبِ ٱلْحُسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْمَعْرُوفُ بِجَحْظَةَ ٱلْبَرْمَكِيِّ:

أَنَا ٱبْنُ أُنَاسٍ مَوَّلَ ٱلنَّاسَ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ ٱلْمُشَهَّرِ

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيظِهِمْ بَطْنُ دَفْتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْفَزَارِيِّينَ:

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي لَهُ بِٱلْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ

إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ

وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ ٱلْمَالِ

وَلٰكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمٌ ٱلطَّائِيُّ:

أَيَا ٱبْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ٱبْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي
أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ لَا بَارَكَ ٱللهُ بَعْدَ ٱلْعِرْضِ فِي ٱلْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلَفَ ٱلْعِجْلِيُّ:

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا لِمَا نَابَهُمْ قِدْمًا وَأَغْشَى ٱلدَّوَاهِيَا
وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَمْرَ ٱلْمَخُوفَ ٱقْتِحَامُهُ لِأُدْرِكَ مَجْدًا أَوْ أُعَاوِدَ ثَاوِيَا

(الاغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ:

سِيَّانِ كَسْرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهْ
فَٱرْفُقْ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهْ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ ٱلنُّزُو لِ بِهِ يُرَوَّعُ فِي مَنَامِهْ

وَقَالَ أَيْضًا:

خَانَ عَهْدِي عَمْرٌو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهْ وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهْ
لَيْسَ لِي مُذْ حَيِيتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهْ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ ٱلْمَعِدَةَ ٱلْفَاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهَا أَكْلَةً وَاحِدَهْ

٢٤٦ قَالَ ٱلْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكِرَامْ وَمِنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمْرَ ٱلْأَنَامْ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ ٱلرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكِ ٱلسَّلَامْ
يَبْقَى وَيَفْنَى ٱلنَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ قُومُوا ٱنْظُرُوا كَيْفَ نَجَاةُ ٱلسَّامْ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامْ

٢٤٧ يُحْكَى أَنَّ ٱلْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ ٱلْخَاقَانِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ ٱلتَّقَلُّبِ. فَكَانَ يُوَلِّي ٱلْعَمَلَ ٱلْوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْقَلِيلَةِ. حَتَّى إِنَّهُ وَلَّى ٱلْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ. فَقِيلَ فِيهِ:

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي ٱلرَّقَاعَهْ يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَهْ
إِذَا أَهْلُ ٱلرُّشَى ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ ٱلْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا:

رَأَى ٱلصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى ٱلسَّيْفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا نَقُولُ لَهُ خُبْزًا فَمَاتَ مِنَ ٱلْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ:

قَالَ حِمَارُ ٱلطَّبِيبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ
لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبْ

٢٥٠ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ ٱلْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ ... وَلَيْثٌ حَدِيدُ ٱلنَّابِ عِنْدَ ٱلثَّرَائِدِ

قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ ... سَبَقَ ٱلْغَزَالَ وَلَمْ يَفُتْهُ ٱلْأَرْنَبُ

٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ٱلْمُبَرِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ٱلنَّحْوِيَّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ ... فَقَالَ ٱلْقَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَهْ

فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ ... فَقَالُوا ٱلْآنَ زِدْتَ بِهِمْ جَهَالَهْ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبَّحَ ٱللهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا ... بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ ٱللُّؤْمِ وَٱلْعَارِ

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا ... فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِنُّوهَا بِأَسْتَارِ

٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ ٱلْمِنْقَرِيِّ فِي مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي ٱلرُّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ ٱلْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ ... إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ ... وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا ٱلْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ ... وَإِنْ كَانَ لَوْنُ ٱلْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ ... تَوَلَّى بِأَضْعَافِ ٱلَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

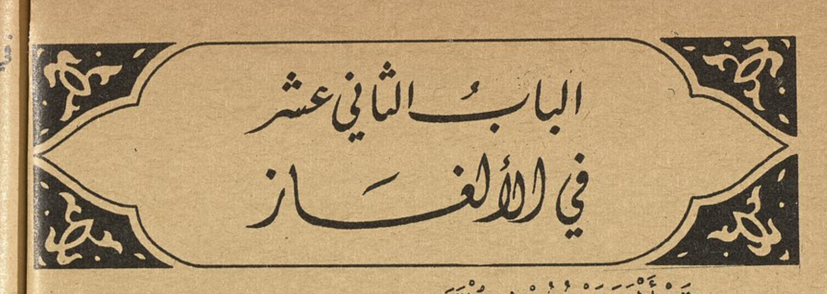
٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ ٱفْتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ٱبْنِ ٱلدَّهَّانِ ٱلشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنْ أَنَّ بِٱلشِّعْرِ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ

فَلِلدَّجَاجَةِ رِيشٌ لٰكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وَفَدَ ٱبْنُ كَلْدَةَ ٱلثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَٱنْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا ٱلْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ . قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ . قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهَا . قَالَ : فَمَا صِنَاعَتُكَ . قَالَ : طَبِيبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ ٱلْعَرَبُ بِٱلطَّبِيبِ مَعَ جَهْلِهَا وَضَعْفِ عُقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا . فَقَالَ : ذٰلِكَ أَجْدَرُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عِوَجَهَا . وَيَسُوسُ أَبْدَانَهَا . وَيُعَدِّلُ أَسْنَادَهَا . قَالَ ٱلْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْهَدُهُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفَتِ ٱلْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ إِلَى ٱلْجَهْلِ . قَالَ ٱلْحَارِثُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱللّٰهَ جَلَّ ٱسْمُهُ قَسَمَ ٱلْعُقُولَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ كَمَا قَسَّمَ ٱلْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ ٱلْقَوْمُ نَصِيبَهُمْ . فَفِيهِمْ مَا فِي ٱلنَّاسِ مِنْ جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ ٱلْمَلِكُ : فَمَا ٱلَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ ٱلْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ . وَقُلُوبٌ جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيَمْرُقُ ٱلْكَلَامُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُرُوقَ ٱلسَّهْمِ مِنَ ٱلْوَتَرِ . أَلْيَنَ مِنَ ٱلْمَاءِ . وَأَعْذَبَ مِنَ ٱلْهَوَاءِ . يُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ . وَيَضْرِبُونَ ٱلْهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يُرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا يُضَامُ . وَلَا يُرَوَّعُ إِذَا نَامَ . لَا يُقِرُّونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأَقْوَامِ . مَا خَلَا ٱلْمَلِكَ ٱلْهُمَامَ ٱلَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْأَنَامِ . قَالَ كِسْرَى : لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخُصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ ٱلْحَمْقِ فِطْنَةً وَفَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لابن عبد ربّه)



البابُ الثاني عشر
في الألغاز

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بعضُهُم في الْقَلَم :

وَأَرْقَشَ مَرْهُوفِ الشَّبَاةِ مُهَفْهَفٍ ‌ ‌ يُشَتِّتُ شَمْلَ الْخَطْبِ وَهْوَ جَمِيعُ

تَدِينُ لَهُ الآفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ‌ ‌ وَتَعْنُو لَهُ مُلَّاكُهَا وَتُطِيعُ

حَمَى الْمُلْكَ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي ‌ ‌ بِهِ الْأُسْدُ فِي الْآجَامِ وَهْوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ ‌ ‌ وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي

مُوَاظِبُ الْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا ‌ ‌ مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمْشِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ ‌ ‌ وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفُّ لَامِسِ

وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ ‌ ‌ وَلٰكِنَّهُ شَخْصٌ يُرَى فِي الْمَجَالِسِ

يَزِيدُ عَلَى سُمِّ الْأَفَاعِي لُعَابُهُ ‌ ‌ يَدِبُّ دَبِيبًا فِي الدُّجَى وَالْحَنَادِسِ

يُفَرِّقُ أَوْصَالًا بِصَمْتٍ يُجِنُّهُ ‌ ‌ وَتُفْرَى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِسِ

إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تَحْقِرُ شَأْنَهُ ‌ ‌ وَهَيْهَاتِ يَبْدُو النَّقْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ ‌ ‌ يُتَرْجِمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهْوَ أَبْكَمُ

تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ ‌ ‌ وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهْوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجاءَ أيضاً فيه :

بَصيرٌ بِمَا يُوحَى إلَيْهِ وَمَا لَهُ لِسَانٌ وَلَا قَلْبٌ وَلاهُوَ سَامِعُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسِرِّهِ إلَيْهِ إذَا مَا حَرَّكَتْهُ الأَصابِعُ

٢٦٠ وَجاءَ أيضاً في مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغِزاً في دَوَاةٍ :

وَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَبْحِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوْماً لِشَارِبِ
وَفِي بَطْنِهَا السِّكِّينُ وَالثَّدْيُ رَأْسُهَا وَأَوْلادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوائِبِ

٢٦٢ وَأَلْغَزَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التِّلْمِيذِ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الأَسْمَاءْ يَعْدِلُ فِي الأَرْضِ وَفِي السَّمَاءْ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءْ أَعْمَى يُرِي الإِرْشَادَ كُلَّ رَاءْ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءْ يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالإِيمَاءْ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو امْتِرَاءْ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءْ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِّقَ فِي الْهَوَاءْ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالأَدَبْ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالأُمُورِ لَدَى أَرَبْ
أَلَا خَبِّرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الأَعَاجِمِ وَالْعَرَبْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَا وَهْوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِلَا صَيْدٍ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبْ

وَيُؤْكَلُ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً ... قَلِيًّا وَمَشْوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي ٱللَّهَبْ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ ... وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبْ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ ... وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنَبْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ ... أَلَا خَبِّرُونِي إِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْعَجَبْ

٢٦٤ أَلْغَزَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ ٱلْخَشَّابِ ٱلْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابٍ :

وَذِي أَوْجُهٍ لٰكِنَّهُ غَيْرُ بَائِحٍ ... بِسِرٍّ وَذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لِلسِّرِّ مُظْهِرُ
تُنَاجِيكَ بِٱلْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ ... فَتَسْمَعُهَا بِٱلْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِأُسَامَةَ بْنِ ٱلْمُنْقِذِ ضِرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغِزًا :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُّ ٱلدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا ... لِنَاظِرِيَّ ٱفْتَرَقْنَا فُرْقَةَ ٱلْأَبَدِ

٢٦٦ أَلْغَزَ ٱبْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ سَلَامَةَ ٱلْحَصْكَفِيُّ فِي نَعْشِ ٱلْمَوْتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي ٱلسَّمَاءِ نَظِيرُهُ ... إِذَا سَارَ صَاحَ ٱلنَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا ... وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُضُّ عَلَى ٱلتَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ ... وَتَنْفُرُ مِنْهُ ٱلنَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ ... وَلٰكِنْ عَلَى رَغْمِ ٱلْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱلصَّاحِبُ بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ ٱلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ مُلْغِزًا فِي قُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارٍ أَنْحَلَ ٱلْبَرْدُ جِسْمَهُ ... وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلْحِرْصُ وَٱلْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ ٱلدَّهْرَ حَارِسًا ... وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ لُغزٌ في طاحونة:

وَمُسْرِعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا تَرَاهَا مَدَى الأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتْعَبْ

وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الأَكْلَ سَاعَةً وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ المَدَى وَهْيَ لَا تَشْرَبْ

وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ وَلَا ثُلْثَ ثُمْنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبْ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ:

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ تَحْمِلُهُ وَهْوَ لَهَا حَامِلُ

وَاقِفَةٌ فِي البَابِ مَرْذُولَةٌ لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي المَوْزِ:

مَا اسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونَا

تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَاوًا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونَا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ:

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ يَعِيشُ بِالرِّيحِ وَهْيَ تُهْلِكُهُ

يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْغَزَ آخَرُ فِي يَدِ الهَاوَنِ:

خَبِّرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمُهْ

وَابْنُهُ فِي بَطْنِهِ يَرْفُسُهُ وَيَلْكُمُهْ

وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهْ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الإِبْرَةِ:

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُّ طُولًا وَرَاهَا فِي المَجِيءِ وَفِي الذَّهَابِ

بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعٍ ذِي ٱنْسِكَابِ
وَمَا لَبِسَتْ مَدَى ٱلْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو ٱلنَّاسَ أَنْوَاعَ ٱلثِّيَابِ

٢٧٤ أَلْغَزَ ٱلصَّلَاحُ ٱلصَّفَدِيُّ فِي عِيدٍ:

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا ٱسْمٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ

٢٧٥ قَالَ آخَرُ فِي غَزَالٍ:

إِسْمُ مَنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ

٢٧٦ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْمَاءِ:

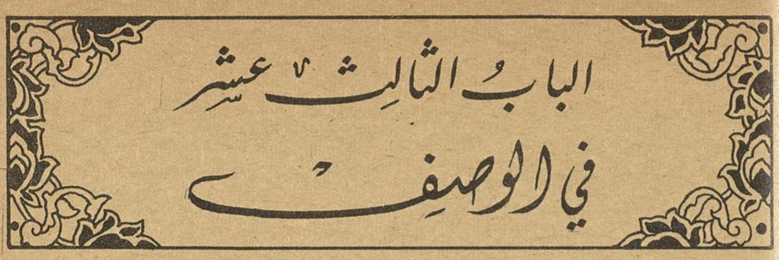
يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهْوَ مَيْتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضِيضِ ٱلْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ ٱلسَّحَائِبِ

٢٧٧ قَالَ آخَرُ فِي مِصْرَاعِ ٱلْبَابِ:

عَجِبْتُ لِمَحْرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ ٱللَّيْلِ يَعْتَنِقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى ٱلنَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ

٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ:

وَمَا ٱسْمٌ ثُلَاثِيٌّ لَهُ ٱلنَّفْعُ وَٱلضَّرْرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرْ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَفًا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرْ



٢٧٩ وَصَفَ ٱلْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ ٱلْمُرَادَ بِٱللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ بِٱللَّفْظِ. وَيُعَايِنُ فِي ٱلنَّاظِرِ. مَا يَجْرِي فِي ٱلْخَاطِرِ. يَرَى ٱلنُّصْحَ فَرْضًا يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَٱلْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزَمُ قَضَاؤُهُ. إِنِ ٱسْتَفْرَغَ فِي ٱلْخِدْمَةِ جَهْدَهُ. خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثْبَتُ مِنَ ٱلْجِدَارِ إِذَا ٱسْتُمْهِلَ. وَأَسْرَعُ مِنَ ٱلْبَرْقِ إِذَا ٱسْتُعْجِلَ (للثعالبي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فَضَّهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَّهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ٱبْنُ ٱلْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ ٱلْخَيْلَ فَجَاءَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُشَمِّرُ سَابِقًا. وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذٰلِكَ ٱلْفَرَسِ. فَأَمَرَ ٱلشُّعَرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ ٱلْمُشَمِّرُ وَٱلْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا ... هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا ٱنْبَهَرَا
وَخَلَّفَ ٱلرِّيحَ حَسْرَى وَهْيَ جَاهِدَةٌ ... وَمَرَّ يَخْتَطِفُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلنَّظَرَا

فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ (الاغاني)

٢٨٢ لَقِيَ ٱلحجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فقالَ لهُ: مَا بِيَدِكَ. فقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا لِصَلَاتِي. وَأُعِدُّهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مِشْيَتِي يَتَّسِعُ خَطْوِي. وَأَثِبُ بِهَا عَلَى ٱلنَّهْرِ. وَتُؤْمِنُنِي ٱلعِثْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي. فَيَقِينِي ٱلحَرَّ. وَيُجَنِّبُنِي ٱلقَرَّ. وَتُدْنِي إِلَيَّ مَا بَعُدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمِلُ سُفْرَتِي. وَعِلَاقَةُ أَدَوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا ٱلأَبْوَابَ. وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ ٱلكِلَابِ. وَتَنُوبُ عَنِ ٱلرُّمْحِ ٱلطَّعَّانِ. وَعَنِ ٱلسَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ ٱلأَقْرَانِ. وَرِثْتُهَا عَنْ أَبِي وَسَأُورِثُهَا ٱبْنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. فَبُهِتَ ٱلحَجَّاجُ وَٱنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَلْحَفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِٱلفِعْلِ ٱلجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظَرَ ٱلحَسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ ٱلحَقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خِلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْنُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَاقِعُ. رَدِيءُ ٱلمَنْظَرِ سَيِّءُ ٱلمَخْبَرِ. يَبْخَلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَّلَ أَوْقَرَ. وَانْ خُوطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسُ عَنِ ٱلمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عن ٱللهِ سُبحانه فكَتَبَ: معقُولٌ مجهولٌ. واحِدٌ لا نظيرَ له. مَطلوبٌ غيرُ مُدرَكٍ سُبحانه لا إلٰه إلَّا هو. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْمَوْتِ فكَتَبَ: نَوْمٌ لا ٱنْتِبَاهَ مَعَهُ. رَاحةُ ٱلْمَرْضى. نَقِيضُ ٱلْبُنْيَةِ. ٱنفصالُ ٱلِاتّصالِ. ألرُّجوعُ إلى ٱلْعُنْصُرِ. شَهوَةُ ٱلْفُقَرَاءِ. فَزَعُ ٱلأَغْنِياءِ. سَفَرُ ٱلْبَدَنِ. فِقْدَانُ ٱلإِخوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْهَرَمِ فكَتَبَ: شَرٌّ يُتَمَنّى. مَرَضُ ٱلأَصِحَّاءِ. مَوْتُ ٱلْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيتٌ يَتَحرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْمَالِ فَكَتَبَ: خَادِمُ ٱلشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْحُسْنِ فكَتَبَ: تَصْوِيرٌ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلشَّمْسِ فَكَتَبَ: عَيْنُ ٱلْفَلَكِ ٱلنَّهَارِيِّ. عِلَّةُ ٱلْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ ٱلثَّمَرَاتِ. وَعَنِ ٱلْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَقِيبُ ٱلشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلإِنسانِ فكَتَبَ: مَلْعَبَةُ ٱلْبَخْتِ. مَطلوبُ ٱلسِّنِينَ. أُمْنِيَّةُ ٱلأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلأَرْضِ فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ ٱلْفَلَكِ. (على زعم الاقدمين) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي ٱلْهَوَاءِ. أُمُّ ٱلثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْفَلَّاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ ٱلْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلأَعْدَاءِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا ... إِلَّا لِشِدَّةِ شِقْوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَٱلدُّنْيَا وَنَفْسِي وَٱلْهَوَى ... كَيْفَ ٱلْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

٢٨٥ وَصَفَ ٱلْكَاتِبُ مَحْمُودٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهٰذَا فُلَانٌ آتَاهُ ٱللهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَزِمَّةِ جِيَادِ ٱلْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنَحَهُ فَضِيلَتَيِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَمَلِ. فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحسَنَ ٱلشَّاعِرُ فِي وَصْفِ ٱلطَّاوُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ ٱلطَّاوُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
تَشْرُقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي ٱلرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنَفْسَجٌ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ ٱلْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا ٱلْفُسْتُقُ ٱلْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَا مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ ٱلطَّيَافِيرِ
وَٱللُّبُّ مَا بَيْنَ قِشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَلْسُنِ ٱلطَّيْرِ مَا بَيْنَ ٱلْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي ٱلْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى ٱلثِّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدِ
سِوَى ٱلْفُسْتُقِ ٱلرَّطْبِ ٱلْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زُيِّنَتْ بِتَجَرُّدِ
غِلَالَةُ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَاقُوتٍ وَقَلْبُ زَبَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَرْمَوِيِّ يَصِفُ ٱلْجُلَّنَارَ :

بَدَا لَنَا ٱلْجُلَّنَارُ فِي ٱلْقُضُبِ وَٱلطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَٱلْحَبَبِ
كَأَنَّمَا أَكْؤُسُ ٱلْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مُلِّئَتْ مِنْ بُرَادَةِ ٱلذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ ٱلْأَزْهَارِ وَٱلرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى ٱلرَّوْضِ ٱلَّذِي طَلَّهُ ٱلنَّدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجُ ٱلْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ نَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنَ ٱلنَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهْوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ ٱلرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَبِإِشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأُقْحُوَانٍ وَوَرْدٍ وَخُزَامٍ وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ

٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَاكْتَسَى بِالنَّوْرِ عَارِيهَا
فَلِلسَّمَاءِ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ ابْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا

٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهَرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجَلِي أَنْوَارُهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ

٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْ كَى مَا سَقَى مَاءُ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهْيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيْتٌ وَهٰذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنِعْمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهُنَّ خَوَالِدُ

٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأُفْقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيُقَطِّبُ
وَكَأَنَّ مُخْضَرَّ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينَ لَهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقْيًا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نِمْتُ نَبَّهَنِي ... بَعْدَ ٱلْهُدُوِّ بِهَا قَرْعُ ٱلنَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ ... عَلَى ٱلْمَيَادِينِ أَذْنَابُ ٱلطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي ٱلسَّفَرْجَلِ :

حَازَ ٱلسَّفَرْجَلُ لَذَّاتِ ٱلْوَرَى فَغَدَا ... عَلَى ٱلْفَوَاكِهِ بِٱلتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَٱلرَّاحِ طَعْمًا وَشَمِّ ٱلْمِسْكِ رَائِحَةً ... وَٱلتِّبْرِ لَوْنًا وَشَكْلِ ٱلْبَدْرِ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي ٱلْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ ... بَلْ لِأَكْلٍ وَمَصٍّ لُبٍّ وَرَشْفِ
كَمُلَتْ فِي ٱسْتِوَائِهَا وَٱسْتَقَامَتْ ... بِٱعْتِدَالٍ وَحُسْنِ قَدٍّ وَلُطْفِ

٢٩٩ قَالَ آخَرُ يَصِفُ نَاعُورَةً :

وَنَاعُورَةٍ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا ... وَأَضْلُعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ ٱلسُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ ... وَأَمَّا دُمُوعِي فَهْيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ ٱلشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ ٱلْأَرْضِ قِدْمًا وَغَرْبِهَا ... أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ ... لِرَاحٍ أُغَادِيهَا وَكَأْسٍ أُدِيرُهَا
مَصَحَّةُ أَبْدَانٍ وَنُزْهَةُ أَعْيُنٍ ... وَلَهْوُ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ ٱلرَّبِيعُ بِلَادَهَا ... فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ ٱلشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ :

يَا عَائِبَ ٱلشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ ... وَلَيْسَ فِي ٱلشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسِ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لِعْبِهَا ... شُغْلٌ عَنِ ٱلْغِيبَةِ لِلنَّاسِ

وَتشْغَلُ ٱلْهَائِمَ عَنْ حُزْنِه وَصَاحِبَ ٱلْكَاسِ عَنِ ٱلْكَاسِ
وَصَاحِبُ ٱلْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلْبَاسِ
وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابٍ وَجُلَّاسِ

٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱبْنُ دَقِيقِ ٱلْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ ٱلتَّلَوُّنِ:

مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبُ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَنَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبُ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ ٱلْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ ٱلنَّحْوِ:

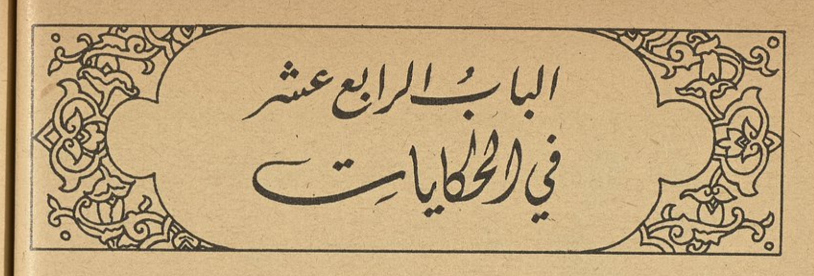
أَلنَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ وَٱلْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ٱبْنُ شِيرَوَيْهِ ٱلْحُمَّى قَالَ:

وَزَائِرَةٍ تَزُورُ بِلَا رَقِيبِ وَتَنْزِلُ بِٱلْفَتَى مِنْ غَيْرِ حُبِّهْ
وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ ٱلْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهْ
تَبِيتُ بِبَاطِنِ ٱلْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بُعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرْبِهْ
وَتَمْنَعُهُ لَذِيذَ ٱلْعَيْشِ حَتَّى تُنَغِّصَهُ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهْ
أَتَتْ لِزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهْ

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ ٱلْخُلَّانِ:

أَلْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ ٱلْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَٱلدَّمْعُ كَٱلدُّرِّ فِي ٱلْخَدَّيْنِ يَسْتَبِقُ
إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهْوَ مُحْتَرِقُ



ابن الزبيري ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِيّ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا، وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا. فَدَخَلَ عَبِيدُ مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ ٱللهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ لَهُ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَبِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي. فَٱنْهَهُم عَنْ ذٰلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا بُنَيَّ مَا تَرَى. قَالَ: أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ عِنْدَكَ يَأْتُونَكَ بِرَأْسِهِ. فَقَالَ: بَلْ غَيْرُ ذٰلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيّ وَسَاءَنِي مَا سَاءَهُ. وَٱلدُّنْيَا بِأَسْرِهَا هَيِّنَةٌ عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ. نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضِفْهَا إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْعَبِيدِ وَٱلْأَمْوَالِ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمَهُ ٱلرَّأْيَ ٱلَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ

ٱلزُّبيرِ وقرأهُ رمى بهِ إلى ٱبنهِ يزيد . فلمَّا قرأهُ تهلَّل وجههُ وأسفر .
فقال لهُ أبوهُ : يا بُنيَّ من عفا ساد . ومن حلم عظم . ومن تجاوز ٱستمال
إليهِ ٱلقلوب . فإذا ٱبتليت بشيءٍ من هذهِ ٱلأدواء . فداوهِ بمثل
هذا ٱلدَّواء

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كان ٱلمنصور مُعجبًا بمحادثةِ مُحمَّدِ بن جعفرٍ ولعظم قدرهِ
يفزعون إليهِ في ٱلشَّفاعات . فثقل ذلك على ٱلمنصور فحجبهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لم يصبر عنهُ . فأمر ٱلربيع أن يُكلِّمهُ في ذلك فكلَّمهُ وقال : ٱعفُ
أميرَ ٱلمُؤمنين لا تُثقّل عليهِ في ٱلشَّفاعات . فقبل ذلك منهُ . فلمَّا توجَّه
إلى ٱلباب ٱعترضهُ قومٌ من قُريشٍ معهم رقاعٌ فسألوهُ إيصالها إلى
ٱلمنصور . فقصَّ عليهم ٱلقصَّة فأبوا إلَّا أن يأخذها . فقال : ٱقذفوها
في كُمّي . ثُمَّ دخل عليهِ وهو في ٱلخضراء مُشرفٌ على مدينة ٱلسَّلام
وما حولها من ٱلبساتين . فقال لهُ : أما ترى إلى حُسنها يا أبا عبدِ ٱللهِ .
فقال لهُ : يا أميرَ ٱلمُؤمنين بارك ٱللهُ لك فيما آتاك وهنَّاك بإتمام نعمتهِ
عليك فيما أعطاك . فما بنت ٱلعربُ في دولةِ ٱلإسلام ولا ٱلعجمُ في
سالفِ ٱلأيَّام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمَّجتها في عيني
خصلةٌ . قال : وما هي . قال : ليس لي فيها ضيعةٌ . فتبسَّم وقال :
قد حسَّنتها في عينك بثلاث ضِياعٍ قد أقطعتكها . فقال : للهِ درُّك
يا أميرَ ٱلمُؤمنين إنَّك شريفُ ٱلموارد كريمُ ٱلمصادر . فجعل ٱللهُ تعالى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذٰلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ لِيَقُومَ بَدَتِ ٱلرِّقَاعُ مِنْ كُمِّهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : ٱرْجِعْنَ خَائِبَاتٍ خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ ٱلْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي بِخَبَرِ هٰذِهِ ٱلرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ٱبْنَ مُعَلِّمِ ٱلْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى ٱلْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ ٱلرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للابشيهي)

عدل عُمر بن الخَطّاب بما اداهُ لعجوز من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ ٱلْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ ٱلطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : ٱلْزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ ٱلْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ ٱلْعَرَبِ فِي هٰذَا ٱللَّيْلِ ٱلدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةَ قَرٍّ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ خِيَامِ ٱلْأَعْرَابِ وَبُيُوتِهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا . فَنَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خَيْمَةٌ وَفِيهَا ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صِبْيَةٌ يَعْوِلُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَثَافِيُّ عَلَيْهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا ٱلنَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصِّبْيَةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ. فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي يُوقِفُكَ سِرْ بِنَا. فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصِّبْيَةِ فَأَكَلُوا وَاكْتَفَوْا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وُقُوفُنَا جِدًّا وَمَلِلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا أَنْ تَسْتَرِيبَ بِنَا الْعُيُونُ. وَالصِّبْيَةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا خَالَةُ. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هٰؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ. فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي الْقِدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقِدْرِ لِأُطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عُلَالَةً فَقَطْ إِلَى أَنْ يَضْجَرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأُطْعِمَهُمْ. فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقِدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءُ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي. فَتَعَجَّبَ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذٰلِكَ. فَقَالَتْ: أُوهِمُهُمْ أَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأُعَلِّلُهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هٰكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخَ لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكِ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حيّا اللهُ عمرَ ونكّس اللهُ أعلامَه واللهِ إنّه ظلمني . فلمّا سمع عمرُ مقالتها ارتاع من ذلك وقال لها : يا خالة بماذا ظلمك عمرُ بنُ الخطّاب . قالت له : نعم واللهِ ظلمنا إنّ الرّاعي عليه أنْ يفتّش على حالِ كلِّ من رعيّته . لعلّه يوجد فيها من هو مثلي ضيّق اليد كثيرُ الصِّبْيَة ولا معين ولا مُساعِد له فيتولّى لوازمه ويَسمح له من بيتِ المالِ بما يقوته وعياله أو صِبيتَه . فقال لها عمرُ : ومن أين يعلم عمرُ بحالك وما أنت به من الفاقة مع كثرة الصّبْيَة . كان يجبُ عليك أنْ تتقدّمي وتعلميه بأمرِك . فقالت : لا واللهِ إنّ الرّاعي الحرّ يجب عليه أن يفتّش على احتياجات رعيّته خصوصًا وعمومًا . فلعلّ ذلك الشّخص الفقير الحالِ الضّيّق اليدِ غلبه حياؤه ومنعه من التقدّم إلى راعيه ليُعلمه بحاله . فعلى عمر السؤال عن حالِ الفقراء في رعيّته أكثر من تقدّم الفقير إلى مولاه لإعلامه بحاله . والرّاعي الحرّ إذا أهمل ذلك فيكون هذا ظلمًا منه . وهذه سُنّة الله ومن تعدّاها فقد ظلم . فعند ذلك قال لها عمرُ : صدقتِ يا خالة ولكن علّلي الصِّبْيَة والسّاعة آتيك : ثمّ خرج وخرجتُ معه وكان قد بقي من اللّيل ثلثه الأخير . فمشينا والكلاب تنبحنا وأنا أطردها وأذبّها عنّي وعنه إلى أن انتهينا إلى بيتِ الذّخيرة . ففتحه وحده ودخل وأمرني فدخلت معه . فنظر يمينًا وشمالًا فعمد إلى كيسٍ من الدّقيق يحتوي على مائة رطلٍ ونيف . فقال لي : يا عبّاس حوّل على كتفي فحملته إيّاه ثمّ قال لي : احمل أنت هاتيك جرّة السّمن . وأشار لي إلى جرّةٍ هناك

فحملتها وخرجنا وأقفل الباب وسرنا وقد انهار من الدقيق على لحيته وعينيه وجبينه . فمشينا إلى أن أنصفنا وقد أتعبه الحمل لأن المكان كان بعيد المسافة . فعرضت نفسي عليه وقلت له : بأبي وأمي يا أمير المؤمنين حول الكيس عنك ودعني أحمله . فقال : لا والله أنت لا تحمل عني جرائمي وظلمي يوم الدين . واعلم يا عباس أن حمل جبال الحديد وثقلها خير من حمل ظلامة كبرت أو صغرت . ولا سيما هذه العجوز تعلل أولادها بالحصى . يا له من ذنب عظيم عند الله . سر بنا وأسرع يا عباس قبل أن تضجر الصبية من العويل فيناموا كما قالت . فسار وأسرع وأنا معه وهو يلهث لهث الثور من التعب إلى أن وصلنا خيمة العجوز . فعند ذلك حول كيس الدقيق عن كتفه ووضعت جرة السمن أمامه . فتقدم هو بذاته وأخذ القدر وكب ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبه الدقيق . ثم نظر فإذا النار قد كادت تطفأ فقال للعجوز : أعندك حطب . قالت : نعم يا ابني . وأشارت له إليه . فقام وجاء بقليل منه وكان الحطب أخضر فوضع منه في النار ووضع القدر على الأثافي . وجعل ينكس رأسه إلى الأرض وينفخ بفمه تحت القدر . فوالله إني رأيت دخان الحطب يخرج من خلال لحيته وقد كنس بها الأرض إذ كان يطاطىء رأسه ليتمكن من النفخ . ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأ غليانه . فجعل يحرك السمن بعود في يده الواحدة ويخلط من الدقيق مع السمن في يده الأخرى

إلى أن أنضج والصبية حوله يتصارخون. فلمّا طاب الطعام طلب من العجوز إناء فأتته به. فجعل يصب الطبيخ في الإناء وينفخه بفمه ليبرده ويلقم الصغار. ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدًا بعد واحد حتى أتى جميعهم وشبعوا واكتفوا. وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم إلى أن غلب عليهم النوم فناموا. فالتفت عمر عند ذلك إلى العجوز وقال لها: يا خالة أنا من قرابة أمير المؤمنين عمر وسأذكر له حالك. فأتيني غدًا صباحًا في دار الإمارة فتجديني هناك فارجي خيرًا. ثم ودعها عمر وخرج وخرجت معه فقال لي: يا عباس والله إني حين رأيت العجوز تعلل صبيتها بالحصى حسبت أن الجبال قد زلزلت واستقرت على ظهري. حتى إذا جئت بما جئت وأطعمتهم ما طبخته لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذ شعرت أن تلك الجبال قد سقطت عن ظهري. ثم أتى عمر داره وأمرني فدخلت معه وبتنا ليلتنا. ولما كان الصباح أتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتبًا من بيت المال تستوفيه شهرًا فشهرًا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حكي عن معاوية أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور. وامتلأت منه الصدور. وأذعن لأمره الجمهور. وساعده الله في مراده. استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين. ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين. فانهمكوا في القول الصحيح

وَالْمَرِيضِ. وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّحْرِيضِ. فَقَالُوا: امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ. وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً: يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ. تُسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ. مُسْتَحِثَّةً لَهُمْ بِقَوْلٍ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلَ وَالْمُدْبِرُ لَأَقْبَلَ. وَالْمُسَالِمُ لَحَارَبَ. وَالْفَارُّ لَكَرَّ. وَالْمُتَزَلْزِلُ لَاسْتَقَرَّ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا. قَالُوا: كُلُّنَا نَحْفَظُهُ. قَالَ: فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا. قَالُوا: نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لِذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: بِئْسَ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ وَقُبْحًا لِمَا قُلْتُمْ. أَيَحْسُنُ أَنْ يَشْتَهِرَ عَنِّي أَنَّنِي بَعْدَمَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ امْرَأَةً قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا. إِنِّي إِذًا لَلَئِيمٌ. لَا وَاللهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا. ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ: أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا. وَمَهِّدْ لَهَا وِطَاءً لَيِّنًا وَمَرْكَبًا ذَلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ: مَا أَنَا بِزَائِغَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ. فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبَطَّنًا. ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا. فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا: مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ. كَيْفَ حَالُكِ يَا خَالَةُ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سَيْرَكِ. قَالَتْ: خَيْرَ مَسِيرٍ. فَقَالَ. هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ. قَالَتْ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ: أَلَسْتِ رَاكِبَةَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ يَوْمَ صِفِّينَ. وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتُحرّضين على ٱلقتالِ. قالتْ: نعمْ. قالَ: فما حملكِ على ذلكَ. قالتْ: يا أميرَ ٱلمؤمنينَ إنّه قدماتَ ٱلرأسُ وبترَ ٱلذنبُ. وٱلدهرُ ذو غيرٍ ومن تفكّرَ أبصرَ. وٱلأمرُ يحدثُ بعدهُ ٱلأمرُ. فقالَ: صدقتِ فهل تعرفينَ كلامكِ وتحفظينَ ما قلتِ. قالتْ: لا وٱللهِ. قالَ: للهِ أبوكِ فلقدْ سمعتُكِ تقولينَ: أيها ٱلناسُ إنَّ ٱلمصباحَ لا يضيءُ في ٱلشمسِ. وإنَّ ٱلكواكبَ لا تضيءُ مع ٱلقمرِ. وإنَّ ٱلبغلَ لا يسبقُ ٱلفرسَ. ولا يقطعُ ٱلحديدُ إلا بٱلحديدِ. ألا من ٱسترشدَنا أرشدناهُ. ومن سألنا أخبرناهُ. إنَّ ٱلحقَّ كانَ يطلبُ ضالّةً فأصابها. فصبرًا يا معشرَ ٱلمهاجرينَ وٱلأنصارِ. فكأنكمْ وقدِ ٱلتأمَ شملُ ٱلشتاتِ وظهرتْ كلمةُ ٱلعدلِ وغلبَ ٱلحقُّ باطلهُ. فإنّهُ لا يستوي ٱلمحقُّ وٱلمبطلُ. أفمن كانَ مؤمنًا كمن كانَ فاسقًا. لا يستوونَ. فٱلنزالَ ٱلنزالَ وٱلصبرَ ٱلصبرَ. ألا وإنَّ خضابَ ٱلنساءِ ٱلحناءُ وخضابَ ٱلرجالِ ٱلدماءُ. وٱلصبرُ خيرُ ٱلأمورِ عاقبةً. إئتوا ٱلحربَ غيرَ ناكصينَ فهذا يومٌ لهُ ما بعدهُ. يا زرقاءُ أليسَ هذا قولكِ وتحريضكِ. قالتْ: لقدْ كانَ ذلكَ. قالَ: لقدْ شاركتِ عليًّا في كلِّ دمٍ سفكهُ. فقالتْ: أحسنَ ٱللهُ بشارتكَ يا أميرَ ٱلمؤمنينَ وأدامَ سلامتكَ. مثلُكَ من يبشَّرُ بخيرٍ ويسرُّ جليسهُ. فقالَ معاويةُ: أوقدْ سرّكِ ذلكَ. قالتْ: نعمْ وٱللهِ لقدْ سرّني قولكَ وأنّى لي بتصديقهِ. فقالَ لها معاويةُ: وٱللهِ لوفاؤكمْ لهُ بعدَ موتهِ أعجبُ إليَّ من حبّكمْ لهُ في حياتهِ فٱذكري حوائجكِ تُقضَ. فقالتْ:

يا أميرَ المؤمنين إني آليتُ على نفسي أن لا أسألَ أحدًا بعد عليٍّ حاجةً . فقال : قد أشار عليَّ بعضُ من عرفكِ بقتلكِ . فقالت : لؤمٌ من المشيرِ . ولو أطعتهُ لشاركتهُ . قال : كلّا بل نعفو عنكِ ونحسن إليكِ ونرعاكِ . فقالت : يا أميرَ المؤمنين كرمٌ منك . ومثلُك من قدر فعفا وتجاوز عمَّن أساء وأعطى من غير مسألةٍ . فأعطاها كسوةً ودراهم وأقطعها ضيعةً تُغلُّ لها في كلِّ سنةٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ . وأعادها إلى وطنها سالمةً وكتب إلى والي الكوفة بالوصيةِ بها وبعشيرتها (للابشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرمهما

٣٠٩ كان في أيام خلافةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ رجلٌ يقال له خزيمةُ بنُ بشرٍ من بني أسدٍ مشهورٌ بالمروءةِ والكرمِ والمواساةِ . وكانت نعمتُه وافرةً . فلم يزل على تلك الحالةِ من الكرم حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضّل عليهم . فآسوه حينًا ثمَّ إنَّهم ملّوه . فلمَّا لاح منهم ذلك أتى امرأتَه وكانت ابنةَ عمِّه . فقال لها : يا ابنةَ العمِّ رأيتُ من إخواني تغيُّرًا عمَّا عهدتُّ منهم . وقد عزمتُ على لزوم بيتي إلى أن يأتيَني الموتُ . ثمَّ إنَّه أغلق بابَه وأقام يتقوَّت بما عنده حتى نفد جميعُه وبقي حائرًا في أمرهِ . وكان يومئذٍ عكرمةُ الفيَّاضُ واليًا على الجزيرةِ . فبينما هو جالسٌ في ديوانه وعنده جماعةٌ من أهل البلدِ من معارفه إذ جرى ذكرُ خزيمةَ بنِ بشرٍ . فسألهم عكرمةُ عن حالهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ ٱلْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ ٱلْفَيَّاضُ: أَفَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ مُوَاسِيًا أَوْ مُكَافِيًا. فَقَالُوا لَهُ: لَا. فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذٰلِكَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي ٱلْكَرَمِ بِٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْعَظِيمَةِ وَقَدْ سُمِّيَ ٱلْفَيَّاضَ لِزِيَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ. ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ ٱنْتَظَرَ إِلَى أَنْ دَخَلَ ٱللَّيْلُ فَعَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كِيسٍ وَأَمَرَ بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ. فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ يَحْمِلُ ٱلْمَالَ. وَكَانَ ٱللَّيْلُ قَدْ ٱنْتَصَفَ. فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ خُزَيْمَةَ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ ٱلْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْكِيسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى ٱلْبَابِ وَقَرَعَهُ. فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَّرَ صَوْتَهُ: خُذْ هٰذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ. فَتَنَاوَلَهُ خُزَيْمَةُ فَرَآهُ ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَنِي. فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ: وَٱللّٰهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّمْ تُخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ. فَقَالَ خُزَيْمَةُ: زِدْنِي إِيضَاحًا. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: لَا وَٱللّٰهِ. وَٱنْصَرَفَ. فَدَخَلَ خُزَيْمَةُ بِٱلْكِيسِ إِلَى ٱمْرَأَتِهِ وَقَالَ لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى ٱللّٰهُ بِٱلْفَرَجِ فَقُومِي أَسْرِجِي. فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلسِّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ. فَبَاتَ خُزَيْمَةُ يَلْمِسُ ٱلْكِيسَ فَيَجِدُ خُشُونَةَ ٱلدَّنَانِيرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ ٱمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ بَعْدَ هَدْأَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ مُنْفَرِدًا. فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتٍ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعلم أَحدٌ بما خرجتُ إِليه إِلاَّ اللهُ فقط . فقالتْ له : لا بُدَّ لي أن أعلمَ ذلكَ وصاحتْ وناحتْ وألحّتْ عليه بالطَّلبِ . فلمَّا رأى أنَّهُ ليسَ لهُ بُدٌّ قالَ لها : أُخبِرُكِ بالأمرِ فاكتُميهِ إِذاً . قالتْ لهُ : قُلْ ولا تُبالِ بذلكَ . فأخبرَها بالقصَّةِ على وجهِها . أمَّا ما كانَ مِنْ خُزَيمةَ فإنَّهُ لمَّا أصبحَ صالحَ غُرماءَه وأصلحَ شأنَهُ وتجهَّزَ للسَّفرِ يُريدُ الخليفةَ سُليمانَ ابنَ عبدِ الملكِ . فدخلَ الحاجبُ وأخبرَ سُليمانَ بوصولِ خُزيمةَ بنِ بِشرٍ . وكانَ سُليمانُ يعرفُهُ جيِّداً بالمروءةِ والكرمِ فأذِنَ لهُ . فلمَّا دخلَ خُزيمةُ وسلَّمَ عليهِ بالخلافةِ قالَ لهُ سُليمانُ : يا خُزيمةُ ما أبطأكَ عنَّا . قالَ : سوءُ الحالِ يا أميرَ المؤمنينَ . قالَ فما منعكَ النَّهضةَ إِلينا . قالَ خُزيمةُ : ضَعفي يا أميرَ المؤمنينَ وقلَّةُ ما بِيَدي . قالَ : فَمَنْ أنهضكَ الآنَ . قالَ خُزيمةُ : لم أشعُرْ يا أميرَ المؤمنينَ بعدَ هدأةٍ مِنَ اللَّيلِ إِلاَّ والبابُ يُطرقُ فخرجتُ فرأيتُ شخصاً وكانَ مِنهُ كيتَ وكيتَ . وأخبرَهُ بقصَّتِهِ مِنْ أوَّلِها إِلى آخرِها . فقالَ لهُ : أما عرفتَهُ . فقالَ خُزيمةُ : ما سمعتُ مِنهُ يا أميرَ المؤمنينَ إِلاَّ حينَ سألتُهُ عنِ اسمِهِ قالَ : أنا جابرُ عثراتِ الكرامِ . قالَ : فتلهَّفَ سُليمانُ بنُ عبدِ الملكِ على معرفتِهِ وقالَ : لو عرفناهُ لكافأناهُ على مروءتِهِ . ثمَّ قالَ : عليَّ بالكاتبِ فحضرَ إِليهِ . فكتبَ لخُزيمةَ الولايةَ على الجزيرةِ وجميعِ عملِ عِكرِمةَ وأجزلَ لهُ العطاءَ وأحسنَ ضِيافتَهُ . وأمرَهُ بالتَّوجُّهِ مِنْ وقتِهِ إِلى الولايةِ فقبَّلَ الأرضَ خُزيمةُ وتوجَّهَ مِنْ ساعتِهِ إِلى الجزيرةِ . فلمَّا قرُبَ مِنها خرجَ عِكرِمةُ وكانَ قدْ بلغَهُ عزلُهُ وأقبلَ لملاقاةِ خُزيمةَ

مَعَ جَمِيعِ أَعْيَانِ ٱلْبَلَدِ. وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ ٱلْبَلَدَ. فَنَزَلَ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ ٱلْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرِمَةُ وَيُحَاسَبَ. فَحُوسِبَ فَفَضَلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: وَٱللهِ مَا إِلَى دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِحَبْسِهِ وَأَرْسَلَ يُطَالِبُهُ بِٱلْمَالِ. فَأَرْسَلَ عِكْرِمَةُ يَقُولُ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعِرْضِهِ فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ. فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ. فَكُبِّلَ بِٱلْحَدِيدِ وَضُرِبَ وَضُيِّقَ عَلَيْهِ. فَأَقَامَ كَذٰلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذٰلِكَ وَأَضَرَّ بِهِ فَبَلَغَ ٱمْرَأَتَهُ ضُرُّهُ فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَٱغْتَمَّتْ لِذٰلِكَ غَمًّا شَدِيدًا. فَدَعَتْ جَارِيَةً لَهَا ذَاتَ عَقْلٍ وَقَالَتْ لَهَا: ٱمْضِي ٱلسَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ: إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ. فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكِ فَقُولِي: لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ خُزَيْمَةَ. فَإِذَا دَخَلْتِ عَلَيْهِ فَسَلِيهِ ٱلْخَلْوَةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ: مَا كَانَ هٰذَا جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ مِنْكَ بِمُكَافَأَتِكَ لَهُ بِٱلضِّيقِ وَٱلْحَبْسِ وَٱلْحَدِيدِ ثُمَّ بِٱلضَّرْبِ. قَالَ: فَفَعَلَتْ جَارِيَتُهَا ذٰلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ قَوْلَهَا قَالَ: وَاسَوْءَتَاهُ جَابِرُ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ غَرِيمِي. قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَمَرَ لِوَقْتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأُسْرِجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى بَابِ ٱلْحَبْسِ. فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرِمَةَ ٱلْفَيَّاضَ فِي قَاعِ ٱلْحَبْسِ مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ ٱلضُّرُّ. فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرِمَةُ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوُجُوهُ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ مَعَهُ أَحْشَمَهُ ذٰلِكَ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ. فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةُ وَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ. فَرَفَعَ عِكْرِمَةُ رَأْسَهُ وَقَالَ: مَا أَعْقَبَ هٰذَا مِنْكَ. قَالَ خُزَيْمَةُ: كَرِيمُ فِعَالِكَ

وَسُوءُ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ ٱللهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ أَمَرَ بِقُيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا مُرَادُكَ بِذٰلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ ٱلضُّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِٱللهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ ٱلِٱنْصِرَافَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ ذٰلِكَ . ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةُ بِٱلْحَمَّامِ فَأُخْلِيَ وَدَخَلَا جَمِيعًا . وَقَامَ خُزَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي ٱلرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ ٱلْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بِشْرٍ . فَرَاعَهُ ذٰلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي ٱلْجَزِيرَةِ يَقْدَمُ عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرِنَا مَعَ قُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِهِ . مَا هٰذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِجَابِرِ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسُرَّكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَتِهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . قَالَ : عِكْرِمَةُ ٱلْفَيَّاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي ٱلدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِٱلْخِلَافَةِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالًا عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : ٱكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ . فَكَتَبَهَا فَقُضِيَتْ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ ٱلتُّحَفِ وَٱلظُّرَفِ وَوَلَّاهُ عَلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

وَأَذْرَبِيجَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خُزَيْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكَرَّمًا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا ٱنْصَرَفَا جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلّب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ ٱلْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَعَذَّبَهُ وَٱسْتَأْصَلَهُ وَٱسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ. فَٱحْتَالَ يَزِيدُ بِحُسْنِ تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ ٱلسَّجَّانَ وَٱسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَٱلسَّجَّانُ وَقَصَدَ ٱلشَّامَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. وَكَانَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ ٱلْحَجَّاجُ إِلَى ٱلْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ هَرَبَ مِنَ ٱلسِّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ ٱلْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بِذٰلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ أَبِينَا. وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ ٱلْحَجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَّمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ ٱلْفَضْلِ وَٱلْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱلْوَلِيدُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذٰلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا بِيَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هٰذا إلَى قَيْدِ هٰذا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهُمَا جَمِيعًا بِغُلَّيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَخِيهِ ٱلْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ يَزِيدَ وَٱبْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ. وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا. فَإِنْ هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَبِٱللهِ عَلَيْكَ فَٱبْدَأْ بِقَتْلِ أَيُّوبَ. ثُمَّ ٱجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا. وَٱجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَٱلسَّلَامُ. فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ ٱبْنُ ٱلْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى ٱلْوَلِيدِ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ ٱلْوَلِيدُ ٱسْتِحْيَاءً وَقَالَ: لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَغْنَا بِهِ هٰذَا ٱلْمَبْلَغَ. فَأَخَذَ يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحْتَجُّ لِنَفْسِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَلِيدُ: مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى ٱلْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عُذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ ٱلْحَجَّاجِ. ثُمَّ ٱسْتَحْضَرَ حَدَّادًا فَأَزَالَ عَنْهُمَا ٱلْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ٱبْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ. وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحَجَّاجِ مَضْمُونُهُ: لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ. فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ ٱلْمَنَازِلِ (للابشيهي)

عفو كريمٍ واحسانهُ الى من قتل اباه

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي ٱلْعَبَّاسِ ٱخْتَفَتْ مِنْهُمْ جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرٰهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. وَكَانَ إِبْرٰهِيمُ هٰذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ فِي سِنِّ ٱلشَّبِيبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ ٱلسَّفَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ أَمَانًا

وأكرمه وقال له: الزم مجلسي فذات يوم قال له أبو العباس السفّاح: يا إبرهيم حدّثني عمّا مرّ بك في استخفائك من العدوّ. فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين. كنت مختفيًا في الحيرة بمنزل في شارع على الصحراء فبينما كنت يومًا على ظهر ذلك البيت إذ بصرت بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة. فتخيّلت أنها تريدني فخرجت مسرعًا من الدار متنكّرًا حتّى أتيت الكوفة وأنا لا أعرف أحدًا أختفي عنده فبقيت في حيرة. فنظرت وإذا أنا بباب كبير واسع الرحبة فدخلت فيه. فرأيت رجلًا وسيمًا حسن الهيئة مقبلًا على الرحبة ومعه أتباعه فنزل عن فرسه والتفت فرآني فقال لي: من أنت وما حاجتك. فقلت رجل خائف على دمه وجاء يستجير في منزلك. فأدخلني منزله وصيّرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في كلّ ما أحبّه من طعام وشراب ولباس وهو لا يسألني عن شيء من حالي. إلّا أنّه كان يركب في كلّ يوم من الفجر ويمضي ولا يرجع إلّا قريب الظهر. فقلت له يومًا: أراك تدمن الركوب كلّ يوم ففي م ذلك. فقال لي: إنّ إبرهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أبي ظلمًا وقد بلغني أنّه مختفٍ في الحيرة فأنا أطلبه يوميًا لعلّي أجده وأدرك منه ثاري قال: فلمّا سمعت ذلك يا أمير المؤمنين كثر تعجّبي وقلت في نفسي: إنّ القدر ساقني إلى حتفي في منزل من يطلب دمي. فوالله يا أمير المؤمنين إنّي كرهت الحياة: ثمّ إنّي سألت الرجل

عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هٰذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي يَلْزَمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأُقَرِّبَ عَلَيْكَ ٱلْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرٰهِيمُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ أَبِيكَ فَخُذْ بِثَارِكَ . فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْجَرَكَ ٱلِٱخْتِفَاءُ وَٱلْبُعْدُ عَنْ مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ ٱلْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَٱللّٰهِ وَلٰكِنِّي أَقُولُ لَكَ ٱلْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلرَّجُلُ كَلَامِي هٰذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَٱحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلٰكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا وَٱنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ مُدَّةً يُرِيدُ ٱلدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذٰلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ ٱلْأَمْرُ سَأَلَ بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرْجُوكَ إِذَا دَخَلَ ٱلْأَمِيرُ إِلَى ٱلْبُسْتَانِ أَنْ تُعَرِّفَنِي . فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهَ جَاءَ ٱلْخَادِمُ وَأَخْبَرَ ٱلشَّاعِرَ فَكَتَبَ ٱلشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ ٱلشِّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي ٱلْمَاءِ ٱلْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

ٱلْبُسْتَانِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ ٱلْمَاءِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلْخَشَبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :

أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجِ مَعْنًا بِحَاجَتِي ... فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ ٱلرَّجُلَ صَاحِبَ هٰذِهِ ٱلْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ ٱلْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ ٱلْخَشَبَةَ تَحْتَ ٱلْبِسَاطِ مَكَانَ جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَهُ فَرَأَى ٱلْخَشَبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُوَ ٱلرَّجُلَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي ٱلثَّالِثِ خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَلَمَتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَدَعَا ٱلشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّاعِرُ هٰذَا ٱلْعَطَاءَ ٱلزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ خَافَ أَنَّ مَعْنًا يُرَاجِعُهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذُ ٱلْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ فَأَلَمَتْهُ فَخَطَرَ ٱلشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى ٱلْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَافَرَ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافَرَ ٱغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ وَٱللهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابرهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازَمَتِهِ وَتَرْكِ ٱلشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فعاتبني عَلَى شُرْبِي ٱلْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ ٱلنَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْبَتَّةَ. وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَأَصْنَعَنَّ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي نُزْهَةٍ لَهُمَا. فَسُعِيَ بِهِمَا وَبِي إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ. فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ. فَأَمَرَ بِي فَجُرِّدْتُ فَضُرِبْتُ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَوْطًا. فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي: إِنَّ جُرْمِي لَيْسَ مِنَ ٱلْأَجْرَامِ ٱلَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي. فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هٰذَا: ضَرَبَنِي بِٱلسَّيْفِ فِي جَفْنِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ سَاعَةً. ثُمَّ فَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَوَقَعَتَا عَلَى عَيْنَيِ ٱلْمَهْدِيِّ. فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنَيْ نَادِمٍ. وَقَالَ لِٱبْنِ مَالِكٍ: خُذْهُ إِلَيْكَ. قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ ٱلسَّوْطِ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهًا بِٱلْقَبْرِ فَيُصَيِّرَنِي فِيهِ. فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ. فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيُسَكِّنَ ٱلضَّرْبَ. وَدَفَعَنِي إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَتْنِي فِي ذٰلِكَ ٱلْقَبْرِ. فَتَأَذَّيْتُ بِٱلنَّزِّ وَبِٱلْبَقِّ فِي ذٰلِكَ ٱلْقَبْرِ. وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ: اُطْلُبِي لِي آجُرَّةً عَلَيْهَا فَحْمٌ وَكُنْدُرٌ يُذْهِبُ عَنِّي هٰذَا ٱلْبَقَّ. فَأَتَتْنِي بِذٰلِكَ. فَلَمَّا دَخَّنْتُ أَظْلَمَ ٱلْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ ٱلْغَمِّ. فَٱسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى ٱلنَّزِّ فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ ٱلدُّخَانُ. فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدِ ٱسْتَرَحْتُ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ ٱلْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ. فَهَمَمْتُ أَنْ آخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي ٱلْيُمْنَى وَٱلْأُخْرَى بِيَدِي ٱلْيُسْرَى فَإِمَّا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي. ثُمَّ كُفِيتُهُمَا فَدَخَلَتَا مِنَ ٱلثَّقْبِ ٱلَّذِي

خرجتا منه . فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله وقلت في الحبس :

ألا طال ليلي أراعي النجوم أعالج في الساق كبلا ثقيلا
بدار الهوان وشر الديار أسام بها الخسف صبرا جميلا
كثير الأخلاء عند الرخاء فلما حبست أراهم قليلا
لطول بلائي مل الصديق فلا يأمنن خليل خليلا

ثم أخرجني المهدي وأحلفني (بكل يمين لا فسحة لي فيها) أن لا أدخل على موسى وهارون أبدا ولا أغنيهما وخلى سبيلي (الاغاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حدث الشيباني قال : جلس المأمون يوما للمظالم . فكان آخر من تقدم إليه وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة . فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى يحيى بن اكثم فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتك . فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلسُ السبتُ إن يُقض الجلوسُ لنا نُنصفْكِ منهُ وإلّا المجلسُ الأحدُ

فلمّا كانَ اليومُ الأحدُ جلسَ فكانَ أوّلَ من تقدّمَ إليهِ تلكَ المرأةُ . فقالتْ : السّلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . فقالَ : وعليكِ السّلامُ أينَ الخصمُ . فقالتِ : الواقفُ على رأسِكَ يا أميرَ المؤمنينَ . وأومأتْ إلى العبّاسِ ابنِهِ . فقالَ : يا أحمدُ بنَ أبي خالدٍ خُذْ بيدِهِ فأجلِسْهُ معها مجلسَ الخصومِ . فجعلَ كلامُها يعلو كلامَ العبّاسِ فقالَ لها أحمدُ بنُ أبي خالدٍ : يا أمةَ اللهِ إنّكِ بينَ يدي أميرِ المؤمنينَ . وإنّكِ تكلّمينَ الأميرَ فاخفضي من صوتِكِ . فقالَ المأمونُ : دعها يا أحمدُ فإنَّ الحقَّ أنطقَها وأخرسَه . ثمَّ قضى لها بردِّ ضيعتِها إليها . وظلّمَ العبّاسَ بظلمِهِ لها . وأمرَ بالكتابِ لها إلى العاملِ ببلدِها أن يُوغِرَ لها ضيعتَها ويُحسِنَ معاونتَها وأمرَ لها بنفقةٍ (لابن عبد ربّه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عبّاسٍ كانَ من أكابرِ الأجوادِ الكرامِ فنزلَ منزلًا . وكانَ منصرفًا منَ الشّامِ إلى الحجازِ . فطلبَ من غلمانِهِ طعامًا فلم يجدُوا . فقالَ لوكيلِهِ : اذهبْ في هذهِ البرّيّةِ فلعلّكَ تجدُ راعيًا أو حيًّا فيهِ لبنٌ أو طعامٌ . فمضى بالغلمانِ فوقعوا على عجوزٍ في حيٍّ . فقالوا لها : عندكِ طعامٌ نبتاعُهُ . قالتْ : أمّا طعامُ البيعةِ فلا ولكن عندي ما بهِ حاجةٌ لي ولأبنائي . قالوا : فأينَ بنوكِ . قالتْ : في رعيٍ لهمْ وهذا أوانُ أوبتِهمْ . قالوا : فما أعددتِ لكِ ولهم قالتْ : خبزةً تحتَ

مِلَّتِهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا لَهَا : تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ الشَّطْرِ نَقِيصَةٌ . وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي وَأَمْنَحُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مَنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : احْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : انْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا فَإِنَّهُ يُرِيدُكِ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ : وَأَبِيكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي . قَالُوا : مُكَافَأَتَكِ وَبِرَّكِ . فَقَالَتْ : أَوَّاهِ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ . قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكِ . قَالَتْ : أَسْهَرُ الْيَسِيرَ وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا ادَّخَرْتِ لِبَنِيكِ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ : أَدَّخِرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيْءٌ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ ... حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

فَازْدَادَ عَبْدُ اللهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكِ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتِ تصنعين. قالت: ياهذا لقد عظمت عندك هذه الخبزة حتى أكثرت فيها مقالك. وأشغلت بها بالك. إلهُ عن هذا فإنّه يفسد النفس ويؤثّر في الخسّة. فقال عبد الله: أحضروا لي أولادها فأحضروهم فلمّا دنوا منه رأوا أمّهم وسلّموا. فأدناهم إليه وقال: إنّي لم أطلبكم وأمّكم لمكروه وإنّما أحبّ أن أصلح من شأنكم وألمّ شعثكم. فقالوا: إنّ هذا قلّ أن يكون إلا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم. قال: ليس شيء من ذلك ولكن جاورتكم في هذه الليلة فأحببت أن أضع بعض مالي فيكم. قالوا: ياهذا نحن في خفض عيش وكفاف من الرزق فوجّهه نحو من يستحقّه. وإن أردت النوال مبتدأ من غير سؤال فتقدّم فمعروفك مشكور وبرّك مقبول. فقال: نعم هو ذاك. وأمر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة. فقالت العجوز لأولادها: ليقل كلّ واحد منكم شيئاً من الشعر وأنا أتبعكم في شيء منه. فقال الأكبر:

شهدتّ عليك بطيب الكلام وطيب الفعال وطيب الخبر

وقال الأوسط:

تبرّعت بالجود قبل السؤال فعال عظيم كريم الخطر

وقال الأصغر:

وحقّ لمن كان ذا فعله بأن يسترقّ رقاب البشر

وقالت العجوز:

فَعَمَّرَكَ ٱللهُ مِنْ مَاجِدٍ ‌ ‌ ‌ وَوُقِّيتَ كُلَّ ٱلرَّدَى وَٱلْحَذَرْ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ ٱلْحَالِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ. فَمُنِعَ مِنَ ٱلدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِٱلرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكٌ ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدُ ٱلنُّزْهَةَ حَوْلَ ٱلرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ ٱلشُّرْطَةُ ٱزْدِرَاءً بِهِ. فَلَمْ يَنْثَنِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَنَا عَائِذٌ بِكَ مِنْ شُرَطِكَ. فَنَهَاهُمْ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْغِيَ إِلَيَّ بِسَمْعِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

بِبَابِكَ دُونَ ٱلنَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي ‌ ‌ ‌ وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي ٱلْحُجَّابُ وَٱللَّيْلُ مُسْبِلٌ ‌ ‌ ‌ وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَٱلرِّجَالُ صُفُوفُ
يَطُوفُونَ حَوْلِي بِٱلْقُلُوبِ كَأَنَّهُمْ ‌ ‌ ‌ ذِئَابٌ جِيَاعٌ بَيْنَهُنَّ خَرُوفُ
فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا ‌ ‌ ‌ وَأُصْرَفُ عَنْهُ إِنَّنِي لَضَعِيفُ
وَمَا لِي مِنَ ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِمَنْ ‌ ‌ ‌ تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْحَيَّانِ قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ ‌ ‌ ‌ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَرِحْلَتِي ‌ ‌ ‌ إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتْ عَلَيَّ صُرُوفُ
فَجِئْتُكَ أَبْغِي ٱلْخَيْرَ مِنْكَ فَهَزَّنِي ‌ ‌ ‌ بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلَنْ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً ‌ ‌ ‌ فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ مَخُوفُ

فَٱسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حوله : من يعطيه درهماً بدرهمين وثوباً بثوبين . فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الأعرابي واختلط عقله لكثرة ما أعطي . فقال له مالك : هل بقيت لك حاجة يا أخا العرب . قال : أما إليك فلا . قال : فإلى من . قال : إلى الله أن يبقيك للعرب فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها (للقليوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أخبر بعضهم قال : ما رأيت رجلاً عرض عليه الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجي . كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جيء به أسيراً . فدخل عليه في يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاماً ودعا بالسيف والنطع . فلما مثل بين يديه نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ومشيته إلى الموت غير مكترث به . فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر في عقله وبلاغته فقال : يا تميم إن كان لك عذر فأت به . فقال : أما إذا أذن أمير المؤمنين (جبر الله به صدع الدين . ولم شعث المسلمين . وأخمد شهاب الباطل . وأنار سبل الحق) . فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة . وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة . وساء الظن ولم يبق إلا العفو أو الانتقام . وأمير المؤمنين أقرب إلى العفو وهو أليق بشيمه الطاهرة . ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيث ما أتلفت

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ ٱلْيَوْمَ قَاتِلِي ... وَأَيُّ ٱمْرِئٍ مِمَّا قَضَى ٱللهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيْفُ ٱلْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي ... لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ
وَلٰكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمِ ... وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ ٱلْخُدُودَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِبْطَةٍ ... أَذُودُ ٱلرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مُتُّ مُوِّتُوا

قَالَ فَبَكَى ٱلْمُعْتَصِمُ وَقَالَ: إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرًا. ثُمَّ قَالَ: كَادَ وَٱللهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلسَّيْفُ ٱلْعَذَلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلهِ وَلِصِبْيَتِكَ وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلًا استغاث بهِ وكان خائفًا على دمهِ فجوزي على احسانهِ

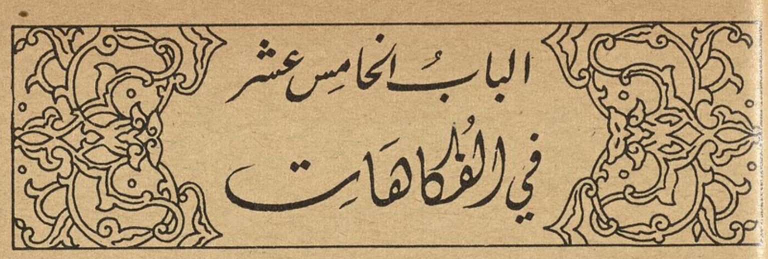
٣١٨ حَكَى ٱلْعَبَّاسُ حَاجِبُ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ ٱلْعَبَّاسُ ٱلسَّفَّاحُ ٱلْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبِلَادِ. فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَاجَعَ ٱلْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً عَظِيمَةً فِي ٱلشَّامِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحِ وَتَوْلِيَةِ ٱلْخِلَافَةِ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ. فَقَامَ ٱلْأُمَوِيُّونَ عَلَى ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ. وَبَلَغَنِي ٱلْخَبَرُ وَأَنَا مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِأَبْتَاعَ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي. فَهَرَبْتُ وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بَابَهَا مَفْتُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيبًا جَالِسًا فَقَالَ: مَنِ ٱلرَّجُلُ. فَقُلْتُ: خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ ٱلطَّلَبُ. فَقَالَ:

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ٱدْخُلْ هٰذِهِ ٱلْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ ٱلْبَابَ وَدَخَلَ حُرَمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ لِي: قُمِ ٱشْلَحْ مَا عَلَيْكَ وَٱلْبَسْ هٰذِهِ ٱلثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ ٱلطَّلَبَ عَلَيْكَ شَدِيدًا. فَلَبِسْتُ ثِيَابَ ٱلنِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حُرَمِهِ وَجَعَلَنِي بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ ٱلدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ ٱلرِّجَالُ فِي طَلَبِي. فَدَخَلَ ٱلرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَنِي. فَقَالُوا لَهُ: نُفَتِّشُ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذٰلِكَ. فَدَخَلَ ٱلْقَوْمُ وَفَتَّشُوا جَمِيعَ دَارِ ٱلرَّجُلِ إِلَّا ٱلْمَقْصُورَةَ ٱلَّتِي فِيهَا حُرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ ٱلرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ ٱللَّحَاقَ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَٱمْضِ مُعَافًى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي: كُلُّ ٱحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتُعْرَفَ فَأَمْهِلْ إِلَى بَعْدِ ٱلْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ ٱلرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمَتْ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ ٱلشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى ذٰلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَعَجِّبًا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُ بَغْدَادَ وَلَحِقْتُ بِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَانْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ. فَقُلْتُ لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ هٰذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدًا أْتِنِي بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ فُقِدَ مِنْكَ فَلَا أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ. فَقُلْتُ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقَيَّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَرْكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَلِكَثْرَةِ حِرْصِي عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غِلْمَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَشُوا لَنَا مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذٰلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرَبَ فَيَرُوحَ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غِلْمَانِي فَجَاءُوا بِالْمَائِدَةِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ. فَقَالَ: مِنَ الشَّامِ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُ فُلَانَ الْفُلَانِيَّ فِي الشَّامِ. فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِأَنِّي أَسِيرُ مَعْرُوفِهِ وَعَبْدُ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ. فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. فَطَارَ عَقْلِي مِنْ

رأسي فرحاً به فجعلت أسأله إلى أن تحققته فقمت حينئذ وكسرت أقفال قيوده وهو يمتنع من ذلك. ثم أمرت الغلمان فأحضروا له ثياباً فأبى لبسها فأقسمت عليه فلبسها. ثم قال لي: ما مرادك أن تعمل بي. قلت: والله أنقذك حتى تصير بعيداً عن بغداد بمراحل وتذهب في حال سبيلك. فقال: اسمع هذا ليس هو الرأي الصائب لأنك إذا مضيت إلى أمير المؤمنين من غيري يغضب عليك فيقتلك وأنا معاذ الله أن أشتري سلامتي بموتك فهذا لا يمكن. فقلت له: وما ذنبك أنت عند أمير المؤمنين. فقال: اتهموني زوراً بأني أنا الذي حركت الفتن في الشام وأن لبني أمية عندي ودائع. فقلت: حيث إن هذا فقط جرمك والله إني أهربك وأنا لا أبالي من أمير المؤمنين إن قتلني وإن عفا عني. فإن إحسانك السالف علي عظيم جداً. فقال لي: لا تظن أنني أطاوعك على ذلك ولكن عندي رأي أصوب وهو: دعني محفوظاً في مكان وامض قل لأمير المؤمنين ما شئت من هربي. فإن عفا عنك فعد إلي وأطلقني فأهرب وإن أمر بقتلك فعند ذلك أكون أنا في أمرك فتحضرني وتفتدي نفسك. وعدا هذا لا أرتضي معك بشيء (قال) فلما رأيت الرجل أبى إلا هذا وضعته في مقصورة خفية في داري وأصبحت وأبكرت إلى دار الخلافة. فدخلت فوجدت المنصور جالساً ينتظرني. فلما رآني وحدي قام عرق الغضب بين عينيه ورأيت عينيه قد صارتا مثل النار غيظاً علي وقال لي: هيه

يا عبّاس أين الرجل. فقلت له: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنّ العفو أقرب للتقوى وهذا رجل جرى لي معه كيت وكيت وفعل معي كذا وكذا من الإحسان العظيم فالتزمت لحق إحسانه أن أطلقه أملاً بحلمك واتكالاً على كرمك. قال: فرأيت وجه المنصور قد تهلّل وقال لي: لحاك الله يا عبّاس. أيفعل هذا الرجل معك هذا الإحسان العظيم في زمن الفتنة وتطلقه من غير أن تخبرنا بإحسانه لنقوم بإكرامه ونجزيه عمّا فعله معك من الخير. وجعل المنصور يتأسّف ويفرك يديه تحسّراً ويقول: أيذهب منّا إنسان له علينا إحسان فلا نوفيه بعض ما استوجب عندنا من عظيم معروفه والله إنها لكبرى. فقلت له: يا أمير المؤمنين بأبي وأمي إنّ الرجل موجود عندي وقد أبى أن يهرب لخوفه على عنقي منك. فقال لي أن أجعله محفوظاً في مكان وآتيك فأخبرك أنه هرب فإن عفوت وإلّا رجعت فأحضرته. فاستبشر وجه المنصور وضرب برجله الأرض وقال: هذا والله يساوي مقدار سالف معروف الرجل إليك. فامض مسرعاً وائتني به مكرّماً موقّراً. فمضيت وأتيت داري ودخلت على الرجل فقبّل الأرض شكراً لله تعالى وقام وجاء معي حتّى دخلنا على أمير المؤمنين المنصور فحين رآه رحّب به وأجلسه بجانبه وأكرمه وخلع عليه خلعاً نفيسة وقال له: هذا جزاء إحسانك. وسأله إن شاء أن يوليه الشام فأبى وشكره. وأطلقه المنصور موقّراً وأرسل معه الكتب لولاته يأمرهم بإكرامه والقيام بحوائجه (للاتايدي)



٣١٩ أرسل ابن خروف الشاعر إلى ابن شدّاد بحلب يطلب منه فروة :

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الأنوا ءِ من جدواك جلد أبي
وفضلك عالمٌ أني خروفٌ بارع الأدب
حلبت الدهر أشطره وفي حلب صفا حلبي

٣٢٠ دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثياباً جمّة وقضيت ديني
فكان بنفسجيُّ الخزّ فيها وساجٌ ناعمٌ فأتمّ زيني
فصدّق يا فدتك الناس رؤيا رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال : لا تعد فتحلم فأجعل حلمك أضغاثاً (للازدي)

سيد العرب

٣٢١ قال الأصمعيّ : رأيت بالبادية أعرابيّةً تبكي على قبرٍ وتقول :

فمن للسؤال ومن للنوال ومن للمعالي ومن للخطب
ومن للحماة ومن للكماة إذا ما الكماة جثوا للركب
إذا قيل مات أبو مالكٍ فتى المكرمات فريد العرب

فقلت لها : من هذا الذي مات هؤلاء كلهم بموته . فبكت

وَقَالَتْ : هٰذَا أَبُو مَالِكٍ ٱلْحَجَّامُ خَتَنُ أَبِي مَنْصُورٍ ٱلْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَازَاكِ ٱللّٰهُ خَيْرًا . وَٱللّٰهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ ٱلْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى ٱلطُّرُقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي ٱلْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ ٱلْخَاصَّةِ أُضْحِكُ ٱلنَّاسَ وَأَتَنَادَرُ فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ ٱلْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ ٱلْخَدَمِ فَأُعْجِبَ بِذٰلِكَ وَٱنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى ٱلْبَابِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتٍ وَنَوَادِرَ تُضْحِكُ ٱلثَّكُولَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ . فَطَمِعْتُ فِي ٱلْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ ٱلسَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ بِنَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْحَاجَةُ تَفْتُقُ ٱلْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِرَّهُمْ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجَزْتُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ أَصْفَعْكَ بِذٰلِكَ ٱلْجِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي: مَلِكٌ لَا يَصفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيِّنٍ خَفِيفٍ. وَٱلْتَفَتُّ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ ٱلْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رِيحٌ. إِنْ أَضْحَكْتُهُ رَبِحْتُ وَأَخَذْتُ ٱلْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيِّنٌ. ثُمَّ أَخَذْتُ فِي ٱلنَّوَادِرِ وَٱلْحِكَايَاتِ وَٱلنَّفَاسَةِ وَٱلْعِبَارَةِ. فَلَمْ أَدَعْ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُخَنَّثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تُرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عَيَّارٍ وَلَا نَادِرَةً وَلَا حِكَايَةً إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ رَأْسِي. وَفَتَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا مِنَ ٱلضَّحِكِ. وَهُوَ مُقَطِّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ. فَقُلْتُ: قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَٱللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ. فَقَالَ لِي: هِيهِ مَا عِنْدَكَ. فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ: هَاتِهَا. قُلْتُ: وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى. فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ: نَفْعَلُ. يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ. ثُمَّ مَدَدْتُ ظَهْرِي فَصُفِعْتُ بِٱلْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ. وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًا مُدَوَّرًا فَصُفِعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفَصِلَ رَقَبَتِي وَطَنَّتْ أُذُنَايَ وَٱنْقَدَحَ ٱلشُّعَاعُ مِنْ عَيْنَيَّ. فَصِحْتُ: يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ. فَرَفَعَ ٱلصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى ٱلْعِشْرِينَ. فَقَالَ: قُلْ نَصِيحَتَكَ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ. وَقَدْ ضَمِنْتُ لِلْخَادِمِ ٱلَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ ٱلْجَائِزَةِ عَلَى قِلِّهَا وَكُثْرِهَا.

وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضْعَفَهَا . وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي وَبَقِيَ نِصْفُهُ . فَضَحِكَ حَتَّى ٱسْتَلْقَى وَٱسْتَفَزَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ ٱلْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيُمْسِكُ بِمَرَاقِّ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ . وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هٰذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتُ نَصِيبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ ٱلصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ ٱلْوَقْعُ أَقْبَلْتُ أَلُومُهُ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ ٱلْحَاجَةَ وَٱلْمَسْكَنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدْسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا آخُذُ إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَهُ جَائِزَتُهُ ٱلصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى ٱلضَّحِكِ مِنْ عِتَابِي لِلْخَادِمِ . فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى نَصِيبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هٰذِهِ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدَعْكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكًا لَكَ . فَقُلْتُ : وَأَيْنَ ٱلْأَمَانَةُ . فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَٱنْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ ٱلرَّشِيدُ لِإِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ وَإِبْرٰهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيِّ وَٱبْنِ جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلْيَكُنْ كُلٌّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَّى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَّى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْمَهْدِيِّ : فَقُمْتُ فِي ٱلسَّحَرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ ٱلْفَجْرِ دَعَوْتُ بِغِلْمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ. وَكَانُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبِيتُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي. فَقُمْتُ فَرَكِبْتُ فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرٰهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيّ. وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ ٱلصَّنْعَةَ لَمْ يَنَمْ حَتَّى يُدَبِّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَٱعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ ٱلصَّوْتِ وَيَرْسَخَ فِي قَلْبِهِ. فَجِئْتُ حَتَّى وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يُرَدِّدُ صَوْتًا أَعَدَّهُ. فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ ٱلصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ. ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى ٱلرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشُّرْبِ خَرَجَ ٱلْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَا ٱبْنَ أُمِّ غَنِّنِي. فَٱنْدَفَعْتُ فَغَنَّيْتُ هٰذَا ٱلصَّوْتَ وَٱلْمَوْصِلِيُّ فِي ٱلْمَوْتِ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهُ. فَشَرِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَوَثَبَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ فَحَلَفَ بِٱلطَّلَاقِ وَحَيَاةِ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ ٱلشِّعْرَ لَهُ قَالَهُ ٱلْبَارِحَةَ وَغَنَّى فِيهِ. مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ. فَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمَهْدِيّ: يَا سَيِّدِي فَمِنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ وَبَهْتُهُ. وَإِبْرٰهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضِجُّ. فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرَبًا مِنَ ٱلْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ لِلرَّشِيدِ: ٱلْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ وَصَدَقْتُهُ. فَقَالَ لِلْمَوْصِلِيّ: أَمَّا أَخِي فَقَدْ أَخَذَ ٱلْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ. وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ عِوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ. فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ (الاغاني)

٣٢٤ ذَكَرَ ٱلْمُبَرِّدُ أَنَّ ٱلْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدِ ٱشْتَدَّتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ ٱلْيَحْمَدِيّ: أَمْدِدْنَا بِخَيْلِ ٱلْيَحْمَدِ. وَقَالَ لَهُمْ: أَعِيرُونَا جَمَاجِمَكُمْ سَاعَةً. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ

جماجمهم ليست بفخار فتعار . وأعناقهم ليست بكرات فتنبت . وقال :

يقول لي الأمير بغير جرم   تقدم حين جد بنا المراس
فما لي إن أطعتك من حياة   وما لي غير هذا الراس راس

ثقيل وظريف

٣٢٥ أهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملا ثم نزل عليه حتى أبرمه . فقال فيه :

يا مبرما أهدى جمل   خذ وانصرف ألفي جمل
قال وما أوقارها   قلت زبيب وعسل
قال ومن يقودها   قلت له ألفا رجل
قال ومن يسوقها   قلت له ألفا بطل
قال وما لباسهم   قلت حلي وحلل
قال وما سلاحهم   قلت سيوف وأسل
قال عبيد لي إذا   قلت نعم ثم خول
قال بهذا فاكتبوا   إذن عليكم لي سجل
قلت له ألفي سجل   فاضمن لنا أن ترتحل
قال وقد أضجرتكم   قلت أجل ثم أجل
قال وقد أبرمتكم   قلت له الأمر جلل
قال وقد أثقلتكم   قلت له فوق الثقل
قال فإني راحل   قلت العجل ثم العجل

يَا كَوْكَبَ ٱلشُّؤْمِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى نَحْسِ زُحَلْ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلْ

(لابن عبد ربّه)

سنان بن ثابت والطبيب القرويّ

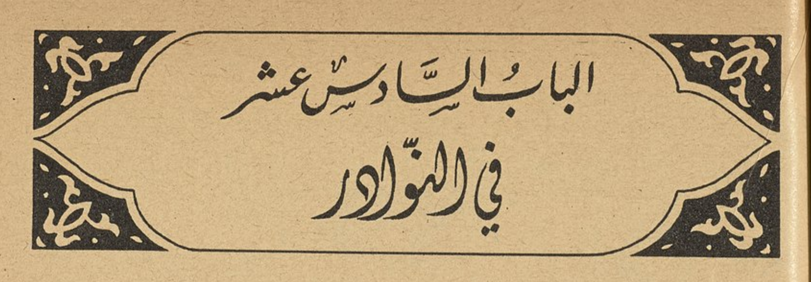
٣٢٦ مِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي ٱلطِّبِّ فِي ٱمْتِحَانِ ٱلْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ ٱلْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذٰلِكَ أَنَّهُ أُحْضِرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحُ ٱلْبَشْرَةِ وَٱلْهَيْئَةِ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجَبِ مَنْظَرِهِ وَرِفْعَتِهِ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدِ ٱشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ ٱلشَّيْخِ شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي ٱلصِّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ ٱلشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَٱللهِ مَا أُحْسِنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جُمْلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارٌ دَائِرَةٌ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا بِمَا قَرُبَ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ. قَالَ ٱلشَّيْخُ: هٰذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ ٱلسَّكَنْجَبِينَ وَٱلْجُلَّابَ. وَٱنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ ٱلْبِزَّةِ مَلِيحُ ٱلْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى مَنْ قَرَأْتَ. قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: ٱلشَّيْخُ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِٱلْأَمْسِ. قَالَ: نِعْمَ ٱلشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَتَجَاوَزْهُ. وَٱنْصَرِفْ مُصَاحَبًا (لابي الفرج)

حذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ ٱسْمُهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيُّ . وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى غَايَةِ ٱلثِّقَلِ وَصَارَ ٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ بِهِ ٱلْمَثَلَ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ ٱلزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ سِمْسَارٌ : يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا ٱلْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَٱشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ فَتَكْسَبُ بِهِ ٱلْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَٱشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ إِلَى سُوقِ ٱلْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا ٱلْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءُ وَرْدٍ فِي غَايَةِ ٱلطِّيبَةِ وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَلِعَجَلَةِ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسَبُ بِهِ ٱلْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَٱشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُذَهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي ٱلصَّدْرِ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ دَخَلَ ٱلْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هٰذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ ٱلشَّنَاعَةِ وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ ٱللّٰهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ : ٱلْحَقُّ مَعَكَ فَٱلسَّمْعُ وَٱلطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ ٱلْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ ٱشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَدَاسُ ٱلْجَدِيدُ مَدَاسَ ٱلْقَاضِي جَاءَ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى ٱلْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ ٱسْتَحَمَّ . فَلَمَّا خَرَجَ فَتَّشَ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ ٱلَّذِي لَبِسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَفَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَاسِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ ٱلْمَثَلُ . فَأَرْسَلَ ٱلْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ ٱلْقَاضِي عِنْدَهُ . فَأَحْضَرَهُ ٱلْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً وَغَرَّمَهُ بَعْضَ ٱلْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ مِنَ ٱلْحَبْسِ وَأَخَذَ مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَغَاصَ فِي ٱلْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا ٱلْمَدَاسُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هٰذَا مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيّ فَٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي ٱلْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَنَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ ٱلْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ فَسَقَطَ عَلَى ٱلرَّفِّ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلزُّجَاجُ وَمَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَوَقَعَ ٱلزُّجَاجُ وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذٰلِكَ فَعَرَفَ ٱلْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَافَقْرَاهُ أَفْقَرَنِي هٰذَا ٱلْمَدَاسُ ٱلْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَحْفِرَ لَهُ فِي ٱللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ . فَسَمِعَ ٱلْجِيرَانُ حِسَّ ٱلْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَرَفَعُوا ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَٱعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِلُّ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضَ ٱلْمَالِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنَ ٱلسِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانُ مِنَ ٱلْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ إِلَى كَنِيفِ ٱلْخَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ ٱلْكَنِيفِ فَفَاضَ وَضَجِرَ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلرَّائِحَةِ ٱلْكَرِيهَةِ. فَفَتَّشُوا عَلَى ٱلسَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ. فَحَمَلُوهُ إِلَى ٱلْوَالِي وَأَخْبَرُوهُ بِمَا وَقَعَ. فَأَحْضَرَ ٱلْوَالِي أَبَا ٱلْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ تَصْلِيحُ ٱلْكَنِيفِ فَغَرِمَ جُمْلَةَ مَالٍ. وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْوَالِي مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيبًا لَهُ وَأَطْلَقَهُ. فَخَرَجَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَٱلْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاظٌ مِنْهُ: وَٱللهِ مَا عُدْتُ أُفَارِقُ هٰذَا ٱلْمَدَاسَ. ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ حَتَّى يَجِفَّ. فَرَآهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَرَ بِهِ إِلَى سَطْحٍ آخَرَ فَسَقَطَ مِنَ ٱلْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَآلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَالِغًا. فَنَظَرُوا وَفَتَّشُوا لِمَنِ ٱلْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ. فَرَفَعُوا ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِٱلْعِوَضِ وَٱلْقِيَامِ بِلَوَازِمِ ٱلْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ. فَنَفِدَ عِنْدَ ذٰلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ. ثُمَّ إِنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ أَخَذَ ٱلْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى ٱلْقَاضِي وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ مِنْ حَضْرَةِ مَوْلَانَا ٱلْقَاضِي أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هٰذَا ٱلْمَدَاسِ مُبَارَاةً شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ. وَأَنَّ كُلًّا مِنَّا بَرِيءٌ مِنْ صَاحِبِهِ. وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلُهُ هٰذَا ٱلْمَدَاسُ لَا أُؤْخَذُ بِهِ أَنَا. وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ. فَضَحِكَ ٱلْقَاضِي مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)



ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بعضَ الحَسَدَةِ وشى بالوزيرِ الكاتبِ ابنِ مُقْلَةَ الذي انفرَدَ في زمانِهِ بعلوِّ الخطِّ وحُسْنِهِ: وادَّعى أنّه غدرَ الملكَ في بعضِ الأمورِ. فأمرَ الملكُ بقطعِ يدِهِ فلمّا فعلَ به هذا الأمرَ لزمَ بيتَهُ وانصرفتْ عنهُ الأصدقاءُ والمحبّونَ ولم يأتِهِ أحدٌ إلى نصفِ النهارِ. فتبيّنَ للملكِ أنَّ الكلامَ عليه باطلٌ. فأمرَ بقتلِ الذي وشى بابنِ مُقْلَةَ وردَّهُ إلى ما كانَ. فلمّا رأى إخوانُهُ أنَّ نعمتَهُ عادتْ إليهِ عادوا لهُ يهنّونَهُ وأقبلوا إليهِ يعتذرونَ. فأنشدَ:

تحالفَ النّاسُ والزّمانُ فحيثُ كانَ الزّمانُ كانوا
عاداني الدهرُ نصفَ يومٍ فانكشفَ النّاسُ لي وبانوا

ومكثَ يكتبُ بيدِهِ اليُسرى بقيّةَ عُمْرِهِ. ولم يتغيّرْ خطُّهُ حتّى ماتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خرجَ أميرُ المؤمنينَ أبو يعقوبَ مِنْ إشبيليةَ قاصدًا بلادَ الأذفنشِ. فنزلَ على مدينةٍ لهُ عظيمةٍ تُسمّى وبذ. وذلكَ أنّهُ بلغَهُ أنَّ أعيانَ دولةِ الأذفنشِ ووجوهَ أجنادِهِ في تلكَ المدينةِ. فأقامَ محاصرًا لها أشهرًا إلى أنِ اشتدَّ الحصارُ وبرحَ بهمِ العطشُ. فأرسلوا إلى أميرِ

المُؤمنين يَطلُبون الأَمانَ على أنفسِهِم على أن يَخرُجوا له من المَدينةِ . فأَبَى ذلكَ عَلَيهِم وأطمعهُ فيهم ما نُقِلَ إليهِ مِن شِدَّةِ عطشِهِم وكَثرةِ من يموتُ مِنهم . فلمَّا يئسوا ممَّا عِندهُ سمع لهم بعضَ اللَّيالي لغطٌ عظيمٌ وجلبةُ أصواتٍ . وذلك أنَّهم أخرجوا أناجيلَهم واجتمع قِسّيسوهم ورهبانُهم يدعونَ ويؤمِّن باقيهم . فجاءَ مطرٌ عظيمٌ كأنَّه القِرَبُ ملأَ ما كانَ عِندهُم مِنَ الصَّهاريج . فشربوا وارتَوَوا وتقوَّوا على المُسلمينَ . فانصرفَ عنهم الخليفةُ راجعًا إلى إشبيليةَ بعدَ أن هادنَ الأَدفُنش (للمراكشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ ومن عجائبِ مَشاهدِ مِصرَ المَشهدُ العظيمُ الشَّأنِ الَّذي بالقاهرةِ حيثُ رأسُ الحُسينِ . وهو في تابوتٍ من فِضَّةٍ مدفونٌ قد بُني عليهِ بُنيانٌ يَقصُرُ الوصفُ عنهُ . مُجلَّلٌ بأنواعِ الدِّيباجِ مَحفوفٌ بأمثالِ العُمُدِ الكِبارِ شمعًا بيضاءَ أكثرُها موضوعٌ في أنوارِ الفِضَّةِ . وحُفَّ أعلاهُ كلُّه بأمثالِ التَّفافيحِ ذهبًا في مَصنعٍ شِبهِ الرَّوضةِ . يَبهرُ الأَبصارَ حُسنًا وجمالًا . وفيهِ أنواعُ الرُّخامِ المُجزَّعِ الغريبِ الصَّنعةِ البديعِ التَّرصيعِ ما لا يتخيَّلُه المُتخيِّلونَ . والمَدخلُ إليها من مَسجدٍ على مِثالِها في التَّأنُّقِ . حيطانُه كلُّها رُخامٌ . وأغربُ ما فيهِ حجرٌ موضوعٌ في الجِدارِ الَّذي يستقبلُه الدَّاخلُ شديدُ السَّوادِ والبَصيصِ يَصِفُ الأَشخاصَ كلَّها كأنَّه المِرآةُ الهِنديَّةُ . ولِتَزاحُمِ النَّاسِ على القبرِ وانكبابِهم عليهِ وتمسُّحِهم بهِ وبالكِسوةِ الَّتي عليهِ مرأًى هائلٌ (للشريشي)

٣٣١ نُسْخَةُ مُبَايَعَةِ مِلْكٍ كَتَبَهَا ٱلشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ ٱلْوَرْدِيّ نَظْمًا:

بِٱسْمِ إِلٰهِ ٱلْخَلْقِ هٰذَا مَا ٱشْتَرَى ... مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سُنْقُرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلْأَزْرَقِ ... كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلَّقِ
فَبَاعَهُ قِطْعَةَ أَرْضٍ وَاقِعَهْ ... بِكُورَةِ ٱلْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَهْ
لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ ٱلْأَجْنَاسِ ... وَٱلْأَرْضُ فِي ٱلْبَيْعِ مَعَ ٱلْغِرَاسِ
وَذَرْعُ هٰذِي ٱلْأَرْضِ بِٱلذِّرَاعِ ... عِشْرُونَ فِي ٱلطُّولِ بِلَا نِزَاعِ
وَذَرْعُهَا فِي ٱلْعَرْضِ مِنْهَا عَشَرَهْ ... وَهْوَ ذِرَاعُ بِٱلْيَدِ ٱلْمُعْتَبَرَهْ
وَحَدُّهَا مِنْ قِبْلَةٍ مِلْكُ ٱلتَّقِي ... وَحَائِزُ ٱلرُّومِيِّ حَدُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَمِنْ شِمَالٍ مِلْكُ أَوْلَادِ عَلِي ... وَٱلْغَرْبِ مِلْكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلِ
بَيْعًا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ... ثُمَّ شِرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيُبْطِلُهْ ... وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهْ
بِثَمَنٍ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّهْ ... دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مُبْيَضَّهْ
قَبَضَهَا ٱلْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَهْ ... وَعَادَتِ ٱلذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَهْ
وَسَلَّمَ ٱلْأَرْضَ إِلَى مَنِ ٱشْتَرَى ... فَقَبَضَ ٱلْفِضَّةَ مِنْهُ وَجَرَى
بَيْنَهُمَا بِٱلْبَدَنِ ٱلتَّفَرُّقُ ... وَمَا بَقِي لِأَحَدٍ تَعَلُّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَاكَ فِي ... سَابِعَ عَشْرَ رَمَضَانَ ٱلْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمَائَةٍ لِلْهِجْرَهْ ... مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ تَلِي وَعَشَرَهْ

مروءة اسماعيل الهزرجيّ

٣٣٢ نَازَعَ ٱلْخَلِيفَةَ عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ٱبْنِ تُومَرْت. وَٱنْتَهَوْا

فِي ذَٰلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ وَرَأْيُ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ خِبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَٰلِكَ يَخْفَى مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ ٱلْأَمْرُ إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ ٱلْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِهِ. فَأُعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَٰلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ٱبْنِ تُومَرْتَ مِنْ خِيَارِهِمْ. ٱسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى ٱلْهَزْرَجِيُّ. فَأَتَى عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرٰهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ عِنْدَنَا مَقْضِيَّةٌ. قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هٰذَا ٱلْخِبَاءِ وَتَدَعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَمْ يُعْلِمْهُ بِمُرَادِ ٱلْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ ٱلْخِبَاءَ لِأَنَّهُ أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ ٱلْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أُولٰئِكَ ٱلْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِٱلْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُصِيبُوا عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ فَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَّاكُشَ وَرَامُوا ٱلْقِيَامَ بِهَا. فَأَتَوُا ٱلْبَوَّابِينَ ٱلَّذِينَ عَلَى ٱلْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمُ ٱلْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ. فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيهِمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ ٱلْقُصُورِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّاسَ ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْجُنْدِ وَخَاصَّةِ ٱلْعَبِيدِ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْعَبِيدَ غَلَبُوهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ ٱلنَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِٱلْيَدِ فَقَيَّدُوا وَجُعِلُوا فِي ٱلسِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ إِلَى مُرَّاكُشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرْغَةَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ

قادحون في ملكه متربصون به. ولما أصبح أبو إبرهيم إسماعيل المتقدم الذكر في الخباء مقتولا على الحال التي ذكرنا أعظم ذلك عبد المؤمن ووجد عليه وجدا مفرطا أخرجه عن حد التماسك إلى حيز الجزع. فأمر بغسله وتكفينه وصلى عليه بنفسه ودفن (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر أفق السماء. وراحت الإبل حدباء حدابير. وضنت المراضع إلى أولادها فما تبض بقطرة وأيقنا بالهلاك. فوالله إنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدي وسفانة. فقام حاتم إلى الصبيين وقمت أنا إلى الصبية فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل. وأقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت. فلما تهورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد. فقال: من هذا. قالت: جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب فما وجدت معولا إلا عليك يا أبا عدي. فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم. فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جنابها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها. فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر. ثم كشطه عن جلده ودفع المدية إلى المرأة فقال لها: شأنك. فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل. ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتا بيتا فيقول: هبوا أيها القوم عليكم بالنار. فاجتمعوا والتفع في ثوبه

نَاحِيَةً يَنظُرُ إِلَيْنَا. فَلَا وَٱللهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُزْعَةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ. فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ:

مَهْلًا نَوَارُ أَقِلِّي ٱللَّوْمَ وَٱلْعَذَلَا ... وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا

وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي ٱلْإِنْسَ وَٱلْجَبَلَا

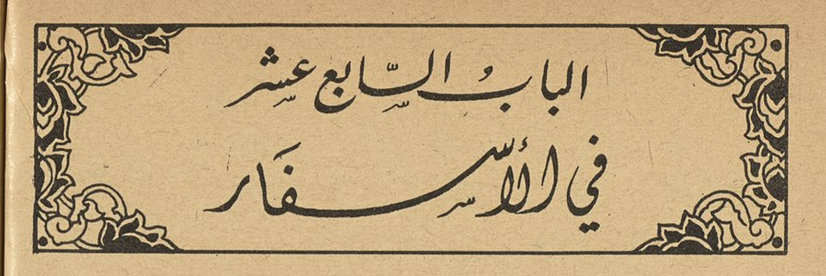
يَرَى ٱلْبَخِيلُ سَبِيلَ ٱلْمَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ ٱلْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ ٱلْإِيَادِيُّ فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ٱلنَّمِرِ. وَكَانَ ذٰلِكَ فِي حَرِّ ٱلصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا يَتَصَافَنُونَ ٱلْمَاءَ. وَذٰلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي ٱلْقَعْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبَّ فِيهِ مِنَ ٱلْمَاءِ بِقَدْرِ مَا يَغْمُرُ ٱلْحَصَاةَ. فَيَشْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ ٱلْآخَرُ. وَلَمَّا نَزَلُوا لِلشُّرْبِ وَدَارَ ٱلْقَعْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى ٱلرَّجُلَ ٱلنَّمَرِيَّ يُحِدُّ نَظَرَهُ إِلَيْهِ. فَآثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي: ٱسْقِ أَخَاكَ ٱلنَّمَرِيَّ فَشَرِبَ ٱلنَّمَرِيُّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ ٱلْمَاءِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ. ثُمَّ نَزَلُوا مِنَ ٱلْغَدِ مَنْزِلَهُمُ ٱلْآخَرَ فَتَصَافَنُوا بَقِيَّةَ مَائِهِمْ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ أَمْسِ. وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسِ. وَٱرْتَحَلَ ٱلْقَوْمُ وَقَالُوا: يَا كَعْبُ ٱرْتَحِلْ. فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنُّهُوضِ وَكَانُوا قَدْ قَرُبُوا مِنَ ٱلْمَاءِ. فَقَالُوا لَهُ: رِدْ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ. فَعَجَزَ عَنِ ٱلْجَوَابِ. وَلَمَّا أَيِسُوا مِنْهُ خَيَّمُوا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ يَمْنَعُهُ مِنَ ٱلسَّبُعِ أَنْ يَأْكُلَهُ. وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ. فَذَهَبَ ذٰلِكَ مَثَلًا فِي تَفْضِيلِ ٱلرَّجُلِ صَاحِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ (اخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومناة

٣٣٥ مِنْ عَجَائِبِ مَدِينَةِ سُومَنَاةَ هيكلٌ فِيهِ صَنَمٌ كَانَ وَاقِفًا فِي وَسَطِ ٱلْبَيْتِ. لَا بِقَائِمَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعَمُهُ وَلَا بِعَلَاقَةٍ مِنْ أَعْلَاهُ تُمْسِكُهُ. وَكَانَ أَمْرُ هٰذَا ٱلصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ ٱلْهِنْدِ مَنْ رَآهُ وَاقِفًا فِي ٱلْهَوَاءِ تَعَجَّبَ. وَكَانَتِ ٱلْهِنْدُ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْهَدَايَا كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنَ ٱلْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ. وَكَانَتْ سَدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ ٱلْوُفُودِ. وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً مِنَ ٱلسَّاجِ ٱلْمُصَفَّحِ بِٱلرَّصَاصِ. وَكَانَتْ قُبَّةُ ٱلصَّنَمِ مُظْلِمَةً وَضَوْءُهَا كَانَ مِنْ قَنَادِيلِ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَائِقِ. وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةُ ذَهَبٍ كُلَّمَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ ٱللَّيْلِ حُرِّكَتْ فَتُصَوِّتُ ٱلْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ. حُكِيَ أَنَّ ٱلسُّلْطَانَ يَمِينَ ٱلدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ ٱلْهِنْدِ وَرَأَى ذٰلِكَ ٱلصَّنَمَ أَعْجَبَهُ أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هٰذَا ٱلصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي ٱلْهَوَاءِ بِلَا عِمَادٍ وَعَلَاقَةٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ عُلِّقَ بِعَلَاقَةٍ وَأُخْفِيَتِ ٱلْعَلَاقَةُ عَنِ ٱلنَّظَرِ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ: إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ ٱلْقُبَّةَ مِنْ حَجَرِ ٱلْمَغْنَاطِيسِ وَٱلصَّنَمَ مِنَ ٱلْحَدِيدِ. وَٱلصَّانِعُ بَالَغَ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ وَرَاعَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ ٱلْمَغْنَاطِيسِ مِنَ ٱلْجَوَانِبِ. فَوَافَقَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ. فَلَمَّا رَفَعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ ٱلْقُبَّةِ مَالَ ٱلصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ ٱلْجَوَانِبِ. فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ ٱلْأَحْجَارَ وَٱلصَّنَمُ يَنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ (للقزويني)



الباب السابع عشر
في الأسفار

مدح السفر

٣٣٦ قالَ أبو قاسمٍ الصّاحِبُ: لَيسَ بينَكَ وبينَ بلدٍ نسبٌ فخيرُ البلادِ مَا حَمَلَكَ . السَّفرُ يُسفِرُ عَنْ أخلاقِ الرِّجالِ فأَوحِشْ أهلَكَ إذا كانَ في إيحاشِهِمْ أُنسُكَ . واهجُرْ وطَنَكَ إذا نبَتْ عنهُ نفسُكَ . رُبَّما أسفرَ السَّفرُ عَنِ الظَّفرِ . وتَعذَّرَ في الوطنِ قضاءُ الوطرِ (اليواقيت للثعالبي)

أَنْشَدَ شُكْرٌ العلويّ:

قَوِّضْ خِيامَكَ عَنْ أرضٍ تُهانُ بِها ... وجانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يُجتَنَبُ

وارحلْ إذا كانَ في الأوطانِ منقَصةٌ ... فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ في أوطانِهِ حطَبُ

قالَ آخرُ:

إرحَلْ بنفسِكَ مِنْ أرضٍ تُضامُ بِها ... ولا تكُنْ بِفراقِ الأهلِ في حُرَقِ

مَنْ ذلَّ بينَ أهاليهِ ببلدَتِهِ ... فالاغترابُ لهُ مِنْ أحسنِ الخُلُقِ

ألكُحْلُ نوعٌ مِنَ الأحجارِ منطرِحًا ... في أرضِهِ كالثَّرى يُذْرى على الطُّرُقِ

لَمَّا تغرَّبَ نالَ العِزَّ أجمعَهُ ... وصارَ يُحمَلُ بينَ الجَفنِ والحَدَقِ

قالَ غيرُهُ:

إذا ما ضاقَ صدرُكَ مِنْ بلادٍ ... ترَحَّلْ طالبًا أرضًا سِواها

عَجِبتُ لِمَنْ يُقيمُ بدارِ ذُلٍّ ... وأرضُ اللهِ مُتَّسِعٌ فضاها

فَذاكَ مِنَ الرِّجالِ قَليلُ عَقْلٍ بَليدٌ لَيسَ يَعلَمُ ما طَحاها
فَنَفْسَكَ فُزْ بِها إنْ خِفْتَ ضَيماً وَخَلِّ الدّارَ تَنعى مَنْ بَناها
فَإنَّكَ واجِدٌ أَرْضاً بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْساً سِواها

٣٣٧ كَتَبَ بَعضُ الكُتّابِ: جَزَى اللهُ الفِراقَ خَيراً فَما هُوَ إلّا زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ. ثُمَّ اعْتِصامٌ وَتَوَكُّلٌ. ثُمَّ تأمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ. وَقَبَّحَ اللهُ التَّلاقَ. فَإنَّما هُوَ مَسَرَّةُ لَحْظَةٍ وَمَساءَةُ أيّامٍ. وَابْتِهاجُ ساعَةٍ وَاكْتِئابُ زَمانٍ. وَإنّي لا أكْرَهُ الاجْتِماعَ وَلا أكْرَهُ الفِراقَ. لِأَنَّ مَعَ الفِراقِ غُمَّةً يُخَفِّفُها تَوَقُّعُ إسْعافٍ بِتأمِيلِ الأَوْبَةِ وَالرُّجعى. وَمَعَ الاجْتِماعِ مُحاذَرَةَ الفِراقِ وَقِصَرَ السُّرُورِ. قالَ بَعضُ الظُّرَفاء: لَو قُلْتُ إنّي لَمْ أجِدْ لِلرَّحيلِ أَلَماً وَلِلبَينِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقّاً. لِأَنّي نِلْتُ بِهِ مِنَ العِناقِ وَأُنْسِ اللِّقاءِ ما كانَ مَعْدُوماً أيّامَ الاجْتِماعِ وَبِهِ مُصافَحَةُ التَّسليمِ. وَرَجاءُ الأَوْبَةِ. وَعِمارَةُ القَلْبِ بِالشَّوْقِ. وَالأُنْسُ بِالمُكاتَبَةِ (للمقدسي)

قالَ أبُو تَمّامٍ:

وَلَيسَتْ فَرْحَةُ الأَوْباتِ إلّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الوَداعِ

قالَ ابْنُ النَّطْرُونِيّ:

باتَتْ تَصُدُّ عَنِ النَّوى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إنَّ الحَياةَ مَعَ القَنا عَةِ لِلمَقامُ الأَطْيَبُ
فَأَجَبْتُها يا هذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكِ خُلَّبُ
إنَّ الكَريمَ مُفارِقٌ أوْطانَهُ إذْ تُجْدِبُ

وَٱلْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذمّ السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ ٱلْأَحْبَابِ. سَقَامُ ٱلْأَلْبَابِ. حَقُّ ٱلْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ ٱلْقُلُوبُ. وَتَطِيشَ مَعَهُ ٱلْعُقُولُ. وَتَطِيحَ عَلَيْهِ ٱلنُّفُوسُ. وَفِرَاقُ ٱلْحَبِيبِ يُشَيِّبُ ٱلْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ ٱلْحَدِيدَ. وَهَوْلُ ٱلسِّيَاقِ. أَهْوَنُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ. وَقَالَ ٱلنَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَاعَتِ ٱلْقُلُوبَ وَهَدَّتِ ٱلْجِبَالَ. وَلَجَمْرُ ٱلْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَنْ يَنْأَ عَنْ دَارِ ٱلْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقُ

قَالَ ٱبْنُ ٱلْهَبَّارِيَّة:

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا بِٱلسَّيْرِ يَكْتَسِبُ ٱللَّبِيبُ وَيُرْزَقُ

فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْحَظُّ يَنْفَعُ لَا ٱلرَّحِيلُ ٱلْمُقْلِقُ

كَمْ سَفْرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلُهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ ٱلْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ

كَٱلْبَدْرِ يَكْتَسِبُ ٱلْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَبِهِ إِذَا حُرِمَ ٱلسَّعَادَةَ يُمْحَقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ مَوْسِمُ ٱلتُّجَّارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي ٱلْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ ٱلْإِرْفَاقِ بِرَخَاءِ ٱلْأَسْعَارِ. لَا يَقِرُّ فِيهَا لِمُسْلِمٍ قَرَارٌ. مَشْحُونَةٌ بِعَبَدَةِ ٱلصُّلْبَانِ تَغَصُّ بِقَاطِنِيهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذَرْعًا بِسَاكِنِيهَا. أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيلَةٌ. وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْغَادِ ٱلْعَيْشِ كَفِيلَةٌ. لَا تَزَالُ

بِهَا لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ ٱلْوَجْهِ وَٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ . مُسْتَنِدَةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدِ ٱنْتَظَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَٱلْبَحْرُ يَعْتَرِضُ أَمَامَهَا فِي ٱلْجِهَةِ ٱلْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرْسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي ٱلْبِلَادِ ٱلْبَحْرِيَّةِ لِأَنَّ ٱلْمَرَاكِبَ ٱلْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ ٱلْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تُمْسِكُهُ وَيُنْصَبُ مِنْهَا إِلَى ٱلْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَٱلْحَمَّالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِيقَ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيغِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى ٱلْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفَّةً مِنَ ٱلْبَرِّ كَٱصْطِفَافِ ٱلْجِيَادِ فِي مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبْلَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمْقِ ٱلْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زُقَاقٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا مِنْهُ بَلْدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةَ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ ٱلْمَدِينَةُ مِسِّينَةُ رَأْسُ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْمُدُنِ وَٱلْعَمَائِرِ وَٱلضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ ٱلْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتَزِرُ بِٱلسُّحُبِ لِإِفْرَاطِ سُمُوِّهِ وَيَعْتَمُّ بِٱلثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ٱبْنَةُ ٱلْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ ٱلْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ ٱلْخِصْبِ وَٱلرَّفَاهَةِ . مَشْحُونَةٌ بِٱلْأَرْزَاقِ عَلَى ٱخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ ٱلْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا كُلُّهَا بَسَاتِينُ مُثْمِرَةٌ بِٱلتُّفَّاحِ وَٱلشَّاهْبَلُّوطِ وَٱلْبُنْدُقِ وَٱلْإِجَّاصِ وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مِسِّينَةَ هَذِهِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنْ ذَوِي ٱلْمِهَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا ٱلْمُسْلِمُ ٱلْغَرِيبُ .

وَأَحسن مُدُنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا . وَٱلْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِٱلْمَدِينَةِ وَٱلنَّصارى يَعْرِفُونَهَا بِبَلَرْمَة . وَفِيهَا سُكْنَى ٱلْحَضَرِيِّينَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

وبلرمة هذه مسكنُ مَلِكِهِم غِلْيَام . وَهِيَ أَحْفَلُ مُدُنِ صِقِلِّيَة وبعدها مِسِّينَة وَشَأْنُ مَلِكِهِم هٰذا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ . وَهُوَ كَثِيرُ ٱلثِّقَةِ بِٱلْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَٱلْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ . وعليهم يَلُوحُ رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَّسِعُونَ فِي ٱلْمَلَابِسِ ٱلْفَاخِرَةِ وَٱلْمَرَاكِبِ ٱلْفَارِهَةِ . وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ ٱلْحَاشِيَةُ وَٱلْخَوَلُ وَٱلْأَتْبَاعُ . وَلِهٰذَا ٱلْمَلِكِ ٱلْقُصُورُ ٱلْمُشَيَّدَةُ وَٱلْبَسَاتِينُ ٱلْأَنِيقَةُ وَلَاسِيَّمَا بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ . وَلَهُ بِمِسِّينَةَ قَصْرٌ أَبْيَضُ كَٱلْحَمَامَةِ مُطِلٌّ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي مُلُوكِ ٱلنَّصَارَى أَتْرَفُ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمُ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي تَرْتِيبِ قَوَانِينِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيبِهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُبَّهَةِ ٱلْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ وَٱلْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ ٱلِاعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ ٱلْحِرْصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى ذُكِرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا ٱجْتَازَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدَرَّ لَهُ أَرْزَاقَ مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ ٱلْمُتَحَدَّثِ بِهِ أَنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِٱلْعَرَبِيَّةِ وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمَنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ ٱلْمُخْتَصِّينَ بِهِ : ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ حَقَّ حَمْدِهِ

وَبِمَدِينَةِ مِسِّينَةَ ٱلْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ ٱلْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا لَا يُحْصَى عَدَدُ مَرَاكِبِهِ . فَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَحَدِ ٱلْفَنَادِقِ وَأَقَمْنَا بِهَا تِسْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ ٱلثَّلَاثَاءِ ٱلثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرمَةَ • وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ ٱلسَّاحِلِ بِحَيْثُ يُبْصِرُهُ رَأْيُ ٱلعَيْنِ • وَأَرْسَلَ ٱللهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَتِ ٱلزَّوْرَقَ أَهْنَأَ تَزْجِيَةٍ • وَسِرْنَا نُسَرِّحُ ٱللَّحْظَ فِي عَمَائِرَ وَقُرًى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ وَمَعَاقِلَ فِي قُنَنِ ٱلجِبَالِ مُشْرِفَةٍ • وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي ٱلْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ قَدْ قَامَتْ خَيَالًا مُرْتَفِعَةً عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ بَرِّ ٱلْجَزِيرَةِ ٱثْنَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱلنَّارُ دَائِمًا • وَأَبْصَرْنَا ٱلدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيَظْهَرُ بِٱللَّيْلِ نَارًا حَمْرَاءَ ذَاتَ أَلْسُنٍ تَصْعَدُ فِي ٱلْجَوِّ • وَهُوَ ٱلْبُرْكَانُ ٱلْمَشْهُودُ خَبَرُهُ • وَأُعْلِمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا مِنْ مَنَافِسَ فِي ٱلْجَبَلَيْنِ ٱلْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفَسٌ نَارِيٌّ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ ٱلنَّارُ • وَرُبَّمَا قُذِفَ فِيهَا ٱلْحَجَرُ ٱلْكَبِيرُ فَتُلْقِي بِهِ إِلَى ٱلْهَوَاءِ بِقُوَّةِ ذٰلِكَ ٱلنَّفَسِ وَتَمْنَعُهُ مِنَ ٱلِاسْتِقْرَارِ وَٱلِانْتِهَاءِ إِلَى ٱلْقَعْرِ • وَهٰذَا مِنْ أَعْجَبِ ٱلْمَسْمُوعَاتِ ٱلصَّحِيحَةِ • وَأَمَّا ٱلْجَبَلُ ٱلشَّامِخُ ٱلَّذِي بِٱلْجَزِيرَةِ ٱلْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ ٱلنَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ • وَذٰلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّيْلِ ٱلْعَرِمِ • فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى ٱلْبَحْرِ • فَتَرْكَبُ ثَبَجَهُ عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ • فَسُبْحَانَ ٱلْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ وَحَلَلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ ٱلْأَرْبِعَاءِ مَرْسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ ٱلْخِصْبِ وَاسِعَةُ ٱلْمَرَافِقِ • مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارَ ٱلْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا • مُرَتَّبَةُ ٱلْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ • وَعَلَيْهَا قُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ يُرَ أَمْنَعُ مِنْهَا ٱتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأُسْطُولٍ يَفْجَأُهُمْ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

ٱلْمُسلمين. وكان إقلاعنا منها نصف ٱللَّيل فجئنا مدينة ثرمة صحوة يوم ٱلْخميس بسير رويد. وبين ٱلْمدينتين خمسة وعشرون ميلًا. فٱنتقلنا منها من ذلك ٱلزورق إلى زورق ثان ٱكتريناه لكون ٱلْبحريين صحبونا فيه من أهلها. وثرمة هذه أحسن وضعًا من ٱلَّتي تقدم ذكرها. وهي حصينة تركب ٱلْبحر وتشرف عليه. وللمسلمين فيها ربض كبير لهم فيه ٱلْمساجد. ولها قلعة سامية منيعة. وفي أسفل ٱلْبلدة أجمة قد أغنت أهلها عن ٱتخاذ حمام. وهذه ٱلْبلدة من ٱلْخصب وسعة ٱلرزق على غاية. وٱلْجزيرة بأسرها من أعجب بلاد ٱللّٰه في ٱلْخصب وسعة ٱلْأرزاق. فأقمنا بها يوم ٱلْخميس ٱلرابع عشر للشهر ٱلْمذكور ونحن قد أرسينا في واد بأسفلها. ويطلع فيه ٱلْمد من ٱلْبحر ثم ينحسر عنه. وبتنا بها ليلة ٱلْجمعة. ثم ٱنقلب ٱلْهواء غربيًا فلم نجد للإقلاع سبيلًا. وبيننا وبين ٱلْمدينة ٱلْمقصودة ٱلْمعروفة عند ٱلنَّصارى ببلرمة خمسة وعشرون ميلًا. فخشينا طول ٱلْمقام وحمدنا ٱللّٰه تعالى على ما أنعم به من ٱلتَّسهيل في قطع ٱلْمسافة في يومين. وقد تلبث ٱلزوارق في قطعها على ما أعلمنا به ٱلْعشرين يومًا وٱلثَّلاثين يومًا ونيفًا على ذلك. فأصبحنا يوم ٱلْجمعة منتصف ٱلشَّهر ٱلْمبارك على نية من ٱلْمسير في ٱلْبر على أقدامنا. فتحملنا بعض أسبابنا وخلفنا بعض ٱلْأصحاب على ٱلْأسباب ٱلْباقية في ٱلزورق. وسرنا في طريق كأنها ٱلسُّوق عمارة وكثرة صادر ووارد. وطوائف ٱلنَّصارى يتلقوننا فيبادرون بالسلام علينا

وَيُؤْنِسُونَنَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلِينِ مَقْصَدِهِمْ مَعَ ٱلْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ ٱلْعَجَبَ. حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ بِنَا ٱلْإِعْيَاءُ فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهٰذَا ٱلْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مُشَيَّدُ ٱلْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ ٱلْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِإِزَائِهِ عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ ٱلْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ ٱلْحَدِيدِ. وَدَاخِلَهُ مَسَاكِنُ وَعَلَالِيُّ مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلُ مَرَافِقِ ٱلسُّكْنَى وَفِي أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ ٱلدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَايَا مَفْرُوشَةٍ بِحُصُرٍ تَطِيفُهُ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِّقَ فِيهِ نَحْوُ ٱلْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ ٱلصُّفْرِ وَٱلزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى ٱلْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ ٱلْقَصْرِ بِئْرٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقْرُبَةٍ مِنْ هٰذَا ٱلْقَصْرِ نَحْوَ ٱلْمِيلِ إِلَى جِهَةِ ٱلْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلَهُ سِقَايَةٌ تَفُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً لِمَرْضَى ٱلنَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذٰلِكَ فِي صِفَةِ مَارَسْتَانَاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بِعَكَّةَ وَبِصُورَ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنِ ٱعْتِنَائِهِمْ بِهٰذَا ٱلْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا ٱلصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمُنِعْنَا وَحُمِلْنَا إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ ٱلْمَلِكِ ٱلْإِفْرِنْجِيِّ غِلْيَامَ وَأُدِّينَا إِلَى ٱلْمُسْتَخْلِفِ لِيَسْأَلَنَا عَنْ مَقْصَدِنَا. وَكَذٰلِكَ فِعْلُهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسِرْنَا فِي سِكَكٍ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلُوكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ ٱلْقُصُورِ ٱلْمُشْرِفَةِ

وَالْمَيَادِينِ الْمُنْتَظِمَةِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَّخَذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَا رَاعَ أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةٍ فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَظَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَاطَاتٌ. وَالْمَجْلِسُ قَدْ أَخَذَ اسْتِطَالَةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا. فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاظِرِهِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةِ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الْمُسْتَخْلَفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَحُفَّانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أُبَّهَـةٍ. فَسَأَلَنَا عَنْ مَقْصَدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيِّنٍ فَأَعْلَمْنَاهُ. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِانْصِرَافِنَا بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالدُّعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعْلِمُهُ بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَنَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ لِدِجَنْبَرَ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَاطًا مُتَّصِلًا مَشَيْنَا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَـةٍ عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَاطَ مَمْشَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ

(ذِكْرُ بَلَرْمَةَ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسْنَيَيْنِ غَضَارَةٍ وَنَضَارَةٍ. فَمَا شِئْتَ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمُرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ أَخْضَرَ. عَتِيقَةٌ أَنِيقَةٌ. مُشْرِقَةٌ مُونِقَةٌ. تَتَطَلَّعُ بِمَرْأًى فَتَّانٍ. وَتَتَخَايَلُ بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَائِطَ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكَكِ وَالشَّوَارِعِ. تَرُوقُ

الأبصار بحسن منظرها البارع عجيبة الشأن. قرطبية البنيان. مبانيها كلها بمنحوت الحجر المعروف بالكذان. يشقها نهر معين ويطرد في جنباتها أربع عيون قد زخرفت منها لملكها دنياه فاتخذها حاضرة ملكه الإفرنجي. تنتظم بلباتها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب. ويتقلب من بساتينها وميادينها بين نزهة وملاعب. فكم له فيها من مقاصير ومصانع. ومناظر ومطالع. وكم له بجهاتها من ديارات قد زخرف بنيانها. ورفه بالإقطاعات الواسعة رهبانها. وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها. وللمسلمين في هذه المدينة أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى والأسواق معمورة بهم وهم التجار فيها ويصلون الأعياد بخطبة ودعاؤهم فيها للعباسيين. ولهم بها قاض يرتفعون إليه في أحكامهم. ولهذه المدينة شبه بقرطبة أن لها مدينة قديمة تعرف بالقصر القديم هي في وسط المدينة الحديثة وعلى هذا المثال موضع قرطبة. وبهذا القصر ديار كأنها القصور المشيدة. لها مناظر في الجو مظلمة تحار الأبصار في حسنها

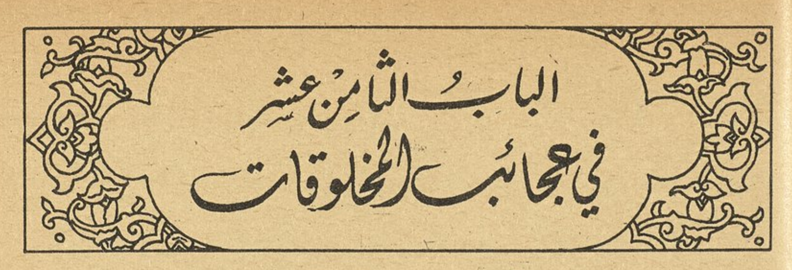
(كنيسة بلرمة) ومن أعجب ما شاهدناه بها من أمور النصارى كنيسة تعرف بكنيسة الأنطاكي أبصرناها يوم الميلاد وهو يوم عيد لهم عظيم. وقد احتفلوا لها رجالا ونساء فأبصرنا من بنيانها مرأى يعجز الوصف عنه ويقع القطع بأنه أعجب مصانع الدنيا المزخرفة. جدرها الداخلة ذهب كلها وفيها من ألواح الرخام الملون ما لم ير

مِثْلُهُ قطُّ قد رُصِّعَتْ كُلُّها بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلِّلَتْ بِأَشْجارِ الْفُصُوصِ الْخُضْرِ وَنُظِمَ أَعْلاها بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمُذَهَّباتِ مِنَ الزُّجاجِ. فَتَخْطَفُ الأَبْصارَ بِساطِعِ شُعاعِها وَتُحْدِثُ فِي النُّفوسِ فِتْنَةً. وَأَعْلَمَنا أَنَّ بانِيَها الَّذي تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيها قَناطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكانَ وَزِيراً لِجَدِّ هٰذا الْمَلِكِ. وَلِهٰذِهِ الْكَنِيسَةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قامَتْ عَلَى أَعْمِدَةٍ سَوارٍ مِنَ الرُّخامِ وَعَلَيْها قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوارٍ كُلُّها فَتُعْرَفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوارِي وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ ما يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيانِ. وَزِيُّ النَّصْرانِيَّاتِ فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ نِساءِ الْمُسْلِمِينَ. فَصِيحاتُ الأَلْسُنِ مُلْتَحِفاتٌ مُتَنَقِّباتٌ. خَرَجْنَ فِي هٰذا الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبِسْنَ ثِيابَ الْحَرِيرِ الْمُذَهَّبِ وَالْتَحَفْنَ اللُّحُفَ الرّائِقَةَ وَانْتَقَبْنَ بِالنُّقُبِ الْمُلَوَّنَةِ. وَانْتَعَلْنَ الأَخْفافَ الْمُذَهَّبَةَ. وَبَرَزْنَ لِكَنائِسِهِنَّ حامِلاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِساءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحَلِّي وَالتَّخَضُّبِ وَالتَّعَطُّرِ. وَكانَ مُقامُنا بِهٰذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيّامٍ. وَنَزَلْنا بِها فِي أَحَدِ فَنادِقِها الَّتِي يَسْكُنُها الْمُسْلِمُونَ... وَخَرَجْنا مِنْها صُبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثّانِي وَالْعِشْرِينَ لِهٰذا الشَّهْرِ الْمُبارَكِ وَالثّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبِر إِلَى مَدِينَةِ أَطْرابُنْش بِسَبَبِ مَرْكَبَيْنِ بِها أَحَدُهُما يَتَوَجَّهُ إِلَى الأَنْدَلُسِ وَالثّانِي إِلَى سَبْتَةَ. فَسَلَكْنا عَلَى قُرًى مُتَّصِلَةٍ وَضِياعٍ مُتَجاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنا مَحارِثَ وَمَزارِعَ لَمْ نَرَ مِثْلَ تُرْبَتِها طِيباً وَكَرَماً وَاتِّساعاً. فَشَبَّهْناها بِقَنْبانِيَةِ قُرْطُبَةَ أَوْ هٰذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتَنُ. وَبِتْنا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً واحِدَةً فِي بَلْدَةٍ تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةَ. وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيها السُّوقُ وَالْمَساجِدُ وَسُكّانُها

وَسُكَّانُ هٰذِهِ ٱلضِّيَاعِ ٱلَّتِي فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ. وَقُمْنَا مِنْهَا سَحَرَ يَوْمِ ٱلسَّبْتِ فَأَجَزْنَا بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ ٱلْحَمَّةِ وَهُوَ بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَّامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا ٱللهُ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسَالَهَا عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ ٱلْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى ٱلطَّرِيقِ. فَنَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ ٱلدَّوَابِّ وَأَرَحْنَا ٱلْأَبْدَانَ بِٱلِاسْتِحْمَامِ فِيهَا. وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصْرَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فَنَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ ٱكْتَرَيْنَاهَا

(مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةُ ٱلسَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةِ ٱلْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَٱلْحَمَامَةِ. مَرْسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَرَاسِي وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَاكِبِ. وَلِذٰلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ ٱلرُّومُ إِلَيْهَا وَلَاسِيَّمَا ٱلْمُقْلِعُونَ إِلَى بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَٱلسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهُبُّ ٱلرِّيحُ ٱلْمُوَافِقَةُ. فَمَجْرَاهَا فِي ذٰلِكَ مَجْرَى ٱلْمَجَازِ ٱلْقَرِيبِ. وَبِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسُّوقُ وَٱلْحَمَّامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ ٱلْمُدُنِ. لٰكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ ٱلْبَحْرِ لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَٱتِّصَالِ ٱلْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ضَيِّقَةٍ. وَٱلْبَحْرُ فَاغِرٌ فَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ ٱلْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرَخَاءِ ٱلسِّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَثٍ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا ٱلْمُسْلِمُونَ وَٱلنَّصَارَى وَلِكِلَا ٱلْفَرِيقَيْنِ فِيهَا ٱلْمَسَاجِدُ وَٱلْكَنَائِسُ. وَبِرُكْنِهَا مِنْ جِهَةِ ٱلشَّرْقِ مَائِلًا إِلَى ٱلشِّمَالِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطُ ٱلسُّمُوِّ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلاهُ قُنَّةٌ تَنْقَطِعُ عنهُ وَفيها مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي ٱلْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ. وَبِهٰذَا ٱلْجَبَلِ ٱلْكُرُومُ وَٱلْمَزَارِعُ .
وَأَعْلَمَنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمائَةِ عَيْنٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَٱلصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذٰلِكَ أَعَدُّوا
فِيهِ ذٰلِكَ ٱلْمَعْقِلَ ٱلْحَصِينَ . فَلَوْ أَحَسُّوا بِحَادِثَةٍ حَصَّنُوا حَرِيمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
ٱلْقَنْطَرَةَ . وَٱعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
وَشَأْنُ هٰذَا ٱلْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنَ ٱلْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ ٱلْعُيُونِ ٱلْمُتَفَجِّرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هٰذَا ٱلْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بِئْرٍ
عَلَى ٱلْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةُ ٱلْأَرْشِيَةِ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاغُ . وَأَلْفَيْنَا ٱلْمَرْكَبَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَرُومَانِ ٱلْإِقْلَاعَ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ بِهَا .
وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ نُؤَمِّلُ رُكُوبَ أَحَدِهِمَا وَهُوَ ٱلْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ ٱلْأَنْدَلُسِ .
وَٱللهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ ٱلْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِمَنِّهِ . وَفِي غَرْبِيِّ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ
أَطْرَابُنْشَ ثَلَاثُ جَزَائِرَ فِي ٱلْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِغَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَةَ وَٱلْأُخْرَى بِيَابِسَةَ وَٱلثَّالِثَةُ تُعْرَفُ
بِٱلرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءٍ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ ٱلْحِصْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَٱلْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ ٱلثَّالِثَةَ سِوَى
ٱلرَّاهِبِ ٱلْمَذْكُورِ . ثُمَّ ٱتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي ٱلْمَرْكَبِ ٱلْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ ٱلْأَنْدَلُسِ .
وَنَظَرْنَا فِي ٱلزَّادِ وَٱللهُ ٱلْمُتَكَفِّلُ بِٱلتَّيْسِيرِ وَٱلتَّسْهِيلِ (لابن جبير)



الباب الثامن عشر
في عجائب المخلوقات

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: ٱلْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ ٱلشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ. مِثَالُهُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ ٱلنَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهَدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ. فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ ٱلنَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا. مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذٰلِكَ ٱلْحَيَوَانَ ٱلضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هٰذِهِ ٱلْمُسَدَّسَاتِ ٱلْمُتَسَاوِيَةَ ٱلْأَضْلَاعِ ٱلَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا ٱلْمُهَنْدِسُ ٱلْحَاذِقُ مَعَ ٱلْفِرْجَارِ وَٱلْمِسْطَرَةِ. وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا ٱلشَّمْعُ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا ٱلْمُتَسَاوِيَةَ ٱلَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا ٱلْعَسَلُ ٱلَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشِّتَاءِ. وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ ٱلشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ ٱلْغِذَاءَ. وَكَيْفَ ٱهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ ٱلْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ ٱلشَّمْعُ مُحِيطًا بِٱلْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يُنَشِّفُهُ ٱلْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ ٱلْغُبَارُ. وَتَبْقَى كَٱلْبَرْنِيَّةِ ٱلْمُضَمَّمَةِ ٱلرَّأْسِ بِٱلْكَاغَدِ. فَهٰذَا مَعْنَى ٱلْعَجَبِ. وَكُلُّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ بِهٰذِهِ ٱلْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ ٱلتَّجْرِبَةِ. ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ ٱلْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَغْرِقُ ٱلْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنِسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ ٱلْأُنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَغْتَةً حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ ٱنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِٱلتَّسْبِيحِ فَقَالَ: سُبْحَانَ ٱللهِ. وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَتَحَيَّرُ فِيهَا عُقُولُ ٱلْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نُفُوسُ ٱلْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هٰذَا ٱلْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ ٱلْبَصِيرَةِ إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَجْسَامِ ٱلرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ ٱلتَّغَيُّرِ وَٱلْفَسَادِ فَإِنَّ ٱلْأَرْضَ وَٱلْهَوَاءَ وَٱلْبِحَارَ بِٱلْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ يَنْظُرْ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحَوِيَّةً . وَبَعْضَهَا حَمَائِلِيَّةً . وَبَعْضَهَا دُولَابِيَّةً . وَبَعْضَهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضَهَا يَدُورُ بَطِيئًا . ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَٱخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِٱخْتِلَافِ ٱلْأَوْقَاتِ ٱلَّتِي هِيَ سَبَبُ نُشُوءِ ٱلْحَيَوَانِ وَٱلنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَٱخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى ٱلْحُمْرَةِ وَبَعْضَهَا إِلَى ٱلْبَيَاضِ وَبَعْضَهَا إِلَى لَوْنِ ٱلرَّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ ٱلشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ ٱلْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ وَقْتِ ٱلْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسَطِ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْجَنُوبِ وَإِلَى ٱلشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ ٱلصَّيْفُ وَٱلشِّتَاءُ وَٱلرَّبِيعُ وَٱلْخَرِيفُ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى جِرْمِ ٱلْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ ٱكْتِسَابِهِ ٱلنُّورَ مِنَ ٱلشَّمْسِ لِيَنُوبَ

عنها بالليل . ثم إلى امتلائه وانمحاقه . ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر وإلى المجرة وهو البياض الذي يقال له سرج السماء . وهو على فلك يدور بالنسبة إلينا رحوية . وعجائب السماوات لا مطمع في إحصاء عشر عشرها وفيما ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب

ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب . وليتأمل السحاب الثقيل الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف حمل الماء . وتسخير الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التي أرادها الله سبحانه فترش بالماء وجه الأرض وترسله قطرات متفاصلة . لا تدرك قطرة منها قطرة لتصيب وجه الأرض برفق . فلو صبه صباً لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض . ويرسلها مقداراً كافياً لا كثيراً زائداً عن الحاجة فيعفن النبات . ولا ناقصاً فلا يتم به النمو . ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها ما يسوق السحب ومنها ما ينشرها . ومنها ما يجمعها ومنها ما يعصرها . ومنها ما يلقح الأشجار . ومنها ما يربي الزرع والثمار . ومنها ما يجففها

ثم لينظر إلى الأرض وجعلها وقوراً لتكون فراشاً ومهاداً ثم إلى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها . ثم إلى جعل ظهرها محلاً للأحياء وبطنها مقراً للأموات . فتراها وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأظهرت

أجناس المعادن وأنبتت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان .
ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخة كأوتادها لمنعها من أن تميد .
ثم إلى إيداع المياه في أوشالها كالخزانات لتخرج منها قليلاً قليلاً فتنفجر منها العيون وتجري منها الأنهار . فيحيا بها الحيوان والنبات إلى وقت نزول الأمطار من السنة القابلة . وينصب فاضلها إلى البحار دائماً

ثم لينظر إلى البحار العميقة التي هي خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . ثم لينظر إلى ما فيها من الحيوان والجواهر . ثم لينظر إلى خلق اللؤلؤ في صدفه تحت الماء . ثم إلى إنبات المرجان في صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر . ثم إلى ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه . ثم إلى السفن كيف سيرت في البحار وسرعة جريها بالرياح وإلى اتخاذ آلاتها ومعرفة النواتي موارد الرياح ومهابها ومواقيتها . وعجائب البحار كثيرة لا مطمع في إحصائها .

ثم لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد . ومنها ما لا ينطبع كالفيروزج والياقوت والزبرجد . ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والأواني منها . ثم إلى معادن الأرض كالنفط

وَٱلْكِبْرِيتِ وَٱلْقِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجَلُّهَا ٱلْمِلْحُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بَلْدَةٌ لَتَسَارَعَ ٱلْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِيَنظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ ٱلنَّبَاتِ وَأَصْنَافِ ٱلْفَوَاكِهِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْأَشْكَالِ وَٱلْأَلْوَانِ وَٱلطُّعُومِ وَٱلْأَرَايِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلْأَكْلِ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْهَوَاءِ وَٱلْمَاءِ. فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاةٍ نَخْلَةٌ مُطَوَّقَةٌ بِعَنَاقِيدِ ٱلرُّطَبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ. ثُمَّ لِيَنظُرْ إِلَى أَرْضِ ٱلْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ ٱلْقَطْرُ عَلَيْهَا ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَٱخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا. فَلَمْ تَنْبُتْ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَرَقَةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنْفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ فَهْمُ ٱلْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا. ثُمَّ لِيَنظُرْ إِلَى أَصْنَافِ ٱلْحَيَوَانِ وَٱنْقِسَامِهَا إِلَى مَا يَطِيرُ وَيَسْبَحُ وَيَمْشِي. وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُوَرِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ تَدْهَشُ مِنْهَا ٱلْعُقُولُ. بَلْ فِي ٱلْبَقَّةِ أَوِ ٱلنَّمْلِ أَوِ ٱلْعَنْكَبُوتِ أَوِ ٱلنَّحْلِ فَإِنَّهَا مِنْ ضِعَافِ ٱلْحَيَوَانَاتِ. لِيَرَى مَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا ٱلْبَيْتَ وَجَمْعِهَا ٱلْغِذَاءَ وَٱدِّخَارِهَا لِوَقْتِ ٱلشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا ٱلشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ. وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى. وَإِنَّمَا سَقَطَ ٱلتَّعَجُّبُ مِنْهَا لِلْأُنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ ٱلْمُشَاهَدَةِ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا ٱلشَّمْسُ فَأَعْظَمُ ٱلْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا. وَمَكَانُهَا

ٱلطَّبِيعِيُّ ٱلْكُرَةُ ٱلرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ ٱلْمُنَجِّمُونَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ بَيْنَ ٱلْكَوَاكِبِ كَٱلْمَلِكِ وَسَائِرَ ٱلْكَوَاكِبِ كَٱلْأَعْوَانِ وَٱلْجُنُودِ. وَٱلْقَمَرَ كَٱلْوَزِيرِ وَوَلِيِّ ٱلْعَهْدِ. وَعُطَارِدَ كَٱلْكَاتِبِ. وَٱلْمِرِّيخَ كَصَاحِبِ ٱلشُّرْطَةِ. وَٱلْمُشْتَرِي كَٱلْقَاضِي. وَزُحَلَ كَصَاحِبِ ٱلْخَزَائِنِ. وَٱلزُّهَرَةَ كَٱلْخَدَمِ وَٱلْجَوَارِي. وَٱلْأَفْلَاكَ كَٱلْأَقَالِيمِ. وَٱلْبُرُوجَ كَٱلْبُلْدَانِ. وَٱلدَّرَجَاتِ كَٱلْعَسَاكِرِ. وَٱلدَّقَائِقَ كَٱلْمَحَالِّ. وَٱلثَّوَانِي كَٱلْمَنَازِلِ. وَهٰذَا تَشْبِيهٌ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ ٱللهِ تَعَالَى جَعْلُ ٱلشَّمْسِ فِي وَسَطِ ٱلْكَوَاكِبِ ٱلسَّبْعَةِ لِتَبْقَى ٱلطَّبَائِعُ وَٱلْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ ٱلْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا ٱلِٱعْتِدَالِيِّ. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ ٱلثَّوَابِتِ لَفَسَدَتِ ٱلطَّبَائِعُ بِشِدَّةِ ٱلْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا ٱنْحَدَرَتْ إِلَى فَلَكِ ٱلْقَمَرِ لَٱحْتَرَقَ هٰذَا ٱلْعَالَمُ بِٱلْكُلِّيَّةِ. وَلُطْفٌ آخَرُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَافِقَةٍ وَإِلَّا لَٱشْتَدَّتِ ٱلسُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَٱشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى فَسَادُهُمَا. لٰكِنْ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَزَالُ تَغْشَى مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شُعَاعِهَا. وَتَمِيلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى ٱلْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى ٱلشِّمَالِ لِتَعُمَّ فَائِدَتُهَا أَمَّا إِلَى ٱلْجِهَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أمّا المتأخّرون فعلى ان الشمس في جوف الفلك ومن حولها تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزّهرة ثم الأرض ثم المرّيخ ثم المشتري ثم زحل

(*) وهذا من آراء الأوائل . فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس وأُبطل ما اعتقدهُ القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

ٱلْجَنُوبِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ ٱلْعَقْرَبِ . وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي ٱلسَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى ٱلْجِهَةِ ٱلشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ ٱلسِّمَاكِ ٱلرَّامِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي ٱلسَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى ٱلْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصّها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ ٱلْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ ٱلشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ جِرْمَ ٱلْقَمَرِ كَمِدٌ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ ٱلْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ ٱلشَّمْسَ وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ ٱلرَّأْسِ وَٱلذَّنَبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ ٱلشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْأَبْصَارِ . ثُمَّ ٱلشَّمْسُ إِذَا ٱنْكَسَفَتْ لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مُكْثٌ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ ٱلشُّعَاعِ إِذَا ٱنْطَبَقَ عَلَى صَفْحَةِ ٱلْقَمَرِ ٱنْحَرَفَ عَنْهُ فِي ٱلْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ ٱلشَّمْسُ بِٱلِٱنْجِلَاءِ . لٰكِنْ يَخْتَلِفُ قَدْرُ ٱلْكُسُوفِ بِٱخْتِلَافِ أَوْضَاعِ ٱلْمَسَاكِنِ بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ ٱلْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ ٱلْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْعُلْوِيَّاتِ وَٱلسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي ٱلْعُلْوِيَّاتِ فَإِخْفَاؤُهَا جَمِيعَ ٱلْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ ٱلنُّورَ . وَأَمَّا فِي ٱلسُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي ٱلْبِحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَبْخِرَةً بِسَبَبِ ٱلسُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ ٱلْبُخَارُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ ٱلْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱنْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ ٱلرِّيَاحُ إِلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْبَعِيدَةِ عَنِ ٱلْبِحَارِ فَيُنْزِلُ ٱللهُ قَطْرًا يُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا . وَتَظْهَرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ وَٱلْعُيُونُ فَيَصِيرُ سَبَبًا لِبَقَاءِ ٱلْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ ٱلنَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ ٱلنَّبَاتِ فَإِنَّ ٱلزُّرُوعَ وَٱلْأَشْجَارَ وَٱلنَّبَاتَ لَا تَثْبُتُ بِنُمُوٍّ إِلَّا فِي ٱلْمَوَاضِعِ ٱلَّتِي تَطْلُعُ عَلَيْهَا ٱلشَّمْسُ . وَلِذٰلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَشْجَارِ ٱلْعِظَامِ ٱلَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٌ مِنَ ٱلزُّرُوعِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ ٱلشَّمْسِ بِحَسَبِ ٱلْحَرَكَةِ ٱلْيَوْمِيَّةِ فِي ٱلنَّيْلُوفَرِ وَٱلْأَذَرْيُونِ وَوَرَقِ ٱلْخُرُوعِ فَإِنَّهَا تَنْمُو وَتَزْدَادُ عِنْدَ أَخْذِ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلِٱرْتِفَاعِ وَٱلصُّعُودِ . فَإِذَا زَالَتِ ٱلشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي ٱلذُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ ٱلشَّمْسُ ضَعُفَتْ وَذَبَلَتْ ثُمَّ عَادَتِ ٱلْيَوْمَ ٱلثَّانِيَ إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي ٱلْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا نَرَى ٱلْحَيَوَانَ إِذَا طَلَعَ نُورُ ٱلصُّبْحِ خَلَقَ ٱللّٰهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهَا قُوَّةً فَتَظْهَرُ فِيهَا فَرَاهَةٌ وَٱنْتِعَاشُ قُوَّةٍ . وَكُلَّمَا كَانَ طُلُوعُ نُورِ ٱلشَّمْسِ أَكْثَرَ كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ ٱلْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهَا أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسَطِ سَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسَطِ سَمَائِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَقُوَاهُمْ فِي ٱلضَّعْفِ وَلَا تَزَالُ تَزْدَادُ ضُعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ ٱلشَّمْسُ رَجَعَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتْهَا كَٱلْمَوْتَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا ٱلشَّمْسُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي عَادُوا إِلَى ٱلْحَالَةِ ٱلْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا ٱلْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ ٱلطَّبِيعِيُّ ٱلْفَلَكُ ٱلْأَسْفَلُ وَهُوَ جِرْمٌ كَثِيفٌ مُظْلِمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا ٱلْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يُرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنِّصفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسَ مُضِيءٌ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ النِّصْفُ الْمُظْلِمُ مُوَاجِهًا للأَرْضِ . فَإِذَا بَعُدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَمَالَ النِّصْفُ الْمُظْلِمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الأَرْضِ فَيَظْهَرُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيءِ قِطْعَةٌ هِيَ الْهِلَالُ . ثُمَّ يَتَزَايَدُ الانْحِرَافُ وَيَزْدَادُ بِتَزَايُدِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيءِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ كَانَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النِّصْفَ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الأَوَّلِ . حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْمَحِقُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الأَوَّلِ

وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنَبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الاسْتِقْبَالِ تَوَسَّطَ الأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى سَوَادِهِ الأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسِفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ كُلَّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ . وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبِحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ فِي أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسَطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ هُنَاكَ انْتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسَطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتَ ابْتِدَاءِ الْمَدِّ

أَحَسَّ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ ٱنْتِفَاخًا وَتَهِيجُ فِيهَا رِيَاحٌ عَوَاصِفُ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ ٱلْجَزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذٰلِكَ. وَمَنْ كَانَ فِي ٱلشُّطُوطِ وَٱلسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَٱنْتِفَاخًا وَجَرْيًا وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ ٱلْمَاءُ إِلَى ٱلْبَحْرِ. وَٱبْتِدَاءُ قُوَّةِ ٱلْمَدِّ فِي ٱلْبِحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ ٱلْمَاءِ

في المجرّة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وَهِيَ ٱلْبَيَاضُ ٱلَّذِي يُرَى فِي ٱلسَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ ٱلسَّمَاءِ إِلَى زَمَانِنَا هٰذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صِغَارٌ مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱلْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ ٱلنُّجُومِ لِٱجْتِمَاعِ ٱلنُّجُومِ فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ ٱلنُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ ٱلْمَجَرَّةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي ٱلشِّتَاءِ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. وَفِي ٱلصَّيْفِ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فِي وَسَطِ ٱلسَّمَاءِ مُمْتَدَّةً مِنَ ٱلشِّمَالِ إِلَى ٱلْجَنُوبِ. وَبِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحَوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ ٱللَّيْلِ مُمْتَدَّةً مِنَ ٱلْمَشْرِقِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ ٱللَّيْلِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشِّمَالِ...

وَأَمَّا ٱلْكَوَاكِبُ ٱلثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذِهْنُ ٱلْإِنْسَانِ عَنْ ضَبْطِهَا. لٰكِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَٱثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا. ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هٰذَا ٱلْمَجْمُوعِ تِسْعَمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ مِنْهَا ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوَاكِبِهَا. وَهِيَ ٱلصُّورَةُ ٱلَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ ٱلْمِجِسْطِي بَعْضُهَا فِي ٱلنِّصْفِ

الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي طريقة السيارات. وبعضها في النصف الجنوبي. فسمى كل صورة باسم الشيء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء. وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان. وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل. وبعضها على صورة الطير كالعقاب. وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان والسفينة. ووجد من هذه الصور ما لم يكن تام الخلقة مثل الفرس ومنها ما بعضه من صورة حيوان والبعض الآخر من صورة حيوان آخر كالرامي... وإنما ألفوا هذه الصور وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه وذكروا موقعه من الصورة. وموقعه من فلك البروج وبعده من الشمال أو الجنوب عن الدائرة التي تمر بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والطالع في كل وقت

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ من جملة لطف الله بعباده أن أعطى لكل فصل طبعا مغايرا لما قبله في كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدريج. فلو انتقل من الصيف إلى الشتاء دفعة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم في الأبدان. فحسبك ما ترى من تغيير الهواء في يوم واحد من الحر إلى البرد كيف يظهر مقتضاه في الأبدان. فكيف إذا كان مثل هذا التغيير في الفصول. فسبحانه ما أعظم شانه. وأكثر امتنانه

أمَّا ٱلرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ ٱلشَّمْسِ أوَّلَ بُرْجِ ٱلْحَمَلِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱسْتَوَى ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ فِي ٱلْأَقَالِيمِ وَٱعْتَدَلَ ٱلزَّمَانُ . وَطَابَ ٱلْهَوَاءُ وَهَبَّ ٱلنَّسِيمُ . وَذَابَتِ ٱلثُّلُوجُ وَسَالَتِ ٱلْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ ٱلْأَنْهَارُ وَنَبَعَتِ ٱلْعُيُونُ . وَٱرْتَفَعَتِ ٱلرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ ٱلْأَشْجَارِ وَنَبَتَ ٱلْعُشْبُ . وَطَالَ ٱلزَّرْعُ وَتَلَأْلَأَ ٱلزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ ٱلشَّجَرُ وَٱنْفَتَحَ ٱلنَّوْرُ . وَٱخْضَرَّ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ ٱلزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ وَدَبَّ ٱلدَّبِيبُ . وَنُتِجَتِ ٱلْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ ٱلضُّرُوعُ . وَٱنْتَشَرَ ٱلْحَيَوَانُ فِي ٱلْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَّةٌ تَجَلَّتْ وَتَزَيَّنَتْ لِلنَّاظِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ دَأْبُهَا وَدَأْبُ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ٱلشَّمْسُ آخِرَ ٱلْجَوْزَاءِ . فَحِينَئِذٍ ٱنْتَهَى ٱلرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ ٱلصَّيْفُ

وَأَمَّا ٱلصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ ٱلشَّمْسِ أَوَّلَ ٱلسَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَاهَى طُولُ ٱلنَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ ٱللَّيْلُ فِي ٱلزِّيَادَةِ وَدَخَلَ ٱلصَّيْفُ . وَٱشْتَدَّ ٱلْحَرُّ وَسَخُنَ ٱلْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ ٱلثِّمَارُ وَجَفَّتِ ٱلْحُبُوبُ وَقَلَّتِ ٱلْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ ٱلدُّنْيَا وَسَمِنَتِ ٱلْبَهَائِمُ . وَٱشْتَدَّتْ قُوَّةُ ٱلْأَبْدَانِ وَكَثُرَ ٱلرِّيفُ . وَٱنْتَشَرَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ لِعُمُومِ ٱلْخَيْرِ وَكَثُرَتِ ٱلدَّبِيبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ ٱلزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ ٱلسَّمُومُ . وَنَقَصَتِ ٱلْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ ٱلْمِيَاهُ . وَيَبِسَتِ ٱلْعُشْبُ وَأَدْرَكَ ٱلْحَصَادُ . وَدَرَّتِ ٱلْأَخْلَافُ وَٱتَّسَعَ لِلنَّاسِ ٱلْقُوتُ وَلِلطَّيْرِ ٱلْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ ٱلْعَلَفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ ٱلْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدنيا كأنها عروس منعمة بالغة كاملة ذات جمال ورونق . فلا يزال الأمر كذلك أن تبلغ الشمس آخر السنبلة فحينئذٍ أقبل الخريف

وأما الخريف فهو وقت نزول الشمس الميزان فعند ذلك استوى الليل والنهار مرة أخرى . ثم ابتدأ الليل بالزيادة . وكما ذكرنا أن الربيع زمن نشوء الأشجار وبدء النبات وظهور الأزهار فالخريف زمان ذبول النبات وتغيير الأشجار وسقوط أوراقها . فحينئذٍ برد الماء وهبت الشمال . وتغير الزمان ونقصت المياه . وجفت الأنهار وغارت العيون . ويبست أنواع النبات وفنيت الثمار . وأحرز الناس الحب والتمر وعري وجه الأرض من دبيبها . وماتت الهوام وانجحرت الحشرات . وانصرف الطير ويطلب الوحش البلدان الدافئة وأحرز الناس قوت الشتاء ودخلوا البيوت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب . وتغير الهواء وصارت الدنيا كأنها كهلة قد ولت أيام شبابها إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء

وأما الشتاء فهو وقت نزول الشمس أول الجدي فعند ذلك تناهى طول الليل وقصر النهار . ثم أخذ النهار في الزيادة واشتد البرد . وخشن الهواء وتعري الأشجار عن الأوراق . وفنيت بطونها وفات أكثر النبات . وانجحرت الحيوانات في أطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الأنداء . ونشأت الغيوم وأظلم الجو وكلح وجه الزمان . وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان . ومنع

ٱلْبَرْدُ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلتَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشُ أَكْثَرِ ٱلْحَيَوَانِ . وَطَالَ ٱللَّيْلُ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَيَاةِ . وَٱنْقَطَعَ ٱلذُّبَابُ وَٱلْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ ٱلسُّمُومِ مِنَ ٱلْهَوَامِّ . وَيَطِيبُ فِيهِ ٱلْأَكْلُ وَٱلشُّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ ٱلرَّاحَةِ وَٱلِٱسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ ٱلصَّيْفَ زَمَانُ ٱلْكَدِّ وَٱلتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلِ دِمَاغُهُ صَائِفًا لَمْ تَغْلِ قِدْرُهُ شَاتِيًا . وَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا ٱلْمَوْتُ . فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ٱلشَّمْسُ آخِرَ ٱلْحُوتِ وَقَدِ ٱنْتَهَى ٱلشِّتَاءُ وَأَقْبَلَ ٱلرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصلٌ في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَٱلثُّلُوجُ عَلَى ٱلْجَبَلِ تَنْصَبُّ ٱلْأَمْطَارُ إِلَى ٱلْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ ٱلثُّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى ٱلْأَهْوِيَةِ ٱلَّتِي فِي ٱلْجِبَالِ . فَتَبْقَى مَخْزُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ ٱلْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي ٱلشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ مَنَافِذُ ضَيِّقَةٌ تَخْرُجُ ٱلْمِيَاهُ مِنَ ٱلْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ ٱلْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى ٱلْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ كَانَتِ ٱلْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي ٱلْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَيَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا تَنْصَبُّ إِلَى سَفْحِ ٱلْجِبَالِ وَلَا تَنْقَطِعُ مَادَّتُهَا لِوُصُولِ مَدَدِهَا مِنَ ٱلْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ ٱلْخِزَانَاتُ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا ٱلْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْمَدَدِ . وَتَبْقَى ٱلْمِيَاهُ فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي ٱلْأَوْدِيَةِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ . ثُمَّ

تَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَبْتَدِئُ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَتَنْتَهِي إِلَى ٱلْبِحَارِ أَوِ ٱلْبَطَائِحِ . وَفِي مَمَرِّهَا تَسْقِي ٱلْمُدُنَ وَٱلْقُرَى وَمَا فَضَلَ يَنْصَبُّ إِلَى ٱلْبِحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطُفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي ٱلْهَوَاءِ بُخَارًا وَيَتَرَاكَمُ مِنْهُ ٱلْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ ٱلرِّيَاحُ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَٱلْبَرَارِيِّ . وَيَمْطُرُ هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي ٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَنْهَارِ وَيَسْقِي ٱلْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى ٱلْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هٰذَا دَأْبُهُ وَيَدُورُ كَٱلرَّحَا فِي ٱلصَّيْفِ وَٱلشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ أَلْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طِبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ ٱلْغِلَظِ وَٱلتَّمَاسُكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمْكَنَ قَرَارُ ٱلْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَٱلْهَوَاءُ وَٱلْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا ٱلْمِقْدَارَ ٱلْبَارِزَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ ٱلْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي ٱلسَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي ٱلْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ ٱلسَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْبَحْرَ ٱلْمُحِيطَ ٱلْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِئٌ عَلَى ٱلْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ غَائِصَةٍ فِي ٱلْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَاءِ مُحَدَّبُهَا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلْسَاءَ وَلَا مُصْمَتَةً بَلْ كَثِيرَةُ ٱلِٱرْتِفَاعِ وَٱلِٱنْخِفَاضِ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَٱلتِّلَالِ وَٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَهْوِيَةِ وَٱلْكُهُوفِ وَٱلْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلْجَانٌ . وَكُلُّهَا

مُمتلئةٌ مِياهًا وبُخاراتٍ ورُطوباتٍ دُهْنيــةً . وما في الأرضِ موضِعُ شِبْرٍ إلّا وهُناكَ معدِنٌ أو نباتٌ أو حيوانٌ باختلافِ أجناسِها وأنواعِها وصُورِها ومِزاجِها وألوانِها لا يعلمُ تفصيلَها غيرُ اللهِ تعالى وهو صانِعُها ومُدبِّرُها . ما يسقُطُ مِن ورقةٍ إلّا يعلمُها ولا حبّةٌ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا يابسٌ إلّا في كتابٍ مُبِينٍ

وأمّا هيئةُ الأرضِ فقدِ اختلفَ آراءُ القُدماءِ فيها قال بعضُهم : إنّها مبسوطةٌ في التسطيحِ وقال بعضُهم : هي على شكلِ التُّرسِ ولولا ذلِكَ لما ثبتَ عليها بناءٌ ولا مشى عليهــا حيوانٌ . والذي يعتمدُ عليهِ جماهيرُهُم أنَّ الأرضَ مُدوّرةٌ كالكُرةِ . ومِنَ القُدماءِ مِن أصحابِ فِثاغورِس مَن قالَ : إنَّ الأرضَ مُتحرِّكةٌ دائمًا على الاستدارةِ والذي يُرى مِن دورانِ الكواكِبِ إنّما هو دورُ الأرضِ لا دورُ الكواكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زعمــوا أنَّ الشمسَ إذا أشرقتْ على الماءِ حلّلتْ مِنَ الماءِ أجزاءً لطيفةً مائيّةً تُسمّى بُخارًا ومِنَ الأرضِ أجزاءً لطيفةً أرضيّةً تُسمّى دُخانًا . فإذا ارتفعَ البُخارُ والدُّخانُ في الهواءِ وتدافعهما الهواءُ إلى الجهاتِ وتكونُ مِن قُدّامِهِما جِبالٌ شامِخةٌ مانِعةٌ ومِن فوقِها بردُ الزمهريرِ ومِن أسفلِها مادّةُ البُخارِ متّصِلةٌ فلا يزالُ البُخارُ والدُّخانُ يكثُرانِ ويغلُظانِ في الهواءِ وتتداخلُ أجزاءُ بعضِها في بعضٍ حتّى يثخُنَ فيتكوّنَ مِنهــا سحابٌ مُؤلّفٌ مُتراكِمٌ . ثُمَّ إنَّ السّحابَ كُلّما ارتفعَ انضمّتْ أجزاءُ البُخارِ

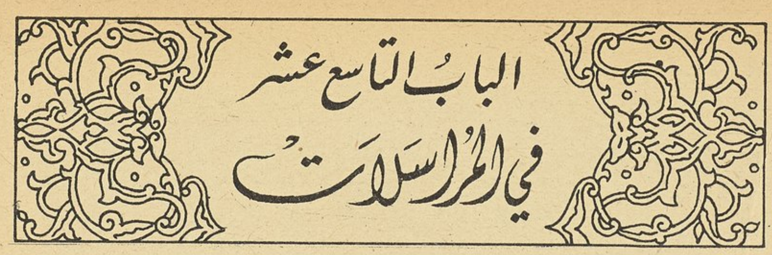
ثُمَّ تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا. فَثَقُلَتْ وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ. فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذٰلِكَ ٱلْبُخَارِ بِٱللَّيْلِ وَٱلْهَوَاءُ شَدِيدُ ٱلْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ ٱلصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا. وَإِنْ كَانَ ٱلْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ ٱلْبُخَارَ فِي ٱلْغَيْمِ وَكَانَ ذٰلِكَ ثَلْجًا لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُجْمِدُ ٱلْأَجْزَاءَ ٱلْمَائِيَّةَ وَتَخْتَلِطُ بِٱلْأَجْزَاءِ ٱلْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِٱلرِّفْقِ فَلِذٰلِكَ لَا يَكُونُ لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَٱلْبَرَدِ. وَإِنْ كَانَ ٱلْهَوَاءُ دَافِئًا ٱرْتَفَعَ ٱلْبُخَارُ فِي ٱلْغُيُومِ وَتَرَاكَمَ ٱلسُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ وَٱلْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ مَنْدُوفٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ ٱلزَّمْهَرِيرِ مِنْ فَوْقٍ غَلُظَ ٱلْبُخَارُ وَصَارَ مَاءً وَٱنْضَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا. وَعَرَضَ لَهَا ٱلثِّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ سَمْكِ ٱلسَّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْقَطَرَاتُ ٱلصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرَدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ ٱلْأَرْضَ. وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ ٱلْأَبْخِرَةُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ ٱلْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يَنْجَمِدْ نَزَلَ طَلًّا وَإِنِ ٱنْجَمَدَ نَزَلَ صَقِيعًا

في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ حَلَّلَتْ مِنْهَا أَجْزَاءً نَارِيَّةً تُخَالِطُهَا أَجْزَاءٌ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذٰلِكَ ٱلْمَجْمُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ ٱلدُّخَانُ يُمَازِجُهُ ٱلْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى ٱلطَّبَقَةِ ٱلْبَارِدَةِ مِنَ ٱلْهَوَاءِ. فَيَنْعَقِدُ

ٱلْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَبِسُ ٱلدُّخَانُ فِيهِ • فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ ٱلصُّعُودَ وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ ٱلنُّزُولَ • وَأَمَّا مَا كَانَ يُمَزِّقُ ٱلسَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنِيفًا فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ ٱلْمُحَاكَّةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلْبَرْقُ إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَٱلصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتُحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ فَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلْحَدِيدَ عَلَى ٱلْبَابِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخَشَبَةَ وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلذَّهَبَ فِي ٱلْخِرْنَةِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْجَبَلِ فَتَشُقُّهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْمَاءِ فَيَحْرِقُ فِيهِ حَيَوَانَهُ • وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعْدَ وَٱلْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا لٰكِنْ تَرَى ٱلْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ ٱلرَّعْدَ وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلرُّؤْيَةَ تَحْصُلُ بِمُحَاذَاةِ ٱلنَّظَرِ وَأَمَّا ٱلسَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُصُولِ ٱلصَّوْتِ إِلَى ٱلصِّمَاخِ وَذٰلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ ٱلْهَوَاءِ • وَذَهَابُ ٱلنَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ ٱلصَّوْتِ • أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْقَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ ٱلثَّوْبَ عَلَى ٱلْحَجَرِ فَإِنَّ ٱلنَّظَرَ يَرَى ضَرْبَ ٱلثَّوْبِ عَلَى ٱلْحَجَرِ • ثُمَّ ٱلسَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِزَمَانٍ • وَٱلرَّعْدُ وَٱلْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي ٱلشِّتَاءِ لِقِلَّةِ ٱلْبُخَارِ ٱلدُّخَانِيِّ • وَلِهٰذَا لَا يُوجَدَانِ فِي ٱلْبِلَادِ ٱلْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ ٱلثَّلْجِ لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُطْفِئُ ٱلْبُخَارَ ٱلدُّخَانِيَّ • وَٱلْبَرْقُ ٱلْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ ٱلْغَمَامِ • فَإِنَّهَا إِذَا تَكَاثَفَتِ ٱنْحَصَرَ ٱلْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا ٱحْتَبَسَ ٱلْمَاءُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرْيًا شَدِيدًا (كُلُّهُ من عجائب المخلوقات للقزويني)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسبَّبة عن الكهربائيَّة وقد أتوا على شرح ذلك في كتبهم



فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحقق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ(١٢٥٢م)

٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ نَزَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَالِكَهَا إِلَى طَاعَتِنَا فَأَبَى. فَحَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَأُسَلِّطَنَّ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. وَٱلْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ. وَٱلسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَلَّطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنِعْمَتْ. وَإِلَّا فَٱعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ٱلْخَرَابَ وَٱلْقَحْطَ وَٱلْوَبَاءَ. وَإِثْمُ كُلِّ ذٰلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن زكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ ٱلْمَهْدِيِّ ٱلْمَنْصُورِ ٱلنَّاصِرِ لِدِينِ ٱللهِ ٱلْقَائِمِ بِأَمْرِ ٱللهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حُمَيْدٍ ٱلْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أُنْهِيَ إِلَيْنَا مَا حَدَثَ قِبَلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ ٱللهِ ٱلْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنْ

ٱلظُّلْمِ وَٱلْعَبَثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ. فَأَعْظَمْنَا ذٰلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا ٱللّٰهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا ٱلظَّالِمِينَ ٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا. فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ حِمْصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي ٱلْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ أَعْدَاءِ ٱللّٰهِ حَيْثُ كَانُوا. وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْرِيَنَا ٱللّٰهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَثِيقًا بِٱللّٰهِ وَبِنَصْرِهِ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعَوِّدُنَا فِي كُلِّ مَنْ مَرَقَ مِنَ ٱلطَّاعَةِ وَٱنْحَرَفَ عَنِ ٱلْإِيمَانِ. وَتُبَادِرُ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ ٱلنَّاحِيَةِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا. سُبْحَانَكَ ٱللّٰهُمَّ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَ هٰذَا ٱلْمَكْتُوبُ ٱلْعَلِيُّ ٱلْإِمَامِيُّ عَنِ ٱلْأَمْرِ ٱلْعَلَوِيِّ ٱلَّذِي دَانَتْ لِطَاعَتِهِ ٱلْكَرِيمَةِ مَمَالِكُهُ ٱلْإِسْلَامِيَّةُ. وَٱنْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلْأَقْطَارُ ٱلْمَغْرِبِيَّةُ. وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ ٱلْعَلِيَّةِ جَبَابِرَةُ ٱلْمُلُوكِ ٱلسُّودَانِيَّةِ. وَأَقْطَارُهَا ٱلْقَاصِيَةُ وَٱلدَّانِيَةُ. إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ وَٱلْمِلَلِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ ٱلرُّتْبَةُ ٱلْعَالِيَةُ وَٱلْمَنْزِلَةُ ٱلرَّفِيعَةُ ٱلسَّامِيَةُ. سُلْطَانِ فَرَانْصَةَ لُوِيزَ ٱبْنِ ٱلسَّلَاطِينِ ٱلَّذِينَ لَهُمُ ٱلْمَكَانَةُ ٱلسَّامِيَةُ ٱلْمَنَارِ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللّٰهِ مَوْلَى ٱلْحَمْدِ وَمُسْتَحِقِّهِ فَكِتَابُنَا هٰذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا ٱلْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَّاهُ لِأَيَالَتِنَا ٱلشَّرِيفَةِ مِنْ عَوَائِدِ

النصر والإقبال. وصنائع الله الجميلة المفعمة السجال. المتتالة في البكر والآصال. لله المنة والشكر. هذا موجبه إليكم التعريف أنه لما ورد خديمكم المرعي الملحوظ الرزيلي على مرسى ثغر أسفي المحروس بالله وأسلم كتابكم المصحوب معه لخدامنا الذين بالثغر بادروا بوصوله إلينا في الفور. فوقفنا منه على جميع ما أودعتم فيه من تقرير المحبة وتأسيس المهدنة بين الجانبين. إلى ما أشرتم إليه في شأن الأسارى الفرانصيين الذين رغبت من مقامنا العلي تسريحهم. فأخذنا في ذلك أتم الأخذ وأكمله. إلى أن استوفي ذلك على أحسن وجه وأجمله. وأجبناكم عن فصول كتابكم كلها فوجهنا به وبالنصارى المذكورين صحبة خديمنا الوجيه الأثير النبيل النبيه القائد يحيى بن محمد الجناتي. قصد أن يلتقي مع خديمكم المذكور إن تأتى له الاجتماع معه في البر. وإن تعذر عليه ذلك يبعث لخديمنا من يقوم مقامه ممن هو مثله وبمثابته في أعراضكم ليسلم له النصارى المذكورين ويتكلم معه في أغراض الجانبين. ثم إن خديمنا المذكور لما بلغ ثغر أسف فقد خديمكم من المرسى فسأل عنه فقيل له: قد أقلع منذ أربعة أيام. فاقتص بعض الخدام أثره في البحر فلم يجد له أثرا. هذا وقد كان خديمكم على علم ويمين أن خديمنا المذكور قادم إليه وفي أثناء الطريق فقلق قبل وصوله. والخديم الذي يكون بصدد أغراض ضيفه لا يستفزه شيء عن قضائها ولا ينبغي له الانزعاج قبل استيفائها. فعرفناكم بالواقع.

لِتُوقِنُوا أَنَّنَا لَمْ نُقَصِّرْ فِي أَغْرَاضِكُمُ ٱلْمُتَلَقَّاةِ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ ٱلْكَتْبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعِ ٱلنَّبَوِيِّ سَنَةَ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراكش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ . عَنْ أَمْرِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَّاكُش وَفَاسٍ وَكَافَّةِ ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمَغْرِبِيَّةِ خَلَّدَ ٱللهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوَّهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ ٱلسَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدْرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ ٱلْإِفْرَنْصِيصِ ٱلْمُتَوَلِّي أَمْرَهُمْ ٱلرِّيِّ لُوِيزَ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ مِنِ ٱسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا ٱلْعَلِيَّةِ بِاللهِ كِتَابُكَ ٱلَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي عَشَرَ مِنْ مَايَةَ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ٱلْمُتَضَمِّنُ ٱلْإِخْبَارَ بِمَوْتِ جَدِّكَ ٱلرِّيِّ لُوِيزَ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُونْصُوكُمْ بَرْطَلْمِي دِبُطْنِيرَ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيزُ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي جَانِبِنَا ٱلْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ ٱلسِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ رَعِيَّتُكَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سُفُنًا مِنْ سُفُنِ ٱلْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا ٱلْمُبَارَكَةِ فِي ٱلصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَنْ سَلِمَ مِنَ ٱلْغَرَقِ مِنَ ٱلنَّصَارَى فِي أَيْدِي ٱلْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَغَنَا ذَلِكَ سَيَّرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا لِلصَّحْرَاءِ لِنُوَجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعْيًا لِلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ ٱلْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِيمُنَا ٱلْمَذْكُورُ لَا تُبْطِؤُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجِّهُوهُ إِلَيْنَا عَزْمًا بَعْدَ قَضَاءِ ٱلْغَرَضِ ٱلَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ . ٱنْتَهَى . صَدَرَ ٱلْأَمْرُ بِكَتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مِكْنَاسَةِ ٱلزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ جُمَادَى ٱلثَّانِيَةِ عَامَ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبٌّ إِلَيْكَ سَامِي ٱلطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي . وَٱسْمُكَ حُلْوٌ عَلَى لَهَوَاتِي وَشَخْصُكَ مَاثِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ . وَأَنْتَ أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَآخَذُهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى ٱلِٱنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ ٱلنَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديقٍ لهُ يدعوهُ الى مأدبةٍ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَأْدُبَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ حُسْنًا قَدْ بَاتَتِ ٱلسَّمَاءُ تَعُلُّهَا فَهِيَ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا . حَالِيَةٌ بِنُوَّارِهَا . فَرَأْيُكَ فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنَ ٱسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ): هٰذِهْ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي ٱلْأَطْرَافِ لَوَجَبَ ٱنْتِجَاعُهَا وَحَثُّ ٱلْمَطِيِّ فِي ٱبْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ وَتَجْمَعُ إِلَى أَنِيقِ مَنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شَمَائِلِكَ. وَأَنَا ٱلْجَوَابُ

٣٥٧ كَتَبَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا مَحَبَّتُهَا. وَٱلصِّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ مِنْ تَرَاخٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ تَخَلُّفٍ فِي مُكَاتَبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ ٱلْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابرهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ أَلشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا ٱلَّتِي حَسُنَتْ كَأَنَّهَا أَعْيَادٌ. وَقَصُرَتْ كَأَنَّهَا سَاعَاتٌ لِفَوْتِ ٱلصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكْثِرُ دَوَاعِيَهُ تَصَاقُبُ ٱلدِّيَارِ وَقُرْبُ ٱلْجِوَارِ. تَمَّمَ ٱللهُ لَنَا ٱلنِّعْمَةَ ٱلْمُجَدَّدَةَ فِيكَ بِٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْغُرَّةِ ٱلْمُبَارَكَةِ ٱلَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أُنْسَ بَعْدَهَا (لابن عبد ربّه)

٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ ٱلْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى ٱلظَّمَأَ بِفُرْقَتِكَ ٱسْتَوْجَبَ ٱلرِّيَّ مِنْ رُؤْيَتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتُوقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَتِكَ وَيُؤْنِسُنِي إِلَى حِينِ لِقَائِكَ فَعَلْتَ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَكَ وَعْدًا يَعْتَرِضُ دُونَ ٱلْوَفَاءِ بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونَ ٱلْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ ٱلْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكَتَبَ فِي بَابِهِ): يَوْمُنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتِ ٱلسَّمَاءُ بِقِطَارِهَا. فَحَلَّتِ ٱلْأَرْضُ بِأَنْوَارِهَا. وَبِكَ تَطِيبُ ٱلشَّمُولُ وَيُشْفَى ٱلْغَلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَّقْتَ شَمْلَنَا. وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بعضُهم إِلَى أمِيرٍ: ضَعْنِي أكْرَمَكَ ٱللهُ مِن نَفسِكَ حيثُ وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ. أصابَ ٱللهُ بِمَعْرُوفِكَ مواضِعَهُ وَبَسَطَ بِكُلِّ خَيْرٍ يدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ. وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ. وَذٰلِكَ ٱلَّذِي عَوَّدَكَ ٱللهُ فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّمَ نِعْمَتَكَ. وَأَدَامَ بِكَ ٱلْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ ٱلشَّرَّ. هٰذِهِ رُقْعَةُ ٱلْوَالِهِ ٱلَّتِي تَرْجُوكَ فِي ٱلْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ. وَفِي ٱلْمَمَاتِ لِجَمِيلِ ٱلذِّكْرِ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَٱسْتِكَانَتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَأَنْ تَصِلَ رَحِمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ ٱللهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَٱفْعَلْ. وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلمّا وقف المأمون عليها بكى على أخيهِ الأمين ورقَّ لها وكتب اليها الجواب:)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكِ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكِ ٱللهُ وَتَوَلَّاكِ بِٱلرِّعَايَةِ) وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا. سَاءَنِي شَهِدَ ٱللهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتِهِ فِيهَا. لٰكِنِ ٱلْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ وَٱلْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَٱلْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَٱلْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا. وَٱلدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ. وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ وَٱلْغَدْرُ وَٱلْبَغْيُ حَتْفُ ٱلْإِنْسَانِ وَٱلْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ. وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أُخِذَ لَكِ. وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ ٱللهِ إِلَّا وَجْهَهُ وَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ لَكِ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَٱلسَّلَامُ

ثم أمر بردّ ضياعها وجميع ما أُخِذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في لهدايا

كتب رجلٌ الى المتوكل وقد اهدى اليهِ قارورةً من دهن الأُترُجّ:

٣٦٤ إِنَّ ٱلْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ ٱلصَّغِيرِ إِلَى ٱلْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ ٱلْكَبِيرِ إِلَى ٱلصَّغِيرِ كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَّرَتْ بِي هِمَّةٌ أَصَارَتْنِي إِلَيْكَ وَلَا أَحْرِيَ إِرْشَادٌ دَلَّنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ:

مَا قَصَّرَتْ هِمَّةٌ بَلَغَتْ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا ٱلنَّدَاءِ وَٱلْكَرَمِ
حَسْبِي بِوِدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ ٱلْأُمَمِ

٣٦٥ كتب احمد بن ابي طاهر مع هديةٍ:

مِنْ سُنَّةِ ٱلْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ ٱلدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ ٱلْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ ٱلدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أُهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أُهْدِ نَفْسِي فَهْيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أُهْدِ مَالِي فَهْوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ وَٱلْمَدْحُ ٱلَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفاحةً لهُ وكتبت اليهِ:

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ٱلْهَدَايَا إِلَيْكَ وَتَوَاتُرَ أَلْطَافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُّ مَؤُونَتُهَا وَتَهُونُ كُلْفَتُهَا وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هٰذَا ٱلنَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هٰذَا ٱلْوَصْفُ إِلَّا ٱلتُّفَّاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي ٱلْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي ٱلتَّقَرُّبِ. وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا. وَمَا قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ ٱلشُّعَرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بِعَيْنِ ٱلْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُقْلَةِ ٱلصِّيَانَةِ. فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ ٱلرَّشِيدُ: أَحْسَنُ ٱلْفَاكِهَةِ ٱلتُّفَّاحُ ٱجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ ٱلْفِضَّةِ وَلَوْنُ ٱلتِّبْرِ. يَلَذُّ بِهَا مِنَ ٱلْحَوَاسِّ ٱلْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَٱلْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَٱلْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان:

٣٦٧ هٰذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا ٱلْعَادَةُ بِإِلْطَافِ ٱلْعَبِيدِ لِلسَّادَةِ. وَإِنْ كَانَتِ ٱلصِّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ ٱلْهِمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُهْدِيَ فَلَا أَبْلُغَ مِقْدَارَ ٱلْوَاجِبِ. فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ وَهِيَ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي ٱلتَّصَابِي ... تَبَارَوْا فِي هَدَايَا ٱلْمِهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وِدًّا مُقِيمًا ... عَلَى مَرِّ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تُكْرِمُهُ ذَلِيلًا ... وَلٰكِنْ لَا يَعِزُّ عَلَى ٱلْهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا ... وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِٱلْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشّر الطبيب النصراني يهنئهُ ببرئهِ من مرضهِ

٣٦٨ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبٍ سَلَّمَهُ ٱللهُ سَلَامُ ٱللهِ ٱلطَّيِّبُ وَأَتَمُّ ٱلنِّعْمَةِ عَلَيْهِ. وَصَلَتْ إِلَيْنَا ٱلْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ ٱللهُ مِنْ عَافِيَةِ ٱلطَّبِيبِ

وبرّه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا أقالك الله العثرة . وأعادك إلى أفضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته (لابي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إذا سرت فلا تعنف على أصحابك في السير ولا تغضب قومك وشاورهم في الأمر . واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور . فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم . وإذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذٍ دبره إلّا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد باء بغضبٍ من الله . وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا ولا امرأة ولا طفلًا . ولا تقربوا نخلًا ولا تحرقوا زرعًا . ولا تقطعوا شجرًا مثمرًا . ولا تعقروا بهيمة إلّا بهيمة المأكول . ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم . وستمرون على أقوام في الصوامع رهبان ترهبوا لله فدعوهم وما انفردوا إليه وارتضوه لأنفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم والسلام (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أمّا بعد فإنه من اتقى الله وقاه . ومن توكل عليه كفاه ومن شكر له زاده . ومن أقرضه جزاه . فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء

بَصرِكَ . فإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ (للقيرواني)

كتاب عُمر بن الخطَّاب الى عتبة بن غَزوان عاملهِ على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفُذُ أَمْرُكَ . فَيَالَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوقَ قَدْرِكَ وَتُطْغِيكَ عَلى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرِسْ مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنِ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ سَقْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْثُرَ عَثْرَةً لَا لَعًا لَهَا (أَيْ لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عُمر الى سعد بن ابي وقَّاص ومن معهُ من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللهِ عَلى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنِ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ . وَإِلَّا نُنْصَرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللهَ ذٰلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمْهُمْ مَسِيرًا يُتْعِبُهُمْ . وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

قوّتهم فإنّهم سائرون إلى عدوّ مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم بمن معك في كلّ جمعة يوماً وليلة . حتّى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمّة فلا يدخلها من أصحابك إلّا من تثق بدينه . وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنّ إلى نصحه وصدقه . فإنّ الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه . وليكن منك عند دنوّك من أرض العدوّ أن تكثّر الطلائع وتبثّ السرايا بينك وبينهم . ثمّ أذك أحراسك على عسكرك وتيقّظ من البيات جهدك . والله وليّ أمرك ومن معك ووليّ النصر لكم على عدوّكم . والله المستعان

فصول في الذم

فصل لاحمد بن يوسف

٣٧٣ أمّا بعد فإنّي لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه إليك . فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور . وإنّما غايتك في المعروف أن تحقره . وفي وليّه أن تكفره

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أمّا بعد فإنّي توسّلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل وذرائع الحمد فراراً من الفقر ورجاء للغنى وازددت بهما بعداً ممّا فيه تقرّبت وقرباً ممّا فيه تبعّدت . وقد قسمت اللائمة بيني وبينك لأنّي أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي . أمرت باليأس من

أَهْلِ ٱلْبُخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنُهِيتُ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فَمَنَعْتُهُمْ

فصل لابرهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنَّ مَوَدَّةَ ٱلْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِٱلذِّلَّةِ وَٱلصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُصْرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِٱلْمَحَلِّ ٱلنَّفِيسِ وَأُنْزِلُهَا بِٱلْمَنْزِلِ ٱلرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ ٱلضَّعَةِ وَضَرَعَتَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَتَغَيُّرَكَ عِنْدَ ٱلْاُسْتِغْنَاءِ وَاُطِّرَاحَكَ لِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ . فَكَانَ ذٰلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوًى وَلَا تَرَى ٱلْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي ٱلشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . اُبْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَآيَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقَمْنَا عَلَى ٱئْتِلَافٍ . وَاُفْتَرَقْنَا عَلَى ٱخْتِلَافٍ

وله ايضًا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتِ ٱلشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَاُحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . وَلٰكِنَّ ٱلثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ . وَٱللّٰهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبّر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ ٱلْمُفْتَتَحُ بِٱلْعِتَابِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّقْرِيعِ ٱللَّطِيفِ فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ ٱلَّذِي لَطُفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ ٱلرِّقَّةِ وَٱلْفِطْنَةِ. وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبَلَهِ. فَلَا أَعْدَمَنِي ٱللهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى مَا ٱسْتَحَقَّهُ عَتْبُكَ. فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِيَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديهِ:

٣٧٩ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِٱلصَّيْدِ وَإِدْمَانِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ

فلما قرأهُ الرشيد رمى بهِ الى يحيى وقال لهُ: يا أبي إقرأ هذا الكتاب واكتب اليهِ بما يردعهُ عن هذا. فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد:

حَفِظَكَ ٱللهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ. قَدِ ٱنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدْ مَا هُوَ أَزْيَنُ بِكَ. فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَٱلسَّلَامُ (لابن خلّكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابرهيم بن المهديّ

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ ٱلْخِلَافَةِ بِغَيْرِ كَلَامِ ٱلْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا. غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلُ ٱلْهَوَى وَٱلرَّأْيِ لِلنَّاكِثِ ٱلْمَخْلُوعِ. فَإِنْ كَانَ كَمَا بَلَغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ لَكَ. وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذٰلِكَ فَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ

وبركاته. وقد كتبت في أسفل كتابي أبياتا فتدبرها:

رُكوبكَ الهولَ ما لم تلقَ فرصتهُ جهلٌ رمى بكَ بالإقحامِ تغريرُ
أهونْ بدنيا يصيبُ المخطئونَ بها حظَّ المصيبينَ والمغرورُ مغرورُ
فازرعْ صواباً وخذْ بالحزمِ حيطتهُ فلنْ يذمَّ لأهلِ الحزمِ تدبيرُ
فإنْ ظفرتَ مصيباً أوْ هلكتَ بهِ فأنتَ عندَ ذوي الألبابِ معذورُ
وإنْ ظفرتَ على جهلٍ ففزتَ بهِ قالوا جهولٌ أعانتهُ المقاديرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إنكَ لزمتَ منَ الوفاءِ طريقةً محمودةً وعرفتَ مناقبها وشهرتَ بمحاسنها. فتنافسَ الإخوانُ فيكَ يبتدرونَ ودكَ ويتمسكونَ بحبلكَ. فمنْ أثبتَ لهُ عندكَ وداً وضعَ حلّتهُ موضعَ حرزِها

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر:

٣٨٢ إنَّ جميعَ أكفائكَ ونظرائكَ يتنازعونَ الفضلَ فإذا انتهوا إليكَ أقروا لكَ. ويتنافسونَ المنازلَ فإذا بلغوكَ وقفوا دونكَ. فزادكَ اللهُ وزادنا بكَ وفيكَ. وجعلنا ممنْ يقبلهُ رأيكَ. ويقدمهُ اختياركَ. ويقعُ منَ الأمورِ بموقعِ بموافقتكَ. ويجري فيها على سبيلِ طاعتكَ. (وله). إنَّ مما يطمعني في بقاءِ النعمةِ عندكَ ويزيدني بصيرةً في العلمِ بدوامِها لديكَ أنكَ أخذتَها بحقها واستوجبتَها بما فيكَ منْ أسبابِها. ومنْ شأنِ الأجناسِ أنْ تتألفَ. وشأنِ الأشكالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلْقَلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَحِنُّ إِلَى عُنْصُرِهِ. فَإِذَا صَادَفَ مَنْبِتَهُ وَنَزَلَ فِي مَغْرِسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ. وَتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ الإِقَامَةِ وَتَفَتَّكَ تَفَتُّكَ الطَّبِيعَةِ

فصل لهُ ايضاً

٣٨٣ أَلسَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ اسْتَغْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرِنْدُهُ لِلِينِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ. وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا. (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ. وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ. (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ:

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا ... أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرْ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ ... وَهْوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرْ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَسْدُودِ بِهِ ثُلْمُهُمُ الْمُجَدَّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ. وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمُلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثَهُ. وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ سَبِيلِهِ. وَلَا انْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ فِيكَ. وَإِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي ٱللهِ ٱلْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَٱلْخَلَفُ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ ٱللهِ تَنْقَطِعْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ يَعْقُبُهُ ٱلْأَجْرُ وَٱلْجَزَعُ يَعْقُبُهُ ٱلْهَلَعُ . فَتَمَسَّكْ بِحَظِّكَ مِنَ ٱلصَّبْرِ تَنَلْ بِهِ ٱلَّذِي تَطْلُبُ وَتُدْرِكْ بِهِ ٱلَّذِي تَأْمُلُ (لابن عبد ربّه)

كتب ابن السمّاك الى هارون الرشيد يعزّيه بولدٍ :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ فَٱفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرَضِيتَ ٱلدَّارَ لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِٱبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ ٱلْكَدَرِ وَبَقِيتَ أَنْتَ مُتَعَلِّقًا بِٱلْخَطَرِ وَٱلسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزّى شبيب بن شبّة المنصور على اخيهِ ابي العبّاس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ ٱللهُ ثَوَابَ مَا رُزِئْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَخَتَمَ ذٰلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ ٱللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ ٱللهُ فِي ٱلِٱغْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ ٱلْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ ٱجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْلَمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفُ ٱلْعِنَايَةِ إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخُصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هٰذَا ٱلْبَابِ) : إِنَّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ . فَلَوْ قُلْتَ إِنَّ ٱلْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذٰلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ ٱلْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ ٱلْأَثَرُ وَأَفْضَلُ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

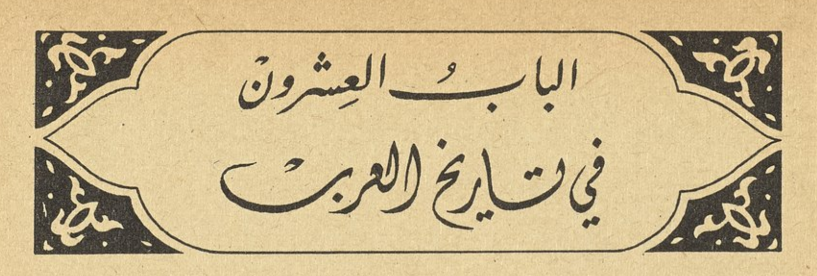
فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي بابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هٰذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ ٱلْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أُقَصِّرُ فِي ٱلشُّكْرِ عَلَيْهَا . وَٱبْنُ أَبِي ٱلشِّيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَٱكْتَفِ بِهٰذَا مِنَّا . (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابُ مَعْنِيٍّ بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاثِقٍ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ ٱلثِّقَةِ وَٱلْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدِ ٱسْتَغْنَى بِٱصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِي إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ . فَإِنَّ ٱلصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَبَسَطَ ٱللهُ يَدَكَ بِٱلْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : مُوصِلُ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهَدَتِي وَخَلَّتِي . فَلِسَانُهُ أَشْكَرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)



نظر في امّة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إعلم أنّ العرب منهم الأمّة الراحلة الناجعة. الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم. يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها. ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها. ويحملون أثقالهم على ظهورها. يتنازلون حللًا مفترقة ويبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص وتخطّف الناس من السُّبل. ويتقلّبون دائمًا في المجالات فرارًا من حمارة القيظ تارة وصبارّة البرد أخرى. وانتجاعًا لمراعي غنمهم. وارتيادًا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل أثقالهم ودفئهم ومنافعهم فاختصّوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث. فعمروا اليمن والحجاز ونجدًا وتهامة وما وراء ذلك لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلإ والعشب في منابتها والتنقّل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدّة الأقوات في سنتهم من حبوبها. وربّما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرّات من ضرارهم بإفساد السابلة ورعي الزرع مخضرًّا وانتهابه قائمًا وحصيدًا. لا ما حاطته الدولة وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم

فِيهَا • ثُمَّ يَنْحَدِرُونَ فِي فَصْلِ ٱلْخَرِيفِ إِلَى ٱلْقِفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا • وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ وَظَعَائِنِهِمْ مِنْ أَذَى ٱلْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا • فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ ٱلرِّيفِ وَٱلصَّحْرَاءِ مَا بَيْنَ ٱلْإِقْلِيمِ ٱلثَّالِثِ وَٱلرَّابِعِ صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِّ ٱلْأَيَّامِ • شِعَارُهُمْ لُبْسُ ٱلْمَخِيطِ فِي ٱلْغَالِبِ وَلُبْسُ ٱلْعَمَائِمِ تِيجَانًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ • لُقِّنُوا مِنْ أُمَمِ ٱلْبَرْبَرِ فِي حَمْلِ ٱلسِّلَاحِ ٱعْتِقَالَ ٱلرِّمَاحِ ٱلْخَطِّيَّةِ وَهَجَرُوا تَنَكُّبَ ٱلْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ ٱلْمُطَرِّزِيُّ : ٱخْتُلِفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ ٱسْمَهُمْ ٱشْتُقَّ مِنَ ٱلْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ ٱلرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ • وَٱلْأَصَحُّ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةَ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةَ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِٱللهِ وَشَرَائِعِ ٱلدِّينِ وَٱلْكِبْرِ وَٱلتَّجَبُّرِ • وَقَدْ قَسَمَ ٱلْمُؤَرِّخُونَ ٱلْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَارِبَةٍ وَمُتَعَرِّبَةٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ • أَمَّا ٱلْعَارِبَةُ فَهُمُ ٱلْعَرَبُ ٱلْأُوَلُ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنَّا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ • وَأَمَّا ٱلْعَرَبُ ٱلْمُتَعَرِّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ • وَأَمَّا ٱلْعَرَبُ ٱلْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمْ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاوّل

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمُ ٱلْأُولَى • وَقَدْ نُسَمِّي هٰذَا ٱلْجِيلَ ٱلْعَرَبَ ٱلْبَائِدَةَ بِمَعْنَى ٱلْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم. وقد سمي أهل هذا الجيل العاربة إما بمعنى الرساخة بالعروبية كما يقال ليل أليل وصوم صائم أو بمعنى القاعاة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها

وأما بنو عاد فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر وكان أبوهم عاد أول ملك من العرب. وذكر المسعودي: أن الذي ملك منهم من بعد عاد شداد. وهو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق. ولما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام والأوثان أبادهم الله وهلكوا عن أقصاهم

وأما ثمود فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال وكانوا أهل كفر وبغي. فأنذرهم بعض الأنبياء فلم يصيخوا إلى دعائه. فهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض ودرجوا في الغابرين

وأما جديس وطسم فكانت ديارهم اليمامة وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها ثمارا وحدائق وقصورا. وكان ملك طسم غشوما مضارا لجديس مستذلا لهم حتى قام الأسود وقتله غيلة

وأما جرهم الأولى فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية فكانوا على عهد عاد ولتقادم انقراضهم ذهبت عنا حقائق أخبارهم وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم. وأما جرهم الثانية

فليسوا من البائدة بل هم من ولد قحطان وبهم اتّصل إسماعيل بن إبرهيم

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وسُمّي هذا الجيل العرب المتعرّبة لنزولهم بالبادية مع العرب العاربة وتخلّقهم بأخلاقهم . وهم بنو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام . وقحطان هذا معرّب يقطان وكان أوّل من ملك أرض اليمن ولبس التاج (٢٠٣٠ قبل المسيح) وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم . ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة الملك وترفّهه الذي كان لأولئك فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنضارة . فتشعّبت في أرض الفضاء فصائلهم وتعدّد في جوّ القفر أفخاذهم وعشائرهم . ونمى عددهم وكثرت إخوانهم من العمالقة في آخر جيلهم . وزاحموهم بمناكبهم واستجدّوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزّهم . وكانت الدولة لبني قحطان متّصلة فيهم (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب ويُسمّى يمنًا وبه سُمّيت اليمن وهو أوّل من حيّاه ولده بالتحيّة : أبيت اللعن وأنعم صباحًا . وقيل إنّه أوّل من نطق بالعربيّة . قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ :

تعلّمتم من منطق الشيخ يعربٍ أبينا فصرتم معربين ذوي نفرِ
وكنتم قديمًا ما لكم غير عجمةٍ كلام وكنتم كالبهائم في القفرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَعْرُبَ ٱبْنُهُ يَشْجُبُ. وَكَانَ وَاهِيَ ٱلْعَزِيمَةِ وَٱسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلْمَمَالِكِ. وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱلشَّمْسِ وَأَكْثَرَ ٱلْغَزْوَ فِي أَقْطَارِ ٱلْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَأً. وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ وَمِنْ مُدُنِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (للنويري وابن الاثير)

سدّ مارب وتفرع بني سبا

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِٱلصَّخْرِ وَٱلْقَارِ فَحَقَنَ بِهِ مَاءَ ٱلْعُيُونِ وَٱلْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ. وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلْعَرِمَ وَمَاتَ قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَّاتِهِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشِّمَالِ. وَدَوْلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدًا وَأَظْهَرُ. فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ ٱلسَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَّاتِهِمْ وَخَرِبَتْ أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ. وَكَانَ هٰؤُلَاءِ ٱلتَّبَابِعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْبِطْهُمُ ٱلْحَصْرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ مِنْهُمُ ٱلشَّوَارِدُ. وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ ٱلْيَمَنِ إِلَى مَا بَعُدَ عَنْهُمْ مِنَ ٱلْعِرَاقِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلْمَغْرِبِ. فَٱخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ ٱللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ. فَلْنَأْتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ ٱلِٱسْتِطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ ٱلْفِكْرِ وَٱقْتِفَاءِ ٱلتَّقَالِيدِ ٱلْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَٱلْأُصُولِ ٱلْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ ٱلْوُقُوفِ عَلَى أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ. وَكَانَ لِسَبَإٍ مِنَ ٱلْوَلَدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ حِمْيَرُ وَعَمْرٌو وَكَهْلَانُ فَيُعْزَى ٱلتَّبَابِعَةُ إِلَى حِمْيَرَ وَٱلْمَنَاذِرَةُ إِلَى عَمْرٍو وَيَنْتَمِي

ٱلْغَسَاسِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ ٠ وَسَنُورِدُ بِٱلتَّلْخِيصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشدّاد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ ٱلْمَسْعُودِيُّ: قِيلَ لِمُلُوكِ ٱلْيَمَنِ تَبَابِعَةٌ لِأَنَّهُ يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ ٠ وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ ٱلْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتُبَّعٍ حَتَّى يَمْلِكَ ٱلْيَمَنَ وَٱلشِّحْرَ وَحَضْرَمُوتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تُبَّعٌ ٠ وَأَمَّا حِمْيَرُ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْعَرَنْجَجِ (١٤٣٠ ق م) ٠ وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَّجَ بِٱلذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ ٱلْيَمَنِ إِلَى ٱلْحِجَازِ ٠ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ وَائِلٌ ٠ وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى ٱلْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ ٱلْأَمْرُ إِلَى شَدَّادٍ فَغَزَا ٱلْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَبَنَى ٱلْمَدَائِنَ وَٱلْمَصَانِعَ وَأَبْقَى ٱلْآثَارَ ٱلْعَظِيمَةَ ٠ ثُمَّ ٱضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حِمْيَرَ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي ٱلْحَارِثِ وَهُوَ تُبَّعٌ ٱلْأَوَّلُ وَفِي بَنِيهِ ٱلتَّبَابِعَةِ ٠ وَقَدْ لُقِّبَ ٱلْحَارِثُ بِٱلرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَاشَ ٱلنَّاسَ بِٱلْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ ٱلسَّلَبِ وَٱلْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذي الاذعار وشرحبيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةُ ذُو ٱلْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ ٱلْبَرْبَرَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا ٠ وَيُقَالُ إِنَّهُ ٱلَّذِي سَمَّى ٱلْبَرَابِرَةَ بِهٰذَا ٱلْاِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا ٱفْتَتَحَ ٱلْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَانَتَهُمْ قَالَ: مَا أَكْثَرَ بَرْبَرَتَهُمْ ٠ فَسُمُّوا ٱلْبَرَابِرَةَ ٠

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُس أَخُوهُ عَمْرٌو ذُو ٱلْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ ٱلسِّيرَةَ فِي ٱلرَّعِيَّةِ. وَلَمَّا يَعْبَأْ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ:

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهِلْتَ وَصِيَّتِي ... إِيَّاكَ فَٱحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشَدُ
يَا عَمْرُو لَا وَٱللّٰهِ مَا سَادَ ٱلْوَرَى ... فِيمَا مَضَى إِلَّا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي ٱلْعُلَى بِنَوَالِهِ ... كَرَمًا يُقَالُ لَهُ ٱلْجَوَادُ ٱلسَّيِّدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ ... وَٱلزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ

وَلَمَّا ذُعِرَتْ حِمْيَرُ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّدَتِ ٱلْمُلْكَ شَرَحْبِيلَ. فَجَرَى بَيْنَ شَرَحْبِيلَ وَذِي ٱلْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَٱسْتَقَلَّ شُرَحْبِيلُ بِٱلْمُلْكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْهَدْهَادُ. (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ٱبْنَةُ ٱلْهَدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ بِنَفِيسِ ٱلْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ ٱلْيَمَنِ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا بِٱلْمُلْكِ مَالِكٌ نَاشِرُ ٱلنِّعَمِ. لِأَنَّهُ قَلَّدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلْمِنَنِ وَسَارَ غَازِيًا إِلَى ٱلْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ ٱلرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ ٱلرَّمْلِ وَعَبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا. فَأَمَرَ بِصَنَمٍ مِنْ نُحَاسٍ نُصِبَ عَلَى شَفِيرِ ٱلْوَادِي وَكَتَبَ فِي صَدْرِهِ بِٱلْخَطِّ ٱلْمُسْنَدِ: هٰذَا ٱلصَّنَمُ لِنَاشِرِ ٱلنِّعَمِ ٱلْحِمْيَرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ. فَلَا يَتَكَلَّفْ أَحَدٌ ذٰلِكَ فَيَعْطَبَ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرٍ هٰذَا ٱبْنُهُ شَمَّرُ مُرْعِشُ سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِٱرْتِعَاشٍ كَانَ بِهِ وَهٰذَا هُوَ تُبَّعٌ ٱلْآخِرُ. وَهُوَ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ ٱلتَّبَابِعَةِ ذُو ٱلْمَغَازِي

وَالآثَارِ ٱلْبَعِيدَةِ • فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ نِكَايَةً فِي ٱلْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ ٱلْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ ٱفْتَتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ ٱلصُّغْدِ وَرَاءَ جَيْحُونَ • فَقَالَتِ ٱلْعَجَمُ شِمْرُ كَنْدَ أَيْ شِمْرُ خَرَّبَ • وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ فَسُمِّيَتْ بِٱسْمِهِ هٰذَا وَعَرَّبَتْهُ ٱلْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ • وَشَخَصَ مِنَ ٱلْيَمَنِ غَازِيًا وَمَرَّ بِٱلْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ • ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْيَمَنِ وَهَابَتْهُ ٱلْمُلُوكُ وَهَادَنُوهُ • وَأَخَذَ بِدِينِ ٱلْيَهُودِيَّةِ بِإِغْرَاءِ بَعْضِ أَحْبَارِ ٱلْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ • ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطِئَ ٱلْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى ٱلصِّينِ. قَالَ ٱلنُّوَيْرِيُّ: وَكَانَ لِمَلِكِ ٱلصِّينِ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ ٱلْبَأْسِ سَامِي ٱلْهِمَّةِ • فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ ٱلْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحِقَ بِأَبِي كَرِبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ ٱلصِّينِ • وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ أَبَا كَرِبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمَكِّنُهُ ٱلْفُرْصَةَ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِٱلْقِيَادِ وَفَتْحِهَا • فَسُرَّ بِهِ تُبَّعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ • فَنَهَضَ ٱلْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ يَقْدُمُهُمْ حَتَّى ٱنْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضٍ سَبِخَةٍ • فَتَوَغَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحِيقَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ ٱلْعَطَشُ فَهَلَكُوا • ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَبُو مَالِكٍ وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ • ثُمَّ ٱنْتَقَلَ ٱلْمُلْكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ٱلْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا • لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ بَذْلَةً فَإِذَا أَرَادَ ٱلدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمُزِّقَتْ لِئَلَّا يَجِدَ أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ • وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ (١٠٢ ب م).

فَٱنْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَأْرِبَ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ فَتَفَرَّقَتِ ٱلْقَبَائِلُ ٱلْمُجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِيَ سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى ٱلْمُلُوكُ عَلَى حِمْيَرَ حَتَّى صَارَ ٱلْمُلْكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ. (٤٩٠ ب م) وَٱتَّفَقَ أَهْلُ ٱلْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ٱبْنُ تُبَانٍ أَسْعَدُ وَٱسْمُهُ زُرْعَةُ. وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ ٱلتَّبَابِعَةِ تَسَمَّى يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ ٱلْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ. فَٱسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ حِمْيَرُ عَلَى ذٰلِكَ. وَأَرَادَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ ٱلْعَرَبِ يَدِينُونَ بِٱلنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي ٱلدِّينِ وَٱسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ ٱلْإِنْجِيلِ. وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ثَامِرٍ. وَكَانَ هٰذَا ٱلدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ ٱلْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ ٱلتَّبَّعِيَّةِ يُقَالُ لَهُ فِيمُونُ. وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي ٱلْعِبَادَةِ مُجَابَ ٱلدَّعْوَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ ٱلْمَرْضَى. وَكَانَ يَطْلُبُ ٱلْخَفَاءَ عَنِ ٱلنَّاسِ جُهْدَهُ. وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا. فَفَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ ٱسْمُهُ صَالِحٌ فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَّيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ ٱلْعَرَبِ. فَٱخْتَطَفَتْهُمَا سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ. وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ ٱلْعَرَبِ يَعْبُدُونَ نَخْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي ٱلْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا. وَكَانَ قَدِ ٱبْتَاعَ فِيمُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَٱبْتَاعَ

صَالِحًا آخرُ . فَكَانَ فيمُونُ إِذَا قَامَ فِي ٱللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ سَيِّدُهُ ٱسْتَسْرَجَ لَهُ ٱلْبَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ ٱلصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدَهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلٰهِي ٱلَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ : ٱفْعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هٰذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ . فَدَعَا فِيمُونُ فَأَرْسَلَ ٱللهُ رِيحًا فَجَعَفَتِ ٱلنَّخْلَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى ٱتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ ٱلنَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ . وَأَمَّا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فِيمُونَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَقُهَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْخَوَارِقُ وَٱلْمُعْجِزَاتُ وَدَانَ ٱلْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَٱسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدَ ٱللهِ ٱبْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ٱلْقَتْلَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا ٱجْمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ ٱلْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ ٱمْتَحَنَهُمْ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَٱلْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرُكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقْذَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمْرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجَزِعَتْ وَتَهَيَّبَتْ . فَقَالَ لَهَا ٱلْغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تُنَافِقِي فَإِنَّكِ عَلَى ٱلْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلُ . فَٱحْتَرَقَتْ . وَقَتَلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَأٍ يُقَالُ لَهُ دَوْسٌ ذُو ثُعْلُبَانَ فَسَلَكَ ٱلرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ ٱلرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ ٱلْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ ٱلسُّفُنُ وَأَجَازَ فِيهَا ٱلْعَسَاكِرَ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطَ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهِدَ إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا ٱلْبَحْرَ وَنَزَلُوا سَاحِلَ ٱلْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَٱنْهَزَمَ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ وَبِقَوْمِهِ وَجَّهَ بِفَرَسِهِ إِلَى ٱلْبَحْرِ وَخَاضَ ضَحْضَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى غَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ ٱلْعَهْدِ بِهِ وَٱنْقَرَضَ أَمْرُ ٱلتَّبَابِعَةِ . (٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ ثَمَّ أَرْيَاطُ ٱلْيَمَنَ بِٱلْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَاتِ حِمْيَرَ وَهَدَمَ حُصُونَ ٱلْمُلْكِ . ثُمَّ ٱنْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطَ أَبْرَهَةُ أَحَدُ رُؤَسَاءِ جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رُعَاعَ ٱلْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطَ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَٱنْحَازَ إِلَى أَرْيَاطَ عُظَمَاءُ ٱلْحَبَشَةِ وَغَطَارِيفُهُمْ فَٱقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِٱلْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذٰلِكَ لُقِّبَ بِٱلْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ أَبْرَهَةُ عَلَى أَرْيَاطَ بِٱلسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ ٱلسَّيْفُ فِي دِمَاغِهِ وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا حِينَئِذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَبْرَهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا . وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيمًا دَحْدَاحًا ذَا دِينٍ فِي ٱلنَّصْرَانِيَّةِ . فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ غُمْدَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةَ ٱلْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

ٱلْقُلَيْسَ(*) فَٱنْتَشَرَ خَبَرُ بِنَاءِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فِي ٱلْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ (٥٧١ ب م) مَلَكَ مَكَانَهُ ٱبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَٱسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ وَأَذَلَّ حِمْيَرَ وَقَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَٱسْتَخْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ يَكْسُومُ فَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقُ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (للازرقي)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ ٱلْحَبَشَةِ عَلَى أَهْلِ ٱلْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ مِنَ ٱلْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذٰلِكَ ٱلسَّلَفِ وَعَقِبُ أُولٰئِكَ ٱلْمُلُوكِ . وَدِيَالُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُوفِضُ لِلْخُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : ٱلْحَبَشَةُ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى وَقَدِمَ ٱلْحِيرَةَ عَلَى ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى ٱلْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَرْضِ ٱلْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَٱسْتَمْهَلَهُ ٱلنُّعْمَانُ إِلَى حِينِ وِفَادَتِهِ عَلَى كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ ٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ . فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . ٱبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القُلَيس مربَّعاً مستوي التربيع وجعل طولهُ في السماء ستّين ذراعاً وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القُلَيس مائتا ذراعٍ مطيفٌ بهِ من كل جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة بهِ . وكان لهُ باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلَّق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجَّرة بين اضعافها كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبَّة جُدُرها بالفسيفساء وفيها صُلُبٌ منقوشة بالذهب والفضة وفيها رُخامة مما يلي مطلع الشمس من البَلَق مربعة تغشي عين مَن نظر اليها من بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة مِنبر من خشب اللبخ وهو الانوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

ٱلَّذِي أَرَدتَّ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا ٱزْدَدتَّهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأُحصُوا ثَمَانِمَائَةٍ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأَكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ وَهْزَرَ ٱلدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهْزَرُ ٱبْنَهُ أَنْ يُنَاوِشَهُمُ ٱلْقِتَالَ فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذٰلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَّ ٱلْيَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَتَغَلْغَلَ فِي دِمَاغِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ ٱلْقَوْمُ عَلَيْهِمْ وَٱنْهَزَمَ ٱلْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَفَنِيَ مُلْكُهُمْ فِي ٱلْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَٱنْصَرَفَ وَهْزَرُ إِلَى كِسْرَى بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفًا عَلَى ٱلْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسِ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ عَلَى فَرِيضَةٍ يُؤَدِّيهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ٱبْنِ ذِي يَزَنٍ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ . وَٱنْفَرَدَ ٱبْنُ ذِي يَزَنٍ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ ٱلْمُلْكِ وَهُوَ رَأْسُ غُمْدَانَ . يُقَالُ إِنَّ ٱلضَّحَّاكَ بَنَاهُ عَلَى ٱسْمِ ٱلزُّهَرَةِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْبُيُوتِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ لِذِي يَزَنٍ ٱلْمُلْكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ ٱلْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوَلًا وَٱتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِٱلْحِرَابِ . فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ ٱلنَّاسِ رَمَوْهُ بِٱلْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى ٱلْيَمَنِ وَٱسْتَمَرَّتْ عُمَّالُهُ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتِ ٱلْيَمَنُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذيمة الابرش

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ ٱلْعَرَبِ بِٱلْعِرَاقِ فِي ٱلْجِيلِ ٱلْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرْحُ حَالِهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَٱلشَّامِ . فَكَانَتْ تَنُوخُ وَقُضَاعَةُ وَهُمَا حَيَّانِ مِنْ أَحْيَاءِ ٱلْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ مِمَّنْ تَمَزَّقَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ . فَقَالَ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ بْنِ ٱلْقُضَاعِيِّ : نُقِيمُ بِٱلْبَحْرَيْنِ وَنَتَحَالَفُ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا . فَسُمُّوا تَنُوخَ وَذٰلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ فَنَظَرُوا إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنِ ٱلْبَحْرَيْنِ وَسَارَتِ ٱلْأَزْدُ إِلَى ٱلْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بْنِ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى ٱلشَّامِ مَعَ مَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَنُوخَ فِي ٱلْعِرَاقِ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ (١٩٥ للمسيح) وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِٱلْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمْيَةً بِٱللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيهِ قَالَ :

جَزَانِي لَا جَزَاهُ ٱللّٰهُ خَيْرًا ... سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرًّا جَزَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ فَاظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكٍ جَذِيمَةُ ٱلْأَبْرَشُ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ ٱلرَّأْيِ بَعِيدَ ٱلْمَغَارِ شَدِيدَ ٱلنِّكَايَةِ ظَاهِرَ ٱلْحَزْمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِٱلْجُيُوشِ وَشَنَّ ٱلْغَارَاتِ عَلَى

قَبائِلِ ٱلعَرَبِ وَكانَ بِهِ بَرَصٌ فأكبرته ٱلعربُ على أن تنعتهُ بِهِ إعظامًا فَسَمَّتهُ جذيمةَ ٱلأبرش وجذيمةَ ٱلوضَّاح . وٱستولى على ٱلسَّوادِ ما بين ٱلحِيرةِ وٱلأنبار وسائِرِ ٱلقرى ٱلمجاورةِ لِبادِيةِ ٱلعربِ وكان يجبي أموالها . وغزا طسمًا وجديسًا في منازلِها مِنَ ٱليمامةِ . وفيهِ قالَ ٱلشَّاعِرُ :

أضحى جذيمةُ في ٱلأنبارِ منزلُهُ   قد حازَ ما جمعت في عصرِها عادُ

فطالَ مُلكُهُ إلى أن أدركَ مُلكَ سابورَ بنِ أشك . وكانَ جذيمةُ مَلِكَ معدٍّ وبعضِ ٱليمنِ وغزا في آخرِ عمرِهِ ٱلشَّامَ فقتلَ عمرو بنَ حسَّانِ ٱبنِ أذينةَ والدَ ٱلزَّبَّاء ملكةِ ٱلطَّوائفِ . فٱنطوت لهُ ٱلزَّبَّاءُ على طلبِ ٱلثَّأرِ حتَّى قتلتهُ . وكانَ مُلكُ جذيمةَ نحوَ ستّينَ سنةً بالتَّقريبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فورثَ ٱلمُلكَ مِن بعدِهِ ٱبنُ أختِهِ عمرو بنُ عديٍّ (٢٦٨) وأمُّهُ رقاشِ وهو أوَّل من ٱتَّخذَ ٱلحِيرةَ منزلًا مِن ملوكِ ٱلعربِ . وأوَّلُ ملكٍ يعدُّهُ ٱلحيريُّونَ في كتبهم مِن ملوكِ عربِ ٱلعراقِ وملوكُ ٱلعراقِ إليهِ ينتسبونَ وهم عمرو بطلبِ ٱلثَّأرِ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ بخالِهِ جذيمةَ . فلمَّا أحسَّتِ ٱلزَّبَّاءُ بنيَّتِهِ تحصَّنت في معقلٍ فصارت أمنعَ مِن عقابٍ . فعمدَ عمرو إلى قصيرٍ وزيرِهِ فجدعَ أنفهُ بمواطأةٍ منهُ على ذلكَ . فلحقَ بٱلزَّبَّاءِ يشكو ما أصابهُ مِن عمرو وأنَّهُ ٱتَّهمهُ بمداخلةِ ٱلزَّبَّاءِ في أمرِ خالِهِ جذيمةَ فقال : وما رأيتُ بعدَ ما فعلَ بي أنكى لهُ مِن أن أكونَ معكِ . فأكرمتهُ وقرَّبتهُ حتَّى إذا رضيَ منها مِنَ ٱلوثوقِ بِهِ غرَّها وأسلمَ حصنَها إلى عمرو . فلحمها

بِٱلسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَٱنْكَفَأَ رَاجِعًا • فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا مُدَّةَ عُمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو ٱلْمَغَازِيَ وَيُصِيبُ ٱلْغَنَائِمَ وَتُجْبَى إِلَيْهِ ٱلْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ دَهْرَهُ ٱلْأَطْوَلَ • لَا يَدِينُ لِمُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ بِٱلْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ فِي أَهْلِ فَارِسَ أَرْضَ ٱلْعِرَاقِ • فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِئًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ • فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوخَ مُجَاوَرَةَ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلصَّغَارِ • فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ ٱلَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِٱلشَّامِ وَٱنْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ • فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يُحْدِثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ إِلَى رِيفِ ٱلْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ ٱلْحِيرَةَ فَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً • فَصَارَ أَهْلُ ٱلْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ • أَلثُّلُثُ ٱلْأَوَّلُ تَنُوخُ وَهُمْ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ ٱلْمَظَالَّ وَبُيُوتَ ٱلشَّعَرِ وَٱلْوَبَرِ فِي غَرْبِيِّ ٱلْفُرَاتِ مَا بَيْنَ ٱلْحِيرَةِ إِلَى ٱلْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا • وَٱلثُّلُثُ ٱلثَّانِي ٱلْعِبَادُ وَهُمُ ٱلَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ ٱلْحِيرَةِ فَٱبْتَنَوْا بِهَا • وَٱلثُّلُثُ ٱلثَّالِثُ ٱلْأَحْلَافُ • وَعَمَرَتِ ٱلْحِيرَةُ أَيَّامَ مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِٱتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا إِيَّاهَا • وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ ٱلْكُوفَةُ وَنَزَلَهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ (للنويري وحمزة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والمحرّق والنعمان الاعور السائح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلْبَدْءُ وَهُوَ ٱلْأَوَّلُ فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ــ ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصر وعُمّالِ ٱلفُرس. ثمَّ وَلي مكانهُ ٱبنهُ عَمْرو (٣٣٨ـ٣٦٣) ثمَّ عقبهُ أوس بنُ قَلَّام ٱلعمليقيُّ خمس سنين. ثمَّ ثار بهِ جحجبا أحد بني فازان فقتلهُ. (٣٦٨ ب م) ووَلي مكانهُ مُدّةً ثمَّ وَلي من بعدهِ ٱمرؤُ ٱلقيس (ٱلثاني). (٣٦٨ـ٣٩٠ ب م) ويُعرف ٱمرؤُ ٱلقيس هذا بالمُنذِر وٱلمحرّق لِأنهُ أوّل من عاقب بالنار وهو ٱلذي ذكرهُ ٱلأسودُ ٱبن يعفر في قولهِ: ماذا أؤمل بعد آلِ محرّقٍ. ثمَّ ملك بعدهُ ٱبنهُ ٱلنعمانُ ٱلأعورُ ٱلسائحُ وهو باني ٱلخَوَرنَق وٱلسَّدير (*) وكان ٱلنُّعمانُ هذا في أيّام يزدجرد فدفع إليهِ ٱبنهُ بهرام ليربيهُ وأمر ببناء ٱلخورنق مسكنًا لِابنهِ فأسكنهُ إيّاهُ. وأحسن تربيتهُ وتأديبهُ. وجاءهُ بمن يلقّنهُ ٱلخِلال من ٱلعلوم وٱلآداب وٱلفروسيَّة حتّى ٱشتمل على ذلك بما رضيهُ. وكان ٱلنُّعمانُ من أشدّ مُلوك ٱلعرب نِكايةً في ٱلأعداء وأبعدهم مغارًا قد أتى ٱلشام مرارًا كثيرةً وأكثر ٱلمصائب في أهلها وسبى وغنم. وكان ملك فارس ينفذ معهُ كتيبتَين ٱلشَّهباء وأهلها ٱلفُرسُ ودوسر وأهلها تنوخ. فكان يغزو بهما من لا يدين لهُ من ٱلعرب. وكان صارمًا حازمًا ضابطًا لِملكهِ قدِ ٱجتمع لهُ من ٱلأموال وٱلخولِ وٱلرقيق ما لم يملكهُ أحدٌ من ملوك ٱلحيرة. وٱلحيرة يومئذٍ ساحل ٱلفُرات. ولمَّا أتى على ٱلنُّعمان ثلاثون سنةً تنصَّر على يد بعض وزرائهِ ثمَّ زهد وترك ٱلملك ولبس ٱلمسوح وذهب فلم يوجد لهُ أثر (*)

(*) (راجع الوجه ٢٢١ من الجزء الثاني) (*) (راجع الوجه ١٦ من هذا الجزء)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَزَهَّدَ ٱلنُّعمَانُ تَوَلَّى ٱلْأَمرَ ٱبْنُهُ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م) وَكَانَ أَهلُ فَارِسَ وَلَّوْا عَلَيهِمْ شَخصًا مِنْ وُلْدِ أَزْدَشِير وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَام لِنَشْئِهِ بَيْنَ ٱلْعَرَبِ وَخُلُوِّهِ مِنْ آدَابِ ٱلْعَجَمِ. وَٱسْتَنْجَدَ بَهْرَامُ بِٱلْعَرَبِ فَجَهَّزَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِطَلَبِ مُلْكِهِ. وَحَاصَرَ مَدِينَةَ ٱلْمُلْكِ فَأَذْعَنَ لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ. وَٱسْتَوْهَبَ ٱلْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَٱجْتَمَعَ أَمْرُهُ. وَرَجَعَ ٱلْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشُغِلَ بِٱللَّهْوِ إِلَى مَوْتِهِ. (٤٦٢ ب م) وَمَلَكَ مَكَانَهُ ٱلنُّعمَانُ ٱلثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ ٱلنَّصْرَانِيَّ فَتَزَهَّدَا (٤٦٩). (*) وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ ٱلْأَسْوَدُ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْتَصَرَ عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ ٱلشَّامِ وَأَسَرَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١). وَمَلَكَ أَخُوهُ مُنْذِرُ ٱلثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ٱبْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُعمَانُ ٱلثَّالِثُ. ثُمَّ ٱسْتُخْلِفَ أَبُو يَعْفُرِ بْنُ عَلْقَمَةَ ٱلذُّمَيْلِيُّ (٥٠٣) وَذُمَيْلُ بَطْنٌ مِنْ لَخْمٍ. ثُمَّ مَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ (٥٠٦) هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أُوَارَةَ فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوَدَ مُلُوكِ ٱلْحِيرَةِ وَتَعْضُدُهُمْ. وَهُوَ أَيْضًا بَانِي ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصِّنَّبْرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغ:

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخُبُّ بِنَا ٱلنَّا قَةُ نَحْوَ ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصِّنَّبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلثَّالِثُ ٱبْنُهُ وَهُوَ ذُو

(*) (راجع وجه ١٧ من هذا الجزء)

ٱلقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ ٱلسَّمَاءِ . قَالَ ٱلجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هٰذَا ٱللَّقَبُ لِأَبِي عَامِرٍ ٱلأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ ٱلقَطْرِ أَيْ
عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى بَنِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفٌ مِنْهُ . وَذُكِرَ أَنَّ مُرَّةَ بْنَ كُلْثُومٍ
قَتَلَهُ لِخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ ٱلْمُلَقَّبُ بِٱلْمُحَرِّقِ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ ٱلسُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أُوَارَةَ ٱلثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
ٱلْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنُوشِرْوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ ٱلنُّعْمَانُ ٱلرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ ـ ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ ٱلنَّابِغَةِ
ٱلذُّبْيَانِيِّ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْغَرِيَّيْنِ وَتَنَصَّرَ (للنويري والمسعودي)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ ٱلنُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ ٱلْمُضَلَّلِ وَٱلْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
بِظَهْرِ ٱلْحِيرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي ٱلْحُفْرَتَيْنِ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا . فَنَدِمَ عَلَى ذٰلِكَ وَغَمَّهُ
وَفِي عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ ٱلْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :

يَا قَبْرُ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ

أَمَّا ٱلْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ

ثُمَّ رَكِبَ ٱلنُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْغَرِيَّيْنِ عَلَيْهِمَا. فَبُنِيَا وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي ٱلسَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ ٱلْغَرِيَّيْنِ يُسَمَّى أَحَدُهُمَا يَوْمَ نَعِيمٍ وَٱلْآخَرُ يَوْمَ بُؤْسٍ. فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ مِائَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ شُؤْمًا أَيْ سُودًا. وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرِبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ وَيُغْرَى بِدَمِهِ ٱلْغَرِيَّانِ. فَلَبِثَ بِذَٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيٍّءٍ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ. كَانَ آوَى ٱلنُّعْمَانَ فِي خِبَائِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى ٱلصَّيْدِ وَٱنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ ٱلْمَطَرِ. فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلنُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَهُ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهُ: يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ. فَقَالَ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ. فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ بِقَتْلِكَ. فَقَالَ لَهُ: وَٱللهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ مَائِرًا فَلَا تَكُنْ مِيرَتُهُمْ قَتْلِي. فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ فَٱسْأَلْ حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ تُؤَجِّلُنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكُمُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفُذُ فِي حُكْمِكَ. فَقَالَ: وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَنْشَدَ

يَا شَرِيكُ يَا ٱبْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَا لَهْ

يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ ٱلْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَهْ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيَا مَنْ لَا حَيَالَهْ
إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلٌ أَكْرَمَ ٱللهُ رِجَالَهْ
وَأَبُوكَ ٱلْخَيْرُ عَمْرٌو وَشَرَاحِيلُ ٱلْحَمَالَهْ
رَقَّيَاكَ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ ٱلْمَقَالَهْ

فَوَثَبَ شَرِيكٌ وَقَالَ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ وَأَمَرَ لِلطَّائِيِّ بِخَمْسِمِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جَعَلَ ٱلْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ ٱلْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ ٱلْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ ٱلْأَجَلِ يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ ٱلنُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةَ. فَقَالَ شَرِيكٌ: فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ. فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ ٱلنُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ بِقَتْلِ شَرِيكٍ. فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ يَوْمَهُ. فَتَرَكَهُ ٱلنُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ ٱلطَّائِيَّ. فَلَمَّا كَادَتِ ٱلشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكٌ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى ٱلنَّطْعِ وَٱلسَّيَّافُ إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ ٱلنُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ ٱلطَّائِيُّ قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّطَ وَجَاءَ بِنَادِبَتِهِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلنُّعْمَانُ قَالَ: مَا ٱلَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَّ مِنَ ٱلْقَتْلِ. قَالَ: ٱلْوَفَاءُ. قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى ٱلْوَفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ ٱلْغَدْرِ. قَالَ: وَمَا دِينُكَ. قَالَ: ٱلنَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَاعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَنَصَّرَ ٱلنُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ ٱلسُّنَّةَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكٍ وَٱلطَّائِيِّ.

وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيُّكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهٰذَا ٱلَّذِي نَجَا مِنَ ٱلسَّيْفِ فَعَادَ إِلَيْهِ أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ أَلْأَمَ ٱلثَّلَاثَةِ . قَالَ ٱلْمَيْدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ مَعَ ٱلنُّعْمَانِ أَهْلُ ٱلْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى ٱلنُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ ٱلْكَنَائِسَ ٱلْعَظِيمَةَ . وَقَتَلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ أَبْرَوِيزَ (٦٠٤ ب م) وَٱنْقَطَعَ ٱلْمُلْكُ عَنْ لَخْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ ٱلْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الاغاني)

٣

الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَّالَ ٱلْقَيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ ٱلشَّامِ كَمَا كَانَ ٱلْمَنَاذِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَّالًا لِلْأَكَاسِرَةِ عَلَى عَرَبِ ٱلْعِرَاقِ . وَأَصْلُهُمْ مِنَ ٱلْيَمَنِ مِنَ ٱلْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ ٱلْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ بِمَأْرِبَ ٱنْتِقَاضَ ٱلْعَرِمِ وَخَشِيَتِ ٱلسَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شِرْبَهُمْ فَسُمُّوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ ٱبْنُ عَمْرٍو ٱلْغَسَّانِيُّ بِبَادِيَةِ ٱلشَّامِ وَٱلْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قِبَلِ ٱلْقَيَاصِرَةِ . وَكَانُوا يَدِينُونَ بِٱلنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا نَزَلَتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ ٱلشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ مِنْ سَلِيحٍ فَضَرَبُوا عَلَى ٱلْغَسَاسِنَةِ ٱلْإِتَاوَةَ وَكَانَ ٱلَّذِي يَلِي جِبَايَتَهَا سُبَيْطًا مِنْهُمْ فَٱسْتَبْطَأَهُمْ . فَقَصَدَ سُبَيْطٌ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتُعَجِّلُنَّ لِيَ ٱلْإِتَاوَةَ أَوْ لَآخُذَنَّ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ بِٱلْإِتَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِذْعِ بْنِ عَمْرٍو . وَكَانَ جِذْعٌ فَاتِكًا . فَأَتَاهُ سُبَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ ٱلْإِتَاوَةَ . قَالَ :

نَعَمْ. قَالَ: فَخُذْهُ. فَتَنَاوَلَ سُبَيْطُ جَفْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱسْتَلَّ جِذْعٌ نَصْلَهُ وَضَرَبَهُ بِهِ. فَقِيلَ: خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا. فَوَقَعَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيحٍ وَغَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ غَسَّانُ سَلِيحًا مِنَ ٱلشَّامِ وَصَارُوا مُلُوكًا. وَٱسْتَقَرَّ مُلْكُ ٱلْغَسَاسِنَةِ ٤٠٠ سَنَةٍ بِنَيِّفٍ (*) (لحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لمّا كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن كهلان. وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملكٍ تأكل القويُّ الضعيف حتى ملك حجرٌ وكان تُبَّعٌ حين أقبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم. فسدَّد أمورهم وساسهم احسن سياسةٍ وانتزع من اللخميين ارضهم وبقي وحده في مملكتهِ مُطاعًا لحسن سيرتهِ (٥٠٣ ب م). ثمَّ ملك بعده ابنهُ المقصور لانهُ اقتصر على مُلك أبيه. ثمَّ استخلفهُ الحارث وعظم شأنهُ حتَّى ولّاهُ قباذ ملك العجم على العراق مدة ثم طردهُ انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب الحارث من وجههِ ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم. وكان للحارث اربعة بنين ولّاهم على قبائل كندة. وكان حجر اكبرهم متوليًا على بني اسد فنقضوا امرهُ وقتلوهُ. فقام امرؤ القيس واستنجد ببكر وتغلب على بني اسد فانجدوهُ وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم. ثم تخاذلت عنهُ بكرٌ وتغلب وتطلَّبهُ المُنذر بن ماء السماء. فتفرَّقت جموع امرئ القيس خوفًا من المُنذر وخاف امرؤ القيس من المُنذر. وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أناسٍ الى أناسٍ حتَّى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فاكرمهُ وأنزلهُ. وأقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء الله. ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجدًا بهِ وأودع أدراعهُ عند السموءل بن عادياء المذكور. ومرَّ على حماة وشيزر وقال في مسيرهِ قصيدتهُ المشهورة

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونهُ وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك إنَّما نحاول مُلكًا أو نموتَ فنعذَرا

فمات امرؤ القيس بعد عودهِ من عند قيصر عند جبلٍ يقال لهُ عسيبٌ. ولمَّا علم بموتهِ هناك قال:

أجارتنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ وإنّي مُقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أَبي شمَّر الغسَّانيُّ الى السموءل وطالبهُ بادرع امرئ القيس وما لهُ عندهُ وكانت الأدراع مائةً وكان الحارث قد أسر ابن السموءل. فلمَّا امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث: إمَّا أن تُسلّم الأدراع وإمَّا قتلتُ ابنك. فقال السموءل: لستُ أخفِرُ ذمَّتي فاصنع ما شئتَ. فذبح ابنهُ والسموءل ينظر اليهِ

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَنَزَلُوا ٱلْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سِدَانَةَ ٱلْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا ٱلْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ ٱلْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ ٱلطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمُ ٱلْيَمَنَ مَعَ إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ . وَأَصَابَ ٱلْيَمَنَ قَحْطٌ فَفَرُّوا نَحْوَ تِهَامَةَ يَطْلُبُونَ ٱلْمَاءَ وَٱلْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ . فَٱحْتَلُّوا أَسْفَلَ مَكَّةَ وَٱقْتَتَلُوا مَعَ ٱلْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلتَّوْحِيدِ وَتُوُفِّيَ لِمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْحِلُ حَتَّى وَلُوا ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ . وَكَانُوا وُلَاتَهُ وَحُجَّابَهُ وَوُلَاةَ ٱلْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا طَالَتْ وِلَايَةُ جُرْهُمَ ٱسْتَحَلُّوا مِنَ ٱلْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَٱسْتَخَفُّوا بِحُرْمَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ قَطَعَ ٱللهُ دَابِرَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَأْرِبٍ سَارَ عَمْرُو ٱبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَٱسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتُضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَٱرْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأسٍ . فضرب العرب بهِ المثَل في الوفاء . وقال السموءل :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إنّي	إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا	وماءً كلّما شئتُ استقيتُ
رفيعًا تزلق العقبان عنهُ	إذا ما نابني ضيمٌ أبيتُ
وأوصى عاديا قِدمًا بألّا	تهدّم يا سموءل ما بنيتُ

(لابي الفداء)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجِوَارِكُمْ . فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهُدِرَ دَمُهُ (٢٠٧م). ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ وَانْخَزَعَتْ خُزَاعَةُ بِمَكَّةَ فَوَلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحَيٌّ وَهُوَ رَبِيعَةُ ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلَّ مَذْهَبٍ وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ الْإِبِلِ وَلُحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ وَحَمَى الْحَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرٰهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُزَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى قَامَ قُصَيٌّ الْقُرَشِيُّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخُزَاعِيِّ فَبَاعَهَا مِنْ قُصَيٍّ بِزِقِّ خَمْرٍ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ . ثُمَّ دَعَا قُصَيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُزَاعَةَ فَتَنَاجَزُوا وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَارَ لِقُصَيٍّ لِوَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَيَمَّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

ٱلْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ ٱلْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ . ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ ٱلْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ هَلَكَ قُصَيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِٱلْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى جَاءَ ٱلْإِسْلَامُ (ملخَّصٌ عن كتاب اخبار مكَّة للازرقي)

(ملحق بتأريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أوَّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحيّ بصنم يقال لهُ هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيش عندها فكان الرجل اذا قدم من سفرٍ بدأ بهِ على أهله بعد طَوافهِ بالبيت وحلق راسهُ عندهُ . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان وكانت يدهُ اليمنى مكسورةً فادركتهُ قريش فجعلت لهُ يدًا من ذهب . وكانت لهُ خزانة للقربان . وكانت لهُ بسبعة قِداح يضربون بها اذا مسَّتهم الحاجة ويقولون : إنَّا اختلفنا فهبِ السَّراحا . ان لم تقلهُ فمُر القِداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظَّمًا في الجاهليَّة والاسلام . تتبرَّك الناس بهِ وتقرُّ دونهُ وتقبِّلهُ . وكان بأسفل مكَّة قد نُصب صنم يُعرَف بالخَلَصة فكانوا يُلبسونها القلائد ويُهدون اليها الشعير والحِنطة . ويصبّون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلّقون عليها بيض النَّعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيَّارات من لكواكب . وهي المشتري وقيل ان اصل اسمهِ ذوشراء اي ساطع النور . والزهرة وزُحَل والمرّيخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم أيضًا المَناة واللات وعُزَّى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قُدَيد . وكانت صخرةً تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجَدب . وكانت اللات ايضًا صخرةً صنمًا للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يلتّونها بالسَّويق . وقيل أصلها من لاهَ اي علا وعظم ومنهُ اسم الجلالة . وأمَّا العزَّى فكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كِنانة . ويطوفون بها بعد طَوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يومًا . قال الكلبيُّ : وكانت اللات والعُزَّى ومَناة في كل واحدة منهنَّ شيطان يكلمهم . وتراءى للسدَنة وهم الحجَبَة وذلك من صنيع إبليس وأمرهِ . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الهًا عبدوهُ دهرًا طويلًا ثم أصابهم مجاعةٌ فاكلوهُ . فقيل في ذلك :

اكلت حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعه
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتَّباعه

ومن اديانهم المجوسيّة او الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئيّة اصنام الذهب للشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوَى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أُفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست لهُ وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . واما النصرانيّة فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزابادي : ان قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيّة بالحيرة وهم العباد . وإن كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصّروا . وأمّا ملوك غسّان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانيّة في ربيعة وقُضاعة وبهرا وتنوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوّقًا وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مزوّقًا . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمَس صورتها بل بقيتا الى عهد ابن زُبَير فهلكتا في الحريق (للنويري والازرقي)

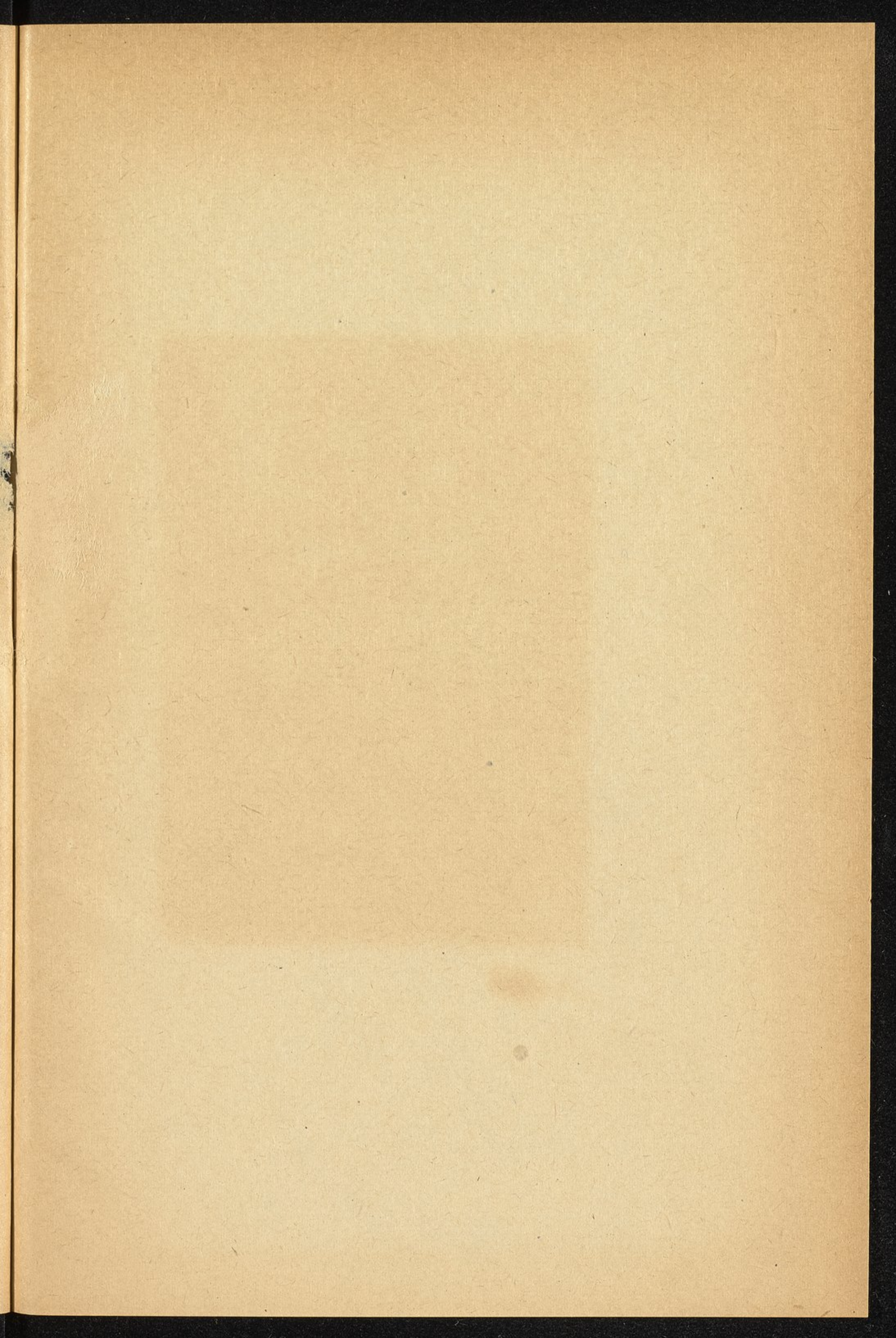
٢ علوم العرب وآدابهم

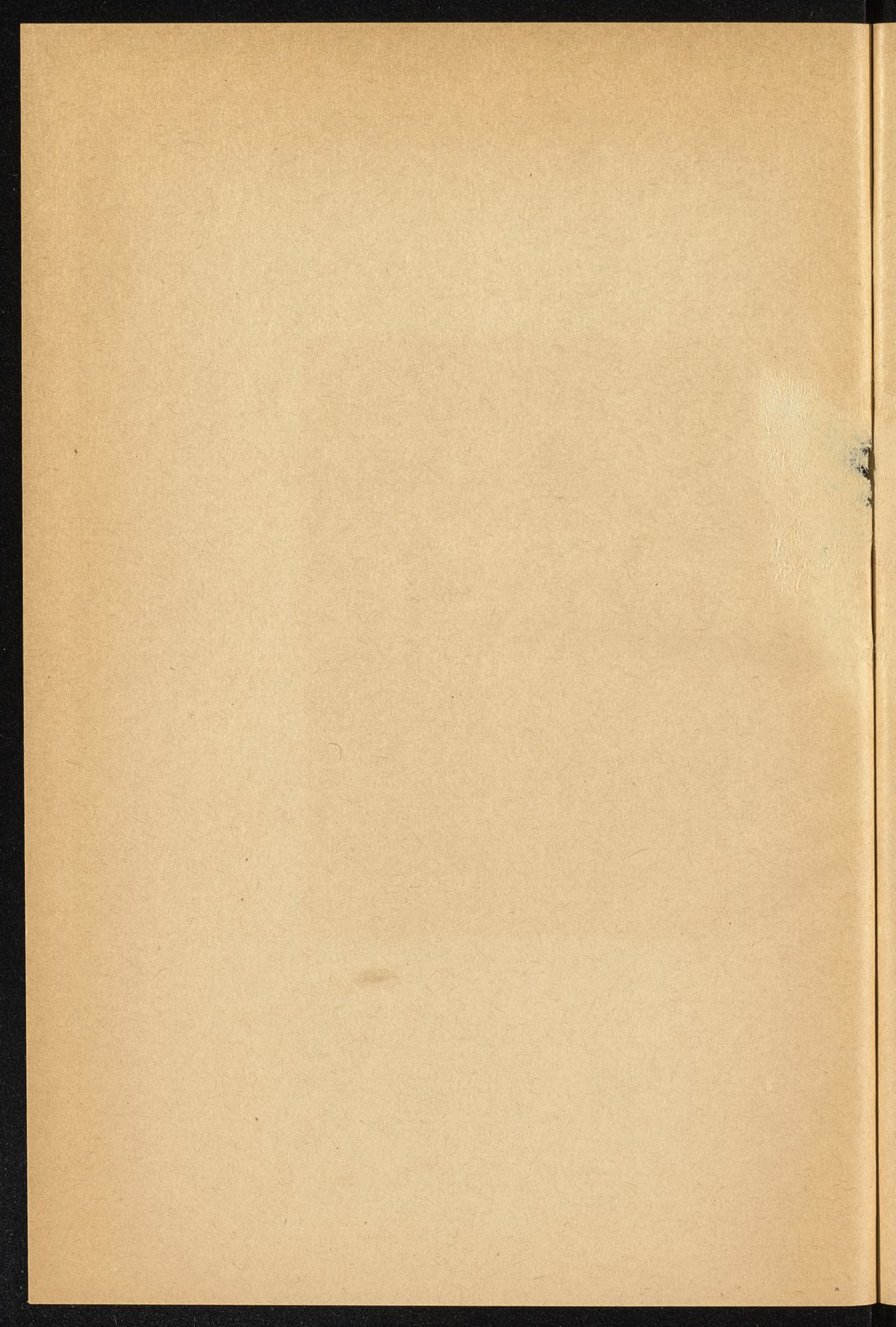
٤١٣ فامّا علم العرب الذي كانوا يتفاخرون بهِ فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مَطالع النجوم ومغاربها وعلمٌ بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوهُ بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق . وامّا علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئًا منهُ ولا هيّأ طبائعهم للعناية بهِ . وكان الشعر ديوان خاصّة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكامها . بهِ يأخذون واليهِ يصيرون . وكانوا لا يُهنئون الّا بغلام يولد او شاعرٍ ينبغ فيهم اوفرس تنتج . قال الصفدي : بل ما كانَ للعرب ما تفتخر بهِ الّا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ . ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون و يتعاكظون . ولقد بلغ من كلَف العرب بالشعر وتفضيلها لهُ أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المُدرجة . فقيل لها مذهّبات وقد يقال لها معلّقات لانها علّقت في أستار الكعبة . أمّا الكتابة فحكموا أنّ ثلاثة نفرٍ من طيّءٍ كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانيّة . فتعلّمهُ قومٌ من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربيّة غير بضعة عشر إنسانًا . ولقلّة القراطيس عندهم عمدوا الى كتِف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكِتاب والاميّون . والاميّ مَن كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميّون بمكّة (لابي الفرج والجوهري)

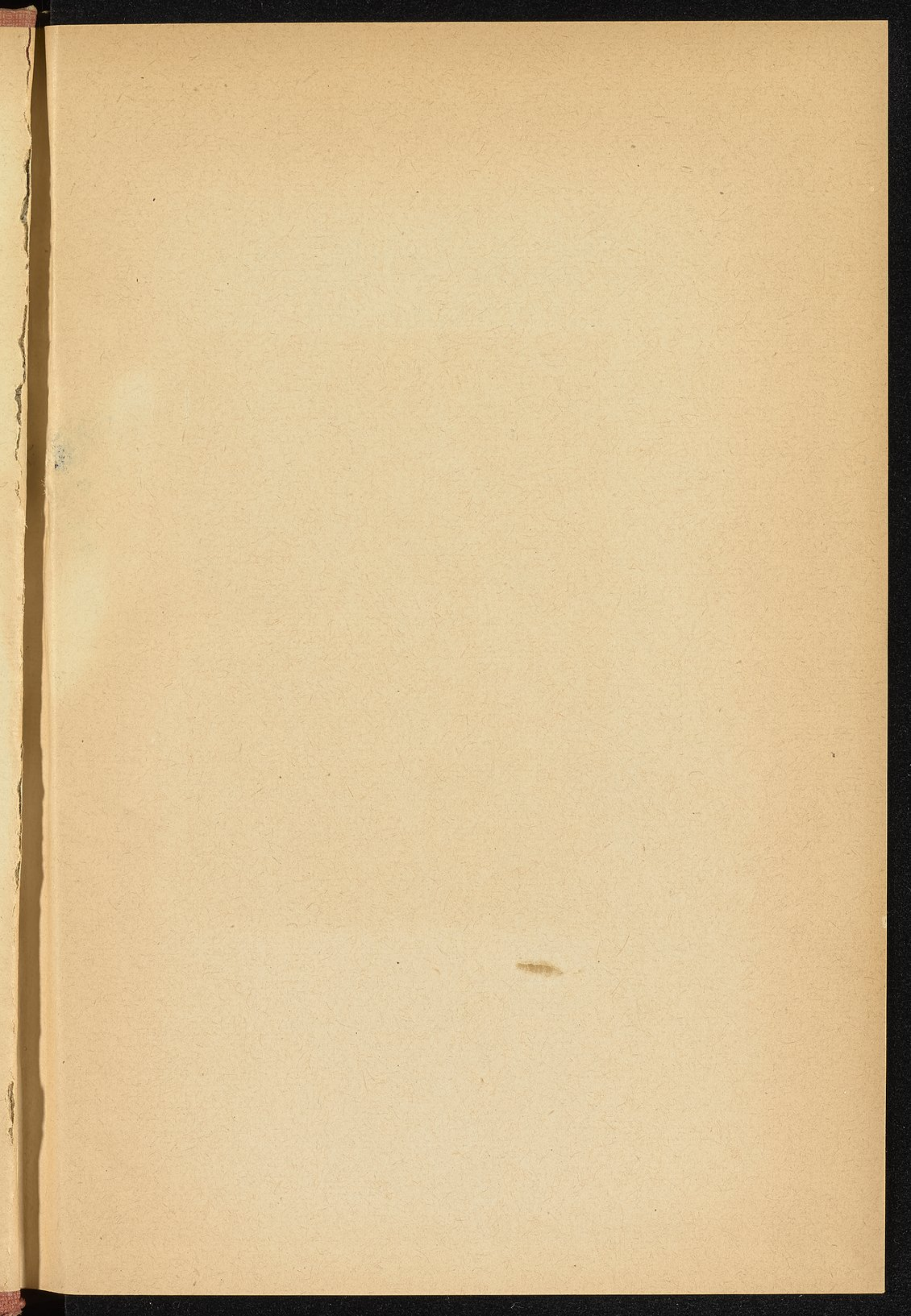
تمّ بحولهِ تعالى

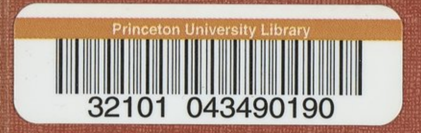
فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

تمّ طبع هـذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في التاسع
عشر من شهر حزيران سنة ١٩٥٤











المكتبة الشرقية - بيروت